صَيدُ القَلَم

" قُطُوفٌ وَخَواطِرٌ "

الجزء الثاني

عبد المنعم مصطفى حليمة

أبو بصير الطرطوسي

621- ثُمَّ ...!

جاء رجلٌ إلى النبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فقال: ما شاء اللهُ وشئتَ. فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ:" أجعَلْتني مع الله عِدلًا ـ وفي لفظ ندًّا ـ لا؛ بل ما شاءَ اللهُ وحدَه ". وفي رواية:" قولوا: ما شاء اللهُ ثمَّ شئتَ ".

فتوسّع ناسٌ فوضعوا " ثمَّ " في مواضع لا يجوز أن تُوضَع فيها، كقول أحدهم: الله يرزقني ثم فلان، الله يشفيني وشافاني ثم فلان، الله أحياني ويحييني ثم فلان، الله يضر وينفع ثم فلان، لله الحكم ثم لفلان .. ونحوها من الاطلاقات الخاطئة الشركيّة، ظناً منهم أن قولهم " ثم " يخرجهم من دائرة الخطأ والحرج، وهؤلاء كمن يقول: أعبد الله ثم فلان، أدعو الله ثم فلان .. فثمَّ هنا وإن كانت تفيد الترتيب، وتنفي المعية إلا أنها لا تنفي اشتراك المخلوق مع الخالق فيما هو من صفات وخصوصيات الله تعالى وحده .. وبالتالي لا يجوز استخدامها في مواضع تفيد الشِّرك، والاشتراك مع الخالق سبحانه فيما هو من صفاته وخصوصياته وحد.

* * * * *

622- النَّرجَسِي ...؟

هل سمعتم بمرضِ النَّرْجَسَةِ، أو النَّرجَسِي؛ هو المرضُ الذي يُعرَفُ صاحِبُه بحسنِ المظهَرِ، وسُوءِ الباطنِ والمخبَرِ .. ظاهِرُه كثيرُ الاعتناءِ، شَديدُ الاعتدادِ، والانتفَاش، والتَّعالي، وباطِنُه شَديدُ الاهتزاز، والضَّعف .. يُوحي ظاهرهُ بالشّجاعة والإقدام، وفي حقيقته وباطنِه جبانٌ رعديد .. يَتودّدُ للبعيدِ، ويُجافي القريب .. يهتمُّ للبعيدِ أكثر من القريبِ .. يَنتَقِمُ مِن جَفاءِ وإهمالِ الآخرين له، بظلمِ وجفاءِ القريب منه .. يَتَظَاهَرُ بكثرةِ الأشغالِ والأعمالِ، من غيرِ شغلٍ ولا عمَلٍ .. يحسَبُ نفسَه أنه كلُّ شيءٍ، ومحورُ كل شيءٍ، ويَعرفُ كلَّ شيء، وفي حقيقتِه ليسَ بشيءٍ .. فيتشَبَّع بما لم يُعْطَ وبما ليسَ فيه .. ويُحِبُّ أن يُمْدَح بما لم يُعْطَ وبما ليسَ فيه .. لا يَنْسى الهفوات، ويُحاسِبُ على الزَّلّات، ولو بعد حين .. يَتلذّذُ ويتمتّع بإذلالِ وتحطيمِ وقهرِ أقربِ النَّاسِ إليه؛ ليستمرّ شعُورُه بالظُّهور والفوقيَّة .. فإذا أجْهَزَ عليه، وانطفأ بَريقُه، انصَرَفَ إلى صَيدٍ آخَرَ، وضحيّةٍ أخرى غيره .. فإن لم يجدْ افترَضَ لنفسِه خَصْماً وغَريماً لا وجودَ له إلا في مخيّلَتِه .. إذا أقبَلْتَ عليه أدبَرَ، وإذا أدبرْتَ أقبلَ .. سيئ الظَّنَّ بمن حوله، وبمن يتعامل معه .. يَكْفُرُ المعروفَ والإحسانَ؛ فلا يقرّ بمعروفٍ فضلاً عن أن يَشْكُرَه .. يجدُ صُعوبةً شديدةً في أن يُثني على مَعْروفٍ ـ أو صاحب مَعروفٍ ـ خيراً .. يحسدُ الآخرينَ على نجاحَاتِهم، ويقلّل من قِيمتها وقَدْرِها، ويَغارُ منهم، ويتظاهَر بتجاهُلِهم، وأنَّه لا يُبالِهم بالا .. وأحسنُ أحوالِه أنْ يَردَّ نجاحاتِهم لنفسِه؛ إذْ لولاه لما نجَحُوا .. حاجَتُكَ إليه مَذَلّةٌ ولو من أينَ الطَّريق .. يُخالِفُ ليُعْرَفُ ويَظهر أنَّه الأفْهَم والأعْلَم؛ فإذا قلتَ له نعَم، قال لا، وإذا قلتَ لا، قال نعم .. ومَهما كان قولُك مُحْكَماً، عقَّب عليه بقولِه ولكن، حتّى وإن اضطرَّ أن يكرّرَ نَفْسَ كلماتِك، لكن بطريقتِه وأسْلوبِه .. لا يُحسِنُ الاستماعَ، ولا يُطِيقُه .. يخوضُ فِيما له علمٌ فيه، وفيما لا عِلمَ له فيه .. لا تستطيعُ أن تُعَرّفَه

بما تُحِبُّ أو تَكرهُ؛ لأنه سيختارُ عكسَ ما تحبُّ وتَكرَه .. شديدُ الانتهازيّة والاستغلالِ والأنانيّة والحرصِ، متبلّدُ الإحساسِ والمشاعرِ نحو الآخرين، فلا يُحِبّ ولا يَرى إلا نفْسَه، ومَصلحَتَه، وما سواه تَبدأ حقُوقُهم عندما تنتهي حقُوقُه، ويحقّقون له كاملَ حقوقِه .. ثم هو بعد ذلك له حقٌّ عليهم، وليس للآخرين عليه حق .. وأنَّهم مهما بَذَلُوا في سبيلِه لا يَراهُ شيئاً، وأنَّه يَستحقّ المزيدَ .. فأنا، وأنا وحسب، ولا شيءَ غيرَ أنا .. سَريعُ العَطَبِ، والانقلابِ، يَصعُبُ أن تَرى له صَديقاً .. لا يَأْلَفُ، ولا يُؤلَف .. علاقاته تَقتَصرُ على الاستغلالِ أو الاستِغْنَاء؛ فإن احتاجَ استغلَّ، وإن استغْنَى، استغنى، وجَفَا، وأدْبَرَ .. بينه وبينَ الوفَاءِ والمحبّة كما بين السَّماءِ والأرض .. لا يُلقِي بالاً لمآلاتِ وعواقِبِ سلوكِه وأفعالِه، فيَخسرُ القريبَ والبعيدَ، والمحاضنَ الآمنةَ والدَّافِئةَ، وما هو أعزّ من المالِ .. فلا يَكادُ يَستمرُّ في عمَلٍ، ولا أن ينجحَ في عمَلٍ؛ لأنه يرى في النّاسِ خَدَماً له، ويأنَفُ أن يرَى نَفسَه في موضعِ الخدمةِ للنّاس، إلا ما كان ما ليسَ منه مَنْفَدَاً .. مكانُه دائماً أن يكونَ شخصُهُ محورَ الحديثِ، ومَلْفَتَ الأنظارِ، ومَشَدَّ اهتمامِ الجميع .. وأن يَأمُرَ فيُطَاع، لا أنْ يُؤمَرَ فيُطِيع .. لو سارَ الحديثُ في أيّ وادٍ، لردَّ الحديثَ إلى وادِه، ونفسِه، وما حَصَل معه، وله .. الفَشَلُ حليفُه وعِنوانُه، فهو فاشِلٌ في نفسِه، ويُفشّلُ مَن مَعه، ومَن له حكمٌ عليه .. يُلْغي كلَّ مَن أمَامَه لو استطاع .. إن كان له شريكٌ ـ في أي مجالٍ من مجالاتِ الحياة ـ ينبغي على شَريكِه ـ إن أرادَ للشَّراكةِ أن تستمرَّ ـ أن يكونَ من أمواتِ الأحياءِ؛ بلا مشاعر، ولا إرادة، ولا رأي، ولا اختيار .. وأن لا يَرى إلا ما يحبّ الطَّرفُ الآخرُ له أن يَراه، ولو رآه يَراهُ كما يُريدُ الطَّرَفُ الآخرُ له أنْ يَراه .. وعلى مبدأ زعيم الطُّغاة فرعون:[مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى]. وهذا مَرضٌ عُضَالٌ مُنفِّرٌ، يَصعُب التَّعرّفُ عليه من الوَهلةِ الأولى، من غير خِلطةٍ ومُعامَلَة، يَستَعصِي على الأطباءِ النفسيين مُعالجتَه؛ لأن صاحِبَه لا يَعترفُ بمرَضِه، ويرى نفسَه فوقَ النَّقْدِ، والنَّصيحَةِ، أو أن يُشارَ إليه بالمرَض، بينما الاعترافُ بالمرَضِ هو الخطوة الأولى نحو علاجِه!

والنّاسُ مُتفاوتون في مُصابِهم بهذا الدّاء؛ فمنهم المُصابُ به مائة بالمائة، ومنهم خمسون بالمائة .. ومنهم مَن هو دونَ أو فوقَ ذلك .. عافانا اللهُ وإيَّاكم منه.

* * * * *

623- فقهُ الأخلاق.

كما ينبغي على الفقيه أن يتحرّى في فقهه وفتاويه فقه الواقع وما يقتضيه، وسلامة مقاصد الدين، والتيسير ما لم يكن إثماً .. كذلك يتعين عليه أن يتحرَّى في فقهه وفتاويه أخلاقَ النبيّ ﷺ، وما يُستنبَطُ منها من فقهٍ وأحكام، وما تقتضيه من رِضا واستحسان، أو بغضٍ وكراهية .. فيفتي بما تقتضيه وتوجبه وترتضيه أخلاقُ النبي ﷺ .. وهذا يستدعي من الفقيه أن يجري دراسة تحليلية دقيقة لأخلاقِ النبي ﷺ، ليستنبطَ منها الأحكام، ويستلهمَ المواقف المناسبة، فيتساءل قبل أن يصدر الفتاوى والأحكام: هل في هذه الفتوى

أو هذا الموقف موافقة لما تقتضيه أخلاقُ النبي ﷺ، أم لا .. وهو ما أسميه بـ " فقه الأخلاق "، وهو فقه واسع وضخم، قَلَّ مَن يتنبَّه إليه!

* * * * *

624- وفاة الوالدة رحمها الله.

صبيحة يوم الإثنين 22 من شهر رمضان المبارك، لسنة 1440 هجري، الموافق 2019/5/27 ميلادي توفيت الوالدة الحبيبة " هندية مُحَمَّد عكرة " في مَهجَرها في مدينة اسطنبول، عن عمر ناهز التسعين عاماً، رحمها الله.

ماتت مهاجرةً، صابرة، محتسبة، مُحبَّةً لله، ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين .. مباينةً للشرك والمشركين، والظلم والظالمين.

ماتت التي نهارها صيام، وليلها قيام، وتهجد، ودعاء، وبكاء .. تناجي ربها القبول، والعفو، والرحمة، وحسن الوفادة والختام.

ماتت الحبيبةُ، وبموتها يُغلَق دون أبنائها بابٌ من أبواب الجنّة، اسمه " بابُ الوالد "، ليلتمسوا لأنفسهم العوَض من الأبواب الأخرى ... وأَنَّى!

ماتت الحبيبة وهي في كامل عقلها ووعيها، بل وهي في أكمل ما يكون عقل ووعي الإنسان .. وهذا من فضل الله تعالى عليها.

ماتت الحبيبة، ولا نقول على فقدها الأليم إلا ما يُرضي الربّ سبحانه وتعالى .. فله ما وهب، وله ما أخذ، وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم اغفر لوالدتي، وارحمها، وأدخلها جنّتك، وألحقها بالصّالحين؛ من الأنبياء، والصديقين، والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً .. وأنت أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.

ولكل من واسانا بكلمة عزاء، له جزيل الشكر، وخالص الدعاء .. وصلى الله على سيدنا ونبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

625- الوالدة وكفَنُها.

قبل أشهر من وفاة الوالدة الحبيبة، طلبت مني أن أجهّز لها كفنها، وهو عبارة: عن سروال داخلي أبيض حتى الركبة، أسفله مشدود بالمطاط، وبيجامة بيضاء حتى أسفل القدمين، وجراب أبيض، وبلوزة بيضاء، وثوب أبيض يغطي جميع جسدها حتى الأخمصين، وغطاء أبيض للرأس، ثم بعد ذلك ثلاثة أثواب؛ تُلَف بها فوق الثياب المذكورة .. ولم يكن لي إلا أن أفعل، وأنفّذ طلبَها!

لكن الفضول جرّأني أن أسألَها عن السّبب الذي حملها أن يكون كفَنُها بالمواصفات المذكورة أعلاه ...؟!

قالت: لا أريد للملكَين عندما يُجلساني للسؤال، أن يَريا شيئاً من جسدي .. أتريد أن تتكشّف عورتي لهما؟!!

قلت: يا سبحان الله .. امرأة تجاوزت التّسعين عاما، وهي حبيسةُ بيتها طيلة عمرها .. الشّمسُ لا تَعرفُ وجهَها .. من حقّها أن تفكر بهذه الطريقة، وهذا الأسلوب ...!

رحمك اللهُ يا أُم، وغفر لك، وأسكنك فسيحَ جنّاته ...!

* * * * *

626- شكراً لزوجته ...!

في موطن افتقدتُ فيه عنواناً مهمّاً لي، يجبُ أن أصلَ إليه في وقت محدّد، فعلاني الهمُّ، والغَمُّ .. فأخذت أتفرّسُ وجوهَ الناس ـ وأزعمُ أن فراستي قليلاً ما تُخطئ ـ أيُّهم يمكن أن يرشدني إلى العنوان المطلوب .. فوقع بصري على رجل مُعمّم، ومُجلبَب، عليه سمتُ الشيوخ، ولم أنتبه أن زوجته المنقّبة بجواره .. فقصدته أسأله عن العنوان إن كان يعلمُ عنه شيئاً أو يستطيع أن يدلّني إليه .. فعلاني ببصره .. وعبَسَ وبَسَر .. ثم عبَس وبَسَر .. ثم قطّب حاجبَيه؛ فرفع أحدهما وأنزل الآخَر .. وكأنه يقول لي: كيف تتجرّأ على إيقافي وسؤالي، وزوجتي بجواري .. فقَطَع عليّ أنفاسي، وزادني همّاً على همّ، وغمَّاً على غمٍّ .. وأدركتُ أنّ فراستي هذه المرة قد أخطأت .. فأدركَت زوجتُه الحرجَ الذي وقعتُ فيه، فقالت: يا أخي، العنوان الذي تسأل عنه، هو في موقع كذا، وكذا ...!

وها أنذا أقول: شكراً لزوجته ...!

* * * * *

627- عادةٌ تركيّةٌ حسَنةٌ جميلة.

عادة تركيّةٌ حسَنةٌ جميلةٌ؛ وهي ما إن يتوفّى امرؤٌ أيّاً كانت جنسيّتُه، إلا ويتكفّل جيرانه الأقربُ إليه، بإمداد أهل الميت بالطعام على مدة ثلاثة أيام، على اعتبار أنهم في حزن وشغل بميتهم عن إعداد الطعام لأنفسهم، وهذا الفعل الحميد مقتبسٌ من سنّة وتوجيهات النبي ﷺ، كما في الحديث الصحيح، لما توفي جعفر بن أبي طالب ﷺ، قال النبي ﷺ:" اصنعوا لآلِ جعفر طعاماً؛ فإنه قد أتاهم أمرٌ يشغلُهُم ". وفي رواية:" فقد شُغِلُوا عن أنفُسِهم ".

وهذا ما لمسناه من جيران الوالدة رحمها الله لمّا توفّيت .. فكان لتضامنهم، ووقوفهم بجوارنا، وصنيعهم النبيل هذا بالغ الأثر في التّخفيف عمَّا نزلَ بنا وشَغلَنا .. جزاهم الله عنَّا خير الجزاء.

* * * * *

628- واجهةُ المجتمعات.

خمسُ جهاتٍ مسؤولة عن الصورة التي تُعطَى عن المجتمعات، لكل غريب وافدٍ إليها: أصحابُ الفنادقِ، وأصحابُ المطاعم، وأصحابُ مكاتب العقارات، والشَّرِطةُ، وسائقو التّكاسي .. وهذه جهات أرى أن لا تُعطى رخصةً لممارسة العمل، إلا بعد تجاوز دورات تربويّة تتعلق بالآداب العامّة، وآداب المهنةِ، وكيفيّة التعامل مع الناس، وبخاصّة الوافدين منهم.

* * * * *

629- الكُميتُ والطّرمَاحُ!

ورَدَ في ربيعِ الأبرار: أن الناسَ لم يروا أعجبَ حالاً من الكُميت والطُّرماح؛ كان الكُميتُ عدنانيّاً عصبيّاً، وشيعيَّاً من الغالِيةِ، ومتعصباً لأهلِ الكوفة، والطِّرماحُ قحطانياً عصبياً، وخارجيَّاً من الصفريَّةِ، ومتعصباً لأهل الشام، وبينهما من المُخالَصةِ والمخالَطة ما لم يكن بين نفسين قط، لم يكن بينهما صرمٌ ولا جَفوةٌ، وقيل لهما: علامَ تصادقتما؟! قالا: على بغضِ العامّة!!

فعلى ما بينهما من تنافرٍ وتباعد في الاعتقاد والانتماء، إلا أن الذي جمعَ بينهما بغض وعداوة السواد الأعظم من المسلمين .. وهو حِلفٌ قائمٌ ومستمرٌّ يتوارثُه أحفادُ الكُميت والطّرماح في زماننا، وكلّ زمان!

وكان الكُميت الشيعي يقول في صاحبه الطّرماح الخارجي:

إذا قُبِضَت نفسُ الطّرماحِ أُخْلِقَت ... عُرى المَجدِ واسترخَى عَنانُ القصائد!

* * * * *

630- الوالدةُ وطلَبُ العِلم!

رغم أن الوالدة رحمها الله قد تجاوزت التسعين عاماً، وكانت أمّيّةً لا تقرأ ولا تكتب .. إلا أنها كانت شغوفة جداً بطلب العلم، كانت تحفظ من كتاب الله تعالى أكثر من تسعمائة آية عن طريق السمع، ولأَن تسمع حديثاً واحداً من أحاديث النبي ﷺ، أحب إليها من المال والطعام والشّراب .. ومَن كان يريد أن يتقرب إليها، أو يسدي إليها هدية أو معروفاً، فالهدية المفضلة لديها أن تُسمعها موعظةً أو حديثاً عن رسولِ الله ﷺ.

وقد منَّ الله تعالى علي أن قرأت عليها كتاب " الأحاديث المنتخبة في الصفات الست للدعوة إلى الله "، للشيخ مُحَمَّد يوسف الكاندهلوي، وهو مجلد يحوي على أكثر من ألفٍ وخمسمائة حديث نبوي شريف، كما قرأت عليها القسم الأكبر من كتاب رياض الصالحين، وكتاب " حقوق وواجبات شرعها الله للعباد "، وكانت فرحتها بابتداء الدرس والقراءة لا تُوصَف، كما أن حزنها الشديد عند انتهاء القراءة والدرس لا يوصَف .. وكم كنت أجد حرجاً في أن أنهي الدرس .. أو عندما أصل لمرحلة إنهاء الدرس .. وكم كانت

ترجوني في أن أمدد من وقت الدرس والقراءة ما استطعت والذي كان يزيد عن الساعة، وأحياناً عن الساعة والنصف .. وما بين بداية الدرس ونهايته كانت رحمها الله دائمة البكاء، والدعاء، والرجاء، وبخاصة عندما نمر على أحاديث الوعد والوعيد، أحاديث الجنة ونعيمها، وأحاديث النار وعذابها!

رحمكِ الله يا أم، وغفرَ لكِ، وأسكنكِ فسيحَ جنّاته .. وصلى الله على سيدنا ونبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

631- لا تنافر بينهما.

توجد مدرستان فقهيتان: المدرسة المقصديّة، التي تهتم بمقاصد النصوص والأحكام الشرعية، أكثر من النصوص والأحكام ذاتها، فتغلّب المقاصد على الأحكام، وهناك مدرسة في المقابل تهتم بالنصوص والأحكام الشّرعية دون الالتفات كما ينبغي للمقاصد منها .. فتظهر المدرستان وكأنهما مدرستان متنافرتان ومتضادتان .. وهذا خطأ يتنافى مع تعاليم ومبادئ الشريعة الإسلاميّة الغرّاء.

والنّظرة التوفيقيّة الوسط لهذه المسألة، أن يُنظَر للنصوص والأحكام، والمقاصد على أنها منظومة شرعيّة واحدة تكمّل بعضها بعضاً، لا تنافر ولا تضاد بينهما.

* * * * *

632- العيبُ فينا!

كثير منّا يرد عيوبه، وعيوب ظاهرة الغلو، والإفراط التي يعاني منها بعض الناس، إلى ما تركه بعض العلماء المتأخرين من إرث علمي وفقهي، وتحديداً الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله .. ومن ثم تراه يُطالب بحرق ووأد كتب وتراث هؤلاء العلماء، وبالثورة على إرثهم العلمي، ليسلم له الشباب بزعمه من الغلو والتطرّف!

ولهؤلاء نقول: قد وجدنا ناساً ـ ليسوا بقليل ـ كانوا وهابيين، فانقلبوا على الوهابية، وصاروا ضد الوهابية .. وكانوا سلفيين، فانقلبوا على السلفية وصاروا ضدها، وكانوا مذهبيين متعصبين للمذاهب، فانقلبوا إلى اللامذهبية، والعكس .. وكانوا مع القاعدة، فانقلبوا؛ فصاروا ضد القاعدة .. كانوا من الغُلاة فجنحوا إلى الإرجاء، والجفاء .. كانوا في اليمين فجنحوا إلى أقصى اليسار، والعكس .. وهم قبل وبعد التغيير والتحول لا يزالون قساة أجلافاً .. إقصائيين واستئصاليين .. لأدنى خلاف مع أحدهم تراه يغلي عليك غلي القدور، يستحل دمك، وربما يطلق عليك إطلاقات التخوين والتّجريم والتضليل، والتي هي من مرادفات التّكفير ...!

المشكلة كانت، ولا تزال، وسببها الحقيقي من عند أنفسنا، وليس من عند علمائنا، وإرثهم العلمي .. نحن يجب أن نعترف أننا نعيش أزمة خلق، وأدب، وتربية .. نعيش أزمة في التلقِّي؛ كيف نتلقى ونفهم هذا الدين الحنيف، وما تركه العلماء من إرث علمي وفقهي، وكيف نتعامل معه.

نعم، لا تخلو كتب كثير من العلماء وبخاصة منهم المتأخرين، من المذهبيين واللامذهبيين .. من السلفيين وغير السلفيين .. من إطلاقات متشابهة حمالة أوجه وتفاسير، بل وأحياناً قد تكون خاطئة، بعضها يجنح إلى الإفراط والغلو، وبعضها الآخر يجنح إلى التفريط والجَّفاء .. والحل حينئذٍ لا يكمن بتهييج العوام على هؤلاء العلماء وعلى إرثهم العلمي، أو بالدعوة إلى حرق وإتلاف كتبهم وإرثهم .. وإنما يكمن في تحصين أنفسنا، وشبابنا بوسائل التّلقي الصحيحة، التي تؤدي إلى الفهم الصحيح، وبالتالي إلى السلوك الصحيح .. وتعيننا على التمييز بين الغث والثمين .. بين الصالح والطالح .. بين الخطأ والصواب .. يكمن في تربية أنفسنا وشبابنا على الأخلاق الحميدة، والآداب الرفيعة، وعلى التوسط في التديّن من غير جنوح إلى إفراط أو تفريط، فإن لم نتنبه لذلك، ولم نصحح المسار .. فالمشكلة ستبقى، وستبقى، وتتمدد .. حتى لو حرقنا وأتلفنا جميع كتب علمائنا وسلفنا الصالح المتقدمين منهم والمتأخّرين!

في اليوم الواحد تُطبَع آلاف الكتب، وآلاف النشرات والمجلات، هذا غير الذي يُنشَر عن طريق الانترنت وصفحاته .. وغير الذي يُنشر عن طريق السمعيات .. فكيف السبيل للتحصّن مما فيها من أخطاء، وانحرافات؟ الجواب: ما ذكرناه آنفاً وأعلاه، لا غير.

* * * * *

633- أكمِلْ الآية يا دكتور مُحَمَّد راتب النَّابلسي!

يعتمد أسلوب الدكتور مُحَمَّد راتب النابلسي الدعوي، على توجيه الخطاب إلى الفرد باعتباره مكمن الداء والدواء معاً، وأن إصلاحه هو كل الدواء .. وبإصلاحه يصلح المجتمع .. بعيداً عن الإشارة إلى دور الحكام ومسؤولياتهم في الإفساد أو الإصلاح .. وبالتالي فإن خطابه الدعوي ـ على كثرة مواعظ ومحاضرات ومؤلفات الدكتور ـ تندر فيه الإشارة الصريحة إلى دور الحكام في الإفساد، والإصلاح .. وإلى مسؤولياتهم في الإفساد والإصلاح، علماً أن الفساد الأكبر للمجتمعات يأتي من جهة فساد الحكام، كما أن الإصلاح الأكبر يأتي من جهة صلاحهم .. وقد تضافرت الأقوال على أن صنفان من الناس، يصلح الناس بصلاحهما، ويفسدون بفسادهما: العلماء، والأمراء .. وفي الأثر عن عثمان بن عفان ﷺ:" إن الله ليَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن "، وقد أُثر عن بعض السلف أنه لو كان له دعاء مستجاب، لجعله للحاكم، لما في صلاحه من آثار إيجابيّة تنعكس على المجتمع كله، لا يمكن أن تتحقق بصلاح غيره .. لكن عما يبدو الإشارة إلى فساد الحكام وظلمهم، والعمل على إصلاحهم يترتب عليه تكاليف وضرائب باهظة، لا طاقة

للدكتور بها، بخلاف الإشارة إلى فساد الأفراد، ومن ثم العمل على إصلاحهم، فلا ضريبة لها، ولا تكاليف، وهو ميدان مسموح به للجميع، لا يُزعج طغاة الحكم والظلم شيئاً.

ليس مرادنا من هذه المقالة بحث هذا الجانب من دعوة وأسلوب الدكتور، فهذا قد يكون له موضعا آخر، وإنما أردنا منها أن نشير إلى جزئية هامة استوقفتنا مراراً، ولأكثر من عشرين مرة، وهي أن الدكتور ـ وفي كلمات ومحاضرات متفرقة وعديدة، وفي مواطن مختلفة ـ إذا أتى على ذكر قوله تعالى:[وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]النور:55. وبعد أن يقول مقولته المتكررة والمعروفة: أن زوال الكون أهون على الله من أن يخلف وعده .. وبعد أن يعدد المنَح والعطايا الوارد ذكرها في الآية الكريمة والتي هي مضمون الوعد .. يقول: أن هذا كله مقابل تحقيق الشرط، ما هو هذا الشرط [يَعْبُدُونَنِي]، فيقف عند كلمة [يَعْبُدُونَنِي]، ولا يتجاوزها، ويمتنع عن ذكر تتمة الشّرط [لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]، وهذا نقص مخلّ يُسيء للوعد، وللواعد، والموعود، ويحمل الناس على أن يكذّبوا الخالق سبحانه؛ فيقولون: عبدنا الله، ولم يحقق لنا ما وعدنا به في الآية الكريمة الوارد ذكرها أعلاه .. بينما وعد الله حق لا مرية ولا ريب فيه، لكنه مشروط، وهو لا يتحقق إلا إذا تحقق الشرط كاملاً، وهو [يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]، والدكتور وللأسف لم يذكر إلا نصف الشرط المتعلق بالعبادة، وعلى طريقة من يذكر النصف الآخر من شهادة التوحيد " إلا الله "، دون قوله تعالى:[لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]، والذي يعني ويفسر الشطر الأول من شهادة التوحيد " لا إله " ...!

ظللنا نلزم أنفسنا بتحسين الظن للمرة العاشرة، وفي كل مرة نقول: لعل الدكتور قد نسي أو لم ينتبه أو أو .. لكن لمَّا تكرر ذلك لأكثر من عشرين مرة، وكان آخرها في الكلمة التي أرسلها للأخوة السوريين، في المهرجان الذي أقاموه في مدينة الباب بتاريخ 2019/7/17، أدركت أن هذا الاقتصار على ذكر نصف الشرط مُتعمّد، ومن ثم هو الذي يتوافق مع منهج الدكتور الدعوي، الذي يبتعد فيه عن ساحة الطغاة الظالمين .. إذ أن الإشارة إلى الشطر الثاني من الشرط [لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]؛ مما يعنيه الكفر بالطواغيت الظالمين، وبمناهجهم ودساتيرهم الشركية، والبراء منهم، ومن جميع أعمالهم، وسياساتهم الشركية والباطلة .. وهذا ما لا يروق للدكتور ذكره، ولا يريد الاقتراب منه.

قد يكون للدكتور في نهجه الذي ينتهجه تأويله الخاص به .. لكن لا نقبل منه ولا من غيره أن يتكلم عن وعد الله ـ وبصورة متكررة وفي مواضع مختلفة ـ ثم يكتم الشرط الذي اشترطه الله تعالى لتحقيق وعده لعباده المؤمنين ...!

2019/7/26

* * * * *

634- حُرِمنا نعمةَ الحكم بما أنزل الله لسبب من عند أنفسنا!

الحكمُ بما أنزل الله تعالى نعمةٌ عظيمة، لا توازيها نعمة، يعمُّ خيرها جميع الخلق، بها تصلح وتستقيم مصالح وشؤون البلاد والعباد، وبها تسعد وتأمن وتهنأ، قال تعالى:[وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]البقرة:179. وقال تعالى:[وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى]طه:124. وذِكرُ الله؛ حكمه وشرعه.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:[إقامةُ حدٍّ في الأَرضِ؛ خَيرٌ لأهلِها مِن مَطرِ أربَعين ليلةً ".

هذا الخير كله، وغيره، حُرِمناه لسببٍ من عند أنفسنا، إذ منّا من يدعو إلى الحكم بما أنزل الله، فإذا ما دُعِي هو لأن يحكم في نفسه، وفيما يختلف فيه مع الآخرين بما أنزل الله .. كان أول المعرضين والمعارضين، والمدبرين ...!

إن كان الحكم له أقبل، وإن كان الحكم عليه أدبَر ...!

يُطالبون الحاكمَ العام أن يحكم بما أنزلَ الله .. وهم في أنفسهم، وعوائلهم، ومؤسساتهم، وجماعاتهم، وأحزابهم .. فيما بينهم .. لا يحكمون بما أنزل الله!

يبغون ويظلمون، وينتهكون الحقوق، ويستحلون الحرمات .. ثم يردون فعالهم القبيحة إلى الشّريعة، وحكم الشريعة!

وفريق آخر يدعو إلى الحكم بما أنزل الله وفي نفسه حرج من بعض ما أنزل الله؛ فيتحرّج ويستحي من بعض الأحكام المتعلقة بالقصاص، ويتمنى أنها لو لم تكن في دين الله .. فيكون مثلهم مثل من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض!

ولما وجَدَنا الله تعالى غير صادقين ولا جادين في سعينا لتطبيق شرعه وحكمه .. وأن دعوانا لا يعدو عن كونه زعماً لا حقيقةً .. سلبنا نعمةَ الحكم بما أنزل الله .. وهي نعمة لا يستحقها إلا من سعى لها سعيها بصدق وجد وإخلاص، وارتفع إلى مستواها!

* * * * *

635- القبائلُ الخمسةُ الحاكمة.

تُعِيب المدنيّة المعاصرة المتحضّرة النظام القبلي القديم، والولاءات التي تُعقَد على أساس الانتماءات القبليّة .. وتعد ذلك من التخلف الذي ينبغي على الشعوب الرّاقية الحرة أن تترفّع عنه .. ثم أننا نجد في المقابل هذه المدنيّة المعاصرة المتحضرة، تقسم العالَم كله ـ بما في ذلك الشعوب التي تزعم لنفسها التحضر والتّحرر ـ إلى خمسة قبائل لا غير، كل قبيلة لها خاصية تجعلها فوق المساءلة والمحاسبة مهما بغت وطغت وأجرمت، وما سواها من القبائل مهما عظمت تُسأل وتُحاسَب، لذا على الجميع ـ حتى يجد لنفسه الحماية

من أن تعدو وتسطو عليه بقية القبائل، وحتى يُمنح الحصانة من المساءلة والمحاسبة ـ لا بد له من أن يدخل في حلف وحماية قبيلة من تلك القبائل الخمسة، هذه القبائل هي الدول الخمسة الي تملك حق الفيتو: الصين، روسيا، أمريكا، بريطانيا، فرنسا .. وعند التأمّل نجد لا فرق بين نظام هذه القبائل الخمسة، وبين القبائل السائدة في النظام القبلي القديم، سوى أن القبيلة من القبائل الخمسة أكبر من حيث الحجم والكم، ومن حيث الصلاحيات والنّفوذ، والوسائل .. وهذا يعني أن النّظام القبلي هو الذي يحكم العالَم اليوم كل العالم، مهما زعموا خلاف ذلك، وزعموا المدنيّة والتّحضّر!

* * * * *

636- قفص الطيور والشّعوب.

زرت أخاً عنده قفص فيه طيور، مضى على وجودها داخل القفص أكثر من سنة، فحدثتني نفسي أن أفتح لها باب القفص داخل البيت؛ لأنظر ماذا ستفعل .. وكيف ستتصرّف .. ففتحت لها باب القفص .. ولأكثر من ساعة والطيور تتردد في الخروج من القفص، إلى أن خرجت وما كادت أن تفعل .. وعندما خرجت من القفص وجدتها لا تُحسنُ الطيران كما ينبغي، فما إن يرتفع أحدُهم إلا ويسقط على الأرض .. ثم وجدتها تجتمع حول القفص، تحنُّ للعودة إليه، والدخول فيه من جديد!

وهكذا حال الشعوب المستعبدة من قِبل حكامها؛ لطول عهد العبودية واستمرائها، تراهم يترددون ألف مرة ومرة في نيل حريتهم أو حتى المطالبة بها، والسعي لها، أو الحديث عنها .. تعتريهم عقبات الخوف من المجهول والمآلات .. وأحاديث مشايخ السوء عن الفتنة ونومها العميق، ولَعْنُ الله لمن يوقظها، لهم بالمرصاد .. ثم هم بعد طول تردد وتفكّر لو خرجوا من قفص العبودية ينشدون الحرية .. تراهم يتخبّطون .. ويتعثّرون .. لا يحسنون التصرف ولا الانطلاق .. مركب ما اعتادوا عليه من قبل .. ثم مع الأيام تراهم يشحّون على الحرية الضريبة التي كانوا يدفعون عشرات أضعافها للطغاة الظالمين المستبدين .. فيحنّون إلى عجل العبودية .. وترتفع فيهم أصوات المرجفين: لندخل في عبودية الطغاة المستبدين من جديد .. لنستريح ونُريح، فالعبودية أروَح لنا، وأقل كلفة علينا .. وقد اعتدناها .. لا طاقة لنا بالحرية، ولا بضريبتها .. شرّ نعرفه وقد ألفناه خير من خيرٍ لا نعرفه!

ولهؤلاء وللطيور معاً، يُقال: لو كرروا التجربة .. وصبروا عليها .. وحاولوا مرة بعد مرة .. لأحسنوا الطيران، واستعذبوه .. وأحسنت الشعوب الانطلاق لنيل حريتها واستقلالها من العبوديّة للعبيد .. واستعذبت نسيم الحريّة.

* * * * *

637- مقابلة صحفية!

استوقفتني مقابلة صحفية أُجريت مع شخصين: أحدهما عربي، والآخر أوربي .. وكان الصحفي ما إن يسأل سؤاله، إلا ويُسرِع العربي في الإجابة عن سؤاله، من دون أن يُعطي لشريكه الأوربي فرصةً في الحديث والمشاركة .. وكان الأوربي يُقبل بوجهه وبصره على العربي، ينظر إليه نظرة المستمع، مشوبة بدهشة واستغراب من سرعة إجابته من دون أن يعطيه فرصة للمشاركة في الإجابة عن الأسئلة .. فانتهت المقابلة الصحفية، وكانت كلها من نصيب الفارس العربي، بينما الأوربي لم يتكلم كلمة واحدة ...!

حقاً نعيش أزمة أدب وخلق حسن الاستماع .. يظن الكثير منا ـ وبخاصة في عالمنا العربي ـ أن كثرة الكلام، والذي يتكلم أكثر؛ فلا ينصف أذنيه ولا آذان جلسائه من لسانه .. يعني أنه الأعلم، والأفقه، والأكثر دراية وفهماً .. وهذا فهم خاطئ ومغلوط، يستوجب المراجعة والتّصحيح، فكم من صامت أعلم وأفقه من كثير من المتكلمين، وصمته أبلغ وأفصح من عشرات المتكلمين .. ثم حتى لو كان المتكلم هو الأعلم والأفهم، فإن للإستماع آداب لا بد من مراعاتها!

* * * * *

638- المعلّم.

جميع المهن والاختصاصات التي تدير وتسوس شؤون المجتمع؛ من الزّبال مروراً بالمهندس، والطّبيب، والتّاجر، والمزارع، والصنائعي، والقاضي، والجندي، والشَّرَطي، والطيّار، والوزير إلى الرئيس .. جميعها تمر على المعلّم، وعلى مدرسة المعلّم .. وفي أهم مراحل تكوين شخصية الإنسان، وتحديد توجهه .. والمعلم يترك أثره وبصماته بشكل مباشر على أصحاب جميع تلك المهن والاختصاصات إن خيراً فخير، وإن شَرّاً فشر.

وبالتّالي فإنّ الإساءة للمعلّم ولمهنة ورسالة المعلم، هي إساءة مباشرة لجميع الاختصاصات والمهن التي تحكم وتدير شؤون المجتمع .. بل هي إساءة للمجتمع كله .. ولا نبتعد عن الصواب لو قلنا: أن فساد وصلاح الأجيال والمجتمعات مرهون بفساد وصلاح المعلّم، وعلى قدر ما ننجح في إيجاد المعلم المخلص والنّاجح، على قدر ما ننجح في إيجاد جيلٍ واع ومسؤول، ومجتمع خالٍ من الجرائم والأمراض والفساد.

أيام زمَان كانت البنت ذات الدّين، والجمال، والحسَب والنّسَب، إذا خُيّرت للزّواج .. تختار من الرّجال: المعلّم .. رحمَ اللهُ تلك الأيّام!

كنَّا في زمانٍ نَهابُ المُعَلِّمَ أن يَرانا في الشّارِع، وأصبَحْنا في زمانٍ يَهابُ المعلّمُ التلميذَ أن يراه في الشَّارِع!

* * * * *

639- المساحة بين الاعتقاد والعمَل.

في كثير من الأحيان توجد مساحة بين الاعتقاد، وبين العمل، وترجمة الاعتقاد إلى عمل، فيتخلّف العمل ـ لسبب أو لآخر ـ عن مواكبة الاعتقاد .. ففي هذه الحالة يجب الحفاظ على الاعتقاد كاملاً غير

منقوص، وتعزيزه باستمرار، في عالم الشعور، واليقين، والتصديق، كالاعتقاد بوجوب تطبيق شرع الله تعالى المنزَّل كاملاً، وأن شرع الله تعالى المنزل هو الأمثل والأحكَم، وأنه يصلح لكل زمان ومكان، أو الاعتقاد بوجوب قيام خلافة راشدة تجمع كلمة جميع المسلمين، أو قيام دولة يحكمها الإسلام، وتُساس بتعاليمه، ونحو ذلك من الاعتقادات العامّة .. فهذه اعتقادات يجب أن تبقى ثابتة في نفوس المسلمين لا تقبل النّقصان ولا التغيير، مهما قصُر العمل عن تنفيذها وترجمتها إلى عمل على أرض الواقع .. والواجب في هذه الحالة يُلزِمُ بتنزيل هذه الاعتقادات على الواقع بالتدرّج، بحسب القدرة والاستطاعة، لقوله تعالى:[فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ]التغابن:16. ولقوله تعالى:[لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا]البقرة:286. ويكون العمل على هذا المحور مستمر، إلى أن يكتمل تنزيل كامل شرع الله تعالى المنزل على أرض الواقع، وفي جميع مجالات الحياة.

والذي حملني على الإشارة إلى هذا الأمر أن فريقاً يجعل من لوازم العجز عن تنفيذ أمر من أمور الشريعة أو مبدئ من مبادئها سبباً كافياً لإنكار وجحود هذا الأمر والمبدأ، على اعتبار أنه لا يمكن تطبيقه في هذه المرحلة أو هذا الزّمن .. وهذا خطأ كبير، فالعجز عن الفعل، لا يبرر جحود ما تم العجز عن فعله، وإلا للزم في النهاية جحود الشريعة كلها أو غالبها .. وهذا منتهى يُفضي إلى المروق والخروج من الدين والعياذ بالله.

* * * * *

640- ثورةٌ عالميّة.

كما أن الشعوب التي تحكمها أنظمة طاغيةٌ ظالمة مستبدة، يتعين عليها أن تثور على ظلم وطغيان واستبداد أنظمتها، وحكامها، وتكون ثورتها حينئذٍ، وكذلك تظاهراتها مبررة ومشروعة .. كذلك على جميع شعوب العالَم الحرة، أن تثور وتتظاهر ضد طغيان وظلم واستبداد " قانون الفيتو الدولي "؛ الذي يمنح خمس دول من دول العالَم دون غيرها، الحصانة من المساءلة والمتابعة، ويجعلها فوق القانون والمساءلة، مهما ظلمت، وطغت، وأفسدت بحق الشعوب .. كما يمنحها الحقَّ في تعطيل العدالة من أن تأخذ طريقها إلى المجرمين والمفسدين الظالمين، مهما اشتد إجرامهم وظلمهم، الذين يحتمون بواحدة من تلك الدول الخمس التي تملك حق الفيتو ...!

فأي ظلم وطغيان وفساد يعلو هذا الظلم، والطغيان والفساد .. وإذا كان هذا الظلم والطغيان والفساد والإستبداد لا يستدعي من الشعوب الحرة أن تثور وتتظاهر ضده .. فأي نوع من الفساد والظلم والطغيان، يستوجب الثورة والتظاهر ...؟!!

وإني لأعجب من بعض الشعوب في بعض البلدان، التي توصَف بأنها حرّة .. تراها تثور وتتظاهر من أجل قضايا فرعية وثانويّة .. بينما من أجل هذه القضية الكليّة العامّة، والتي ضررها يعمّ جميع شعوب ودول العالَم .. تراهم لا ينكرون، ولا يثورون، ولا يتظاهرون!

* * * * *

641- مَن هم أهلُ السنَّة والجَّماعة؟

مَن هم أهلُ السُّنَّة والجماعة .. هذا سؤال يُثار كثيراً، ولا يَزال، تُعقد لأجله كثير من المحاضرات والندوات .. والكل ـ مهما كان واقعه مخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة ـ يدعي أنه من أهل السنّة والجماعة .. والويل لك ـ مهما كنت محقاً ـ لو أخرجت أحدَهم من دائرة أهل السنّة والجماعة .. أو قلت له: فيك خِلال وخصال تخالفُ ما كان عليه أهل السنّة والجماعة .. وترى أحدَهم متلبساً ـ إلى قراميش أُذنيه ـ بالبدع والأهواء .. ثمّ يزكي نفسه على الله؛ فيقول: أنا من أهل السّنة والجماعة ...!

وهذا سؤال ليس لأحدٍ أن يُجيب عنه من تلقاء نفسه؛ لأن النبي ﷺ قد أجاب عنه إجابة محكمة، ووضع الميزان الذي به ومن خلاله يُعرَف من هم أهل السنَّة والجماعة، ومَن هم ليسوا من أهل السنّة والجماعة، ومن يوافقهم، والقدْر الذي يُوافقهم به، فقد صحّ عنه ﷺ أنه قال:" إنَّ بَني إسرائيل تفرَّقت على ثِنتينِ وسبعينَ ملَّةً، وتفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ ملَّةً، كلُّهم في النَّارِ إلَّا ملَّةً واحِدةً "، قالوا: مَن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ:" ما أنا علَيهِ وأَصحابي ". أخرجه الترمذي وغيره. وفي رواية عند أحمد:" قالوا: يا رسولَ اللهِ، مَن تلك الفِرقةُ؟ قال:" الجماعة، الجماعةُ ". أي الجماعة التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام من الاعتقاد، والفهم، والنّهج، والعمل، هذا مقتضى التوفيق بين الروايتين.

وفي رواية عند أبي داود:" وتَفترِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسَبعينَ فِرْقةً كُلُّها في النَّارِ إلَّا السَّوادُ الأعظمُ ". وفي رواية في سندها ضعف تفسر معنى السواد الأعظم، قالوا: يا رسولَ اللهِ مَنِ السوادُ الأعْظَمُ؟ قال:" مَن كان على ما أنا علَيْهِ أنا وأَصْحَابِي". فالجماعةُ تُعرَف بالحقّ الذي هي عليه، وليس بالكم الذي يجتمع على باطل.

مصداق ذلك في كتاب الله، قوله تعالى:[وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ] وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسانٍ [نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً]النساء:115. وقال تعالى:[قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]يوسف:108. فسبيل النبي ﷺ، الذي ارتضاه الله، والذي لا سبيل حق غيره، هو سبيل [

أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي]. وقال تعالى:[قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]آل عمران:31. فعلى قدر المتابعة للسنّة، تكون الولاية والمحبة، وتكون المغفرة.

خلاصة القول: أن أدلة الكتاب والسنة تفيد بأن أهل السنة والجماعة، هم الجماعة التي تكون على كان عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام في الاعتقاد، والفهم والنهج، والعمل، والإلتزام بدين الله .. فكل من تحقق فيه هذا الوصف فهو من أهل السنة والجماعة، شاء من شاء وأبى من أبى، وكل من لم يتحقق فيه هذا الوصف فهو ليس من أهل السنة والجماعة، شاء من شاء وأبى من أبى .. فإن غلب عليه متابعة السنة، وما كان عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام، دون بعض المسائل .. فهو من أهل السنة والجماعة، إلا في بعض المسائل التي خالف فيها، ولم يحقق فيها المتابعة، فهو في هذه المسائل تحديداً ليس من أهل السنة والجماعة .. وكذلك يُقال فيمن كان يغلب على نهجه المخالفة لما كان عليه النبي ﷺ وما كان عليه صحبه الكرام، إلا في بعض المسائل؛ قد حقق فيها صفة المتابعة لما كان عليه النبي ﷺ وصحبه، فيُقال عنه: هو ليس من أهل السنة والجماعة إلا في بعض المسائل التي حقق فيها صفة المتابعة، ووافق فيها أهل السنة والجماعة .. وما يُقال هنا في الأفراد، يُقال في الجماعات والفرق، لا فرق .. هذا ما يقضي به الإنصاف، وما دلت عليه نصوص الكتاب والسنَّة، والله تعالى أعلم.

تنبيه: حتى لا يتم التشويش على المعاني، والمفاهيم ـ وهناك من فعل! ـ يُعرَف أهل السنة والجماعة، والموافق والمخالف لهم .. بالنظر إلى المسائل الكلية العامة، والعقدية .. المجمع عليها في زمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان .. وليس بالمسائل الفقهية العملية، أو النوازل التي تقبل الاجتهاد، ويُستساغ فيها الاختلاف .. أما لفظي السنة والجماعة .. قد وردا منطوقاً ومفهوماً في كثير من النصوص، وقد تقدم بعضها ... واجتمع على المصطلح علماء الأمة الأوائل.

* * * * *

642- مُصطلَحُ السُّنَّةِ وأهلِ السُّنة.

مُصطلَحُ السُّنَّةِ وأهلِ السُّنة يُطلَق؛ ويرادُ منه متابعةُ ما كان عليه النبي ﷺ وصحبهِ الكرام من نهجٍ وسُنّة، في الاعتقادِ والقولِ، والعمل، وهو الغالب والشائع في كتب أهل العلم، التي تدعو إلى متابعة السُّنَّة،

كما في الحديث الصحيح:" عليكُم بِسُنَّتِي، وسُنةِ الخُلفاءِ الراشِدينَ المهدِيِّينَ؛ تَمسَّكُوا بِها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ ".

ويُطلَق؛ ويُرادُ منه مباينةُ ومخالفَةُ البدعةِ وأهلِها، فتُذكَر السُّنّةِ مُقابل البِدْعةِ .. ويُستخدَم في هذا المعنى عند الحديث عن البدع، وأهلها، والتّحذيرِ من آثارها.

ويُطلَق؛ ويُرادُ منه عمُومُ أهلِ السنّةِ المباينين، والمخالفين للشّيعة الروافض، وجميعِ الفرقِ الباطنيّةِ التي خرجت من عباءتهم .. ويُستخدَم في هذا المعنى في معرض الردّ على الشيعةِ الرَّوافض، والفرق الباطنيّة، والحديث عن مخالفتهم ومباينتهم.

فإذا انتفت مناسبَةُ الحديثِ عن البدَعِ وأهلها .. ومناسبَةُ الحديثِ عن الشّيعةِ الرّوافض، والفِرَق الباطنيّة .. فاعلم أن المراد من المصطلح واستخدامه الإشارة إلى سنّةِ النبيّ ﷺ التّقريريّةِ، والقوليّة، والعمليّة، والحضّ على متابعةِ ما كان عليه النبي ﷺ وصحبهِ الكرام من نهجٍ واستقامة.

* * * * *

643- الحجابُ قضيةٌ دينيّة اجتماعيّة.

الحجاب إضافة إلى كونه فريضةٌ دينية، فهو حق عام، وقضية اجتماعية عامّة، تمس المجتمع وجميع ساكنيه، وبالتالي ليس للمرأة تحت عنوان وزعم الحرية الشخصية، الحق في أن تلبس ما تشاء، وتتعرى كيفما تشاء .. فتؤذي بذلك نفسها، والناسَ من حولها، فتفتنهم في دينهم وأخلاقهم، وهذا قدر زائد عن الحرية الشخصية المحترمة، إذ الحرية الشخصية مشروعة ومحترمة ما لم تسبب ضرراً وأذى للشخص ذاته، وللمجتمع الذي يعيش فيه، ولا للناس الذين يساكنهم ويعيش معهم .. فإذا تسببت ـ أي الحرية الشخصية ـ بالضرر والأذى، فلا حق ولا حرية في الضرر والأذى!

جميع حالات الاغتصاب والتحرش الجنسي السائدة في الأمصار، وبخاصة في أمريكا ودول الغرب، مردها إلى التفنن في التعرّي، والخضوع، وارتداء الثياب الفاضحة، والكاشفة للعورات .. والمشرّعون الليبراليون في تلك البلاد من جهة تراهم يشرعون ويبيحون جميع الأسباب التي تؤدي لا محالة إلى الأذى والاغتصاب والتحرش الجنسي .. حتى لا يبقى عند الناس شيئ اسمه دين أو خُلُق .. ومن جهة أخرى يسنون القوانين التي تعاقب على الاغتصاب والتحرّش .. فيشرعون للأذى والضرر، ويمهدون له أسبابه، ثمّ يعاقبون عليه، وعلى من يقترفه، فيناقضون أنفسَهم بأنفسهم ..!

والإسلام ليس كذلك؛ فهو إذا حرّم شيئاً وعاقب عليه، حرّم جميع الأسباب المؤدية إلى هذا الشيئ، إذ لا يصح أن يُعاقب على شيئ هو سبب فيه أو يشرع ويبيح أسبابه .. فهو إذ يُعاقب على الزّنى، يحرم جميع الأسباب المؤدّية إليه .. لذا شرع الحجاب على المرأة لكي لا تُؤذَى، ولا تُؤْذِي، فقال تعالى:[يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ]الأحزاب:59. وقال تعالى:[قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ]النور:30. [وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا]النور:31.

ومن حديث عائشة ﵂، الذي أخرجه أبو داود وغيره: أنَّ أسماءَ بنتَ أبي بَكرٍ دخلَتْ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وعليها ثيابٌ رِقاقٌ، فأعرَضَ عنها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقال:" يا أسماءُ، إنَّ المرأةَ إذا بلغَتِ المَحيضَ لم يصلُحْ أنْ يُرَى منها إلَّا هذا وهذا؛ وأشار إلى وجهِه وكَفَّيْه ".

وقال ﷺ:" إذَا خَرَجَتِ المرأةُ ـ أي من بيتها ـ استشرَفَهَا الشيطانُ ". ينظر كيف يمكن أن يؤذي ويفتن بها العباد .. فكيف إذا كانت هذه المرأة تخرج في كامل زينتها .. تفوح منها رائحة العطور .. وترتدي الثياب الفاضحة البادية للعورات والسوآت .. فإنها حينئذٍ تريح الشيطان، وترسله في إجازة، لتعمل عمله نيابة عنه!

وقال ﷺ:" صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ. ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا " مسلم. هذا الوعيد الشديد بحقهنّ لما يتسببن من أذى وضرر لأنفسهنَّ، وللناس.

وقال ﷺ:" أيُّما امرأةٍ استعطرتْ ثُمَّ خَرَجَتْ، فمرَّتْ علَى قومٍ ليجِدُوا ريحَها فهِيَ زانيةٌ، وكُلُّ عينٍ زانيةٌ ". فهي زانية؛ أي متعرضة للزنى، ومتسببة فيه، فيطالها وزر الزّنى!

* * * * *

644- الرجلُ في خدمةِ نفسِه وأهلِه في بيتِه.

كان الصَّحابي سعيدُ بن عامرٍ الجُمَحي ﵁ من أزهد الناس بالإمارة، إلا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لِما رأى فيه من التقوى والورع، والزهد بالإمارة، أبى إلا أن يوليه على مدينة حمص .. ولمّا زار عمر الشام، نزل في حمص، فاجتمع إليه الناس للسلام عليه، فقال لهم عمر: كيف وجدتم أميركُم ..؟

فشكوه إليه، وذكروا أربعاً من أفعاله يأخذونها عليه .. فجمع عمر بينهم وبين أميرهم سعيد، لينظر ويحكم فيما يأخذونه على أميرهم، ثم قال لهم: ما تشكون من أميركم؟

قالوا: لا يخرجُ إلينا حتَّى يتعالَى النَّهارُ!

قال عمر: ما تقولُ في ذلك يا سعيد؟

قال: والله إنّي كنتُ أكرَهُ أن أقولَ ذلك، أما وإنَّه لا بدَّ منه؛ فإنَّه ليس لأهلي خادمٌ، فأقومُ في كلّ صباحٍ فأعجِنُ لهم عجينَهُم، ثم أتريّثُ قليلاً حتى يختمرَ، ثم أخبزُه لهم، ثم أتوضَّأ وأخرجُ للناس.

قال عمر: وما تشكون منه أيضاً؟

قالوا: إنَّه لا يخرجُ إلينا يوماً في الشّهر!

قال عمر: وما هذا يا سعيد؟

قال: ليس لي خادمٌ يا أمير المؤمنين، وليس عندي ثيابٌ غير التي عليَّ، فأنا أغسِلُها في الشَّهر مرة وأنتظرُها حتى تجِفَّ، ثم أخرُج إليهم في آخر النهار.

وفي نهاية الاستجواب، قال عمر: الحمد لله الذي لم يخيّب ظنّي بسعيد ...!

لهذا الأثر تتمّة، وله فوائد عِدّة، يعنينا منها أن الصحابي سعيد بن عامر الجُمَحي ﷺ علّل في إجابته وسبب تأخره في الخروج إلى الناس، بخدمته لأهله، ولنفسه في بيته، وقد أقره عمر بن الخطاب ﷺ، ولم ينكر عليه .. بل استحسَنَ صنيعَه .. وكونه أميراً على حمص وعلى أهلها لم يجعله ذلك يأنف من خدمة أهله ونفسه داخل البيت .. بينما نحن في زماننا، وفي كثير من مجتمعاتنا، نعد عمل الرجل في بيته، وخدمة أهله عاراً، ومنقصة لرجولة الرجل!

* * * * *

645- الإسلام والإسلاميون!

الإسلاميون كغيرهم من الناس؛ يُخطئون ويُصيبون، فيهم من يَغلب عليه صوابه على خطئه، وفيهم من يغلب خطؤه على صوابه .. يُقال للمصيب منهم أحسنت وأصبت، وللمخطئ أخطأت وأسأت .. فهذا كله لا حرج فيه .. بل هو من التناصح الواجب الذي يوجبه ديننا الحنيف .. لكن لا نقبل أن يتوسع الحديث والنقد ـ تحت أي زعم كان ـ ليبلغ درجة الطعن بالإسلام؛ دين الله المنزَّل .. الطعن بالقرآن والسنة النبويّة المطهرة .. أو الطعن بالأنبياء والرسل صلوات الله عليهم .. أو الطعن بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الطعن بهم طعن بالرسول ﷺ، وطعن بالرسالة معاً.

إذ كثير من العلمانيين الحاقدين، يستغلون الحديث عن أخطاء الإسلاميين، للطعن بالإسلام ذاته، فيستغلون الحديث فيما هو مباح، وما تستسيغه المسامع، للحديث فيما هو محظور، ويمس عقائد وأجل مقدسات الأكثرية والسواد الأعظم من المسلمين، تحت زعم العلمانية، أو الليبرالية، أو الديمقراطية وغيرها من المزاعم الباطلة .. وعلى المسلمين، وبخاصة الدعاة منهم، أن يتنبهوا لهذا الكيد والمكر .. وأن لا تحملهم الأخطاء التي يقع فيها بعض الإسلاميين، على السكوت عن الطعن بالإسلام، أو الخوف من مواجهة كيد ومكر هؤلاء الزّنادقة المارقين .. فالإسلام دين الله المنزّل شيء؛ وهو فوق النقد، أو أن يُساء إليه بقول أو فعل .. والإسلاميون شيء آخر؛ يُشهد على المحسن منهم بأنه محسن، والمسيئ بأنه مسيئ.

* * * * *

646– قاعدة:" نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ".

قاعدة:" نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه "، كيف نفهمها، ونفسرها، وما مدى صحتها "؟

أقول: أطلق بعض أهل العلم المعاصرين هذه القاعدة " نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه "، وهي قاعدة واسعة الانتشار، قد فُهمت من قبل الكثيرين فهماً خاطئاً، كما أنها استغلت استغلالاً خاطئاً .. وطبقت تطبيقاً خاطئاً .. والسبب في ذلك أن القاعدة متشابهة، قد أطلقت من غير تقييد، فحمّلت من المعاني والتفاسير المغايرة مالا يصح .. والتوجيه الصحيح للتعامل مع هذه القاعدة، نراه كالتالي:" نتعاون فيما اتفقنا عليه من الحق "؛ إذ لا بد للشطر الأول من القاعدة أن يُقيد بقيد " الحق "؛ لأنه لا يجوز أن نتعاون فيما اتفقنا عليه من الباطل .. كذلك الشطر الثاني منها:" ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه فيما يجوز ويُستساغ فيه الاختلاف " من مسائل فروع الفقه والاجتهاد .. أما إن كان المختلف عليه لا يحتمل إلا وجهاً واحداً؛ إما حقاً أو باطلاً .. إما معروفاً أو منكراً .. فحينئذ لا يجوز أن نختلف عليه، كما لا يجوز أن نحمل عليه العذر الوارد في القاعدة أعلاه، والدليل على هذا التفسير، وما تقدمت الإشارة إليه، قوله تعالى:[وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]المائدة:2. فالتعاون يكون على البر والتقوى، أما الإثم والعدوان فلا نتعاون عليه، فضلاً عن أن نعذر أصحابه أو يعذر بعضنا بعضاً فيه، والله تعالى يقول:[وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ]آل عمران:64,

وكذلك للأحاديث الكثيرة الثابتة عن النبي ﷺ، والدالة على أن المنكَر يُنكَر، أيّا كان نوعه، وكان صاحبه، ولا يجوز أن يُعذر فيه المخالف، كما في الحديث الصحيح:" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان "مسلم.

خلاصةُ القول: أن القاعدة بهذا القيد:" نتعاون فيما اتفقنا عليه من الحق، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، فيما يجوز ويُستساغ فيه الاختلاف "، تصبح صحيحة .. ومن دونه فهي قاعدة متشابهة، وحمالة أوجه وتفاسير متغايرة.

هذا الضبط للقاعدة بهذا القيد لا يُرضي أهل البدع والأهواء؛ لأنه يمنعهم من استغلالها لمآربهم الخاصة والخاطئة!

* * * * *

647– كفرٌ لا ينبغي أن يُؤخَّر!

جرت العادةُ في بلاد الغرب أن من يريد أن يدخلَ الإسلام من غير المسلمين، يقصد المسجد يوم الجمعة، ليُشهدَ خطيبَ المسجد، والمسلمين على إسلامه .. فيتعمد الخطيبُ أن يؤخّر إسلامه إلى ما بعد إنتهائه من الخطبة، وأحياناً إلى ما بعد انتهاء الصلاة، ثم بعد ذلك يتفرّغ له ...!

وهذا خطأ من وجهين: أولهما بحق دين الله؛ إذ أخَّرَ الكفرَ لساعة أو نصف ساعة .. وكان بإمكانه أن يزيله قبل ذلك، لكنه لم يفعل .. وهذا لا يجوز!

ثانيهما: بحق الشخص الذي يريد أن يُسلم؛ إذ من الممكن أن يموت في هذه الساعة، أو النصف ساعة، قبل أن ينطق بالشهادة .. ولو مات قبل أن ينطق بالشهادة، لكان من أهل النار .. ويكون السبب في ذلك، الخطيب الذي أخّر إسلامه!

ولأجل الخطئين الآنفي الذكر قد نص أهل العلم أن الكافر لو جاء إلى مسجد من مساجد المسلمين يوم الجمعة، والخطيب على المنبر، فقال الكافر: أريد أن أسلم، ماذا أقول؟ لتعيّن على الخطيب أن يوقف خطبته مباشرة، وينزل عن المنبر، ويلقنه الشهادة، ثم يعود يستأنف خطبته من جديد .. ولا أعلم في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم.

* * * * *

648- صفات المشايخ الحداثيين.

إن قيل: هل يوجد مشايخ حداثيون، يعتقدون الحداثة أو ملوثين بفكر الحداثة؟

أقول: نعم ـ وللأسف ـ يوجد، وهم الطرف الأخطر في الموضوع؛ لأنهم يرتدون ثوب الدين، ويتكلمون ويوقّعُون باسم الدين، ويُجادلون عن الحداثة وأفكارها، أو بعض أفكارها باسم الدين .. فهم من هذا الجانب أكثر شراً وضرراً، وإضلالاً للناس .. من أبرز صفاتهم:

1- تقديم العقل على النقل الصحيح، ومعارضة النقل بالعقل .. وتحكيم العقل في كل شيئ؛ فما وافق العقل ـ بزعمهم ـ قبلوه، وما خالف العقل، ردوه ورفضوه!

وهؤلاء لو كانوا من أتباع العقل حقاً، لاتبعوا النقل الصحيح، وأخذوا به .. ولما عارضوا بين العقل والنقل، لاستحالة أن يعارض العقل السليم، النّقلَ الصحيح .. وفي حال المعارضة؛ يخرج العقلُ مباشرة من صفة العقل إلى درجة وصفة الهوى .. واتباع الهوى!

2- التقليل من قيمة وعصمة النص القرآني، أو النص الحديثي الثابت عن النبي ﷺ .. ليجدوا لأنفسهم متسعاً في تحقيق الحرية المتمردة!

3- يتسم حديثهم بقلة الأدب مع الله تعالى، ومع أنبيائه ورسله، ومع الصحابة الكرام .. ليوصلوا رسالة أنه لا يوجد شيئ مقدس فوق النقد، أو أن يُخاض فيه .. أو حتى أن يكون عرضة للتهكم، والاستهزاء، والمزاح .. (تحقيق الحريّة المتمردة)!

4- التوسع في الحديث عن المقاصد، ومعارضة المقاصد مع النصوص، ورد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة، تحت زعم العمل والأخذ بالمقاصد .. فيوسعون الحديث عن المقاصد، وليس في نفوسهم رغبة سوى رد ومعارضة النصوص!

5- التوسع في الحديث عن أن جلّ الأحاديث النبوية الشريفة هي أحاديث آحاد، وبالتالي فهي ظنيّة الدلالة .. وما كان ظني الدلالة، غير ملزم، وللعقل كامل الحق والحرية في ردها ومعارضتها، وعدم الأخذ بها .. (تحقيق الحرية المتمرّدة)!

6- التوسّع في تفسير حديث " أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ "، بما لا تحتمله لغة الحديث، ولا مناسبته .. ليردوا به النصوص ذات العلاقة بالحلال والحرام، والحق والباطل .. تحت عنوان وزعم " أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ "!

فالحداثيون من المشايخ مشكلتهم الأساس مع النصوص ـ نصوص الكتاب والسنة ـ لأنهم يرون فيها العقبة والمانع من تحقيق " الحريّة المتمرّدة " المنشودة!

7- التقليل من مساحة الثوابت في الدين؛ فيخرجون ما يعد من ثوابت الدين، إلى خانة وقسم الفروع؛ ليصبح غالب الدين من الفروع التي يسهل تجاوزها، والخوض فيها، وعدم الالتزام بها، بخلاف الثوابت .. (تحقيق الحرية المتمرّدة)!

8- الغمز بالصحابة ﷺ أجمعين، والانتقاص من قدرهم، ومن حجيّة قولهم، وإجماعهم؛ ليجدوا لأنفسهم مخرجاً من الالتزام بما صح عنهم من نصوص وأقوال .. (تحقيق الحرية المتمرّدة)!

9- التقليل من أهمية قيام دولة إسلامية، ذات نظام إسلامي، ومن أهمية الحكم بما أنزل الله .. والتشكيك بوجود نظام إسلامي سياسي ممكن التطبيق والتنفيذ .. وأن التجارب التاريخية السياسية التي حكم فيها الإسلام ـ من لدن النبي ﷺ، مروراً بحكم الخلفاء الراشدين، إلى عهد العثمانيين ـ كلها غير ملزمة .. ولا تصلح لزماننا!

10- لا يخفون إعجابهم بالحداثة الغربية، وبنظمها، وبروادها ومفكريها الغربيين .. فيذكرونهم بقمة الاحترام والتوقير، والتبجيل!

هذه أبرز خصال وصفات المشايخ المفتونين بالحداثة .. فمن تحققت أو وجدت فيه خلة من تلك الخلال الآنفة الذكر أعلاه، فهو ملوث بالحداثة على قدر تلك الخلة .. ومن تحققت فيه جميع الخلال والصفات الآنفة الذكر، فاعلموا أنه حداثي جلد، مهما تعمّمَ وتجلبَب، وتظاهر بالتدين!!

*** * * * ***

649- آن الأوان لإعادة النظر في عيوب ومشاكل الديمقراطيّة.

للديمقراطية عيوب ومشاكل ـ لا يختلف عليها عاقلان ـ آن الأوان أن تُعالَج ويُلتفَت إليها:

منها: أنها تساوي بين الأخيار والأشرار، وبين أعلم وأتقى أهل الأرض، وبين أجهل وأفسق أهل الأرض، وبين العاقل والمجنون الأخرق، فيمن يحق له الترشّح لحكم البلاد والعباد، وفيمن يحق له التصويت والاختيار؛ فكل منهما له نفس الصوت، ونفس الأثر في تحديد من يحكم البلاد والعباد ...!

ومنها: أن من يفوز بخمسين بالمائة زائد واحد، من مجموع المصوتين، هو الذي يفوز بحكم البلاد والعباد، حتى لو كان هذا الواحد الزائد والمُرجّح من أجهل وأفسق وأضل الناس!

ومنها: أنها في عملية الترشّح، والتَّرشِيح، والتصويت .. تهتم بالكم وحسب .. وتتجاهل مطلق الكيف، والنوع .. لذا نجد جميع الأشرار من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، على اختلاف منابتهم ومشاربهم .. ينادون بالديمقراطية، ويرتدون ثوبها، ويتشبعون بها!

ومنها: أنّ مَن يملك المال الذي يُغطي نفقات ومتطلبات الحملة الانتخابيّة، هو الأوفر حظاً بحكم البلاد والعباد، حتى لو كان من أجهل وأضلِّ وأفسق النّاس .. بخلاف الفقير الذي لا يملك المال الذي يغطي نفقات ومتطلبات الحملة الانتخابية، فلا حظ ولا فرصة له في حكم البلاد والعباد، مهما كان عالماً، وصالحاً، وأميناً، وقوياً!

ومنها: أثر وقدرة أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، ومُلّاك المؤسسات والقنوات الإعلامية في تحديد الأشخاص الذي يحكمون البلاد والعباد، فأيما مُرشَّح يقف معه هذان الصنفان من الناس، فوزه بحكم البلاد والعباد شبه محتم ومحقق .. وهذا يضرب مبدأ اختيار الأكثرية من الشعب الذي تقوم عليه الديمقراطية .. كما يضرب مبدأ حرية الاختيار، والاختيار الحر!

ومنها: أن خمسين بالمائة ممن يحق لهم التصويت في الانتخابات ـ أحياناً يزيد عن ذلك، وأحياناً ينقص ـ يَعزفون عن التصويت والمشاركة؛ لأسباب عديدة يرونها .. وهذا يعني أن الفائز بأكثرية الأصوات المشاركة بالتصويت ـ إذا حذفنا أصوات المعارضين والراسبين في الانتخابات ـ لا يمثل الأكثريّة، وإنما يمثل أقلية الشعب .. وهذا يبطل ويطعن بمبدأ حكم الشعب، ومبدأ حكم الأكثرية التي تدعو إليه الديمقراطية، وتتشبّع به!

ومنها: خضوع كل شيئ للتصويت، وللأغلبية ولو بصوت واحد، بينما قضايا الإيمان، والأخلاق، والقيم الحضارية الإنسانية الراقية، لا ينبغي ولا يجوز أن تخضع للتصويت، ولا لحكم الأغلبية .. لأن قدسيتها وسلطانها ذاتي، وحكمها باقٍ ونافذٍ، بغض النظر عن حكم وموافقة الأقلية أو الأكثريّة.

ومنها: تداول السلطة بين حاكم من أقصى اليمين، وانتقالها إلى حاكم من أقصى اليسار ـ كما هو متاح في الانتخابات الديمقراطية، وكما هو الحال في كثير من البلدان ـ ينتج عنه ارتدادات واضطرابات واسعة وخطيرة جداً على المستوى السياسي، والأمني، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي .. بما يشبه

الانقلاب العسكري، وربما أشد .. فيحصل عكس المنشود والمراد من الانتخابات .. وهذا أمر يستدعي المراجعة، والنظر.

ومنها: غالبية الشعوب، تتسم بالجهل بالعملية الانتخابية، وبمتطلباتها؛ الجهل بالمرشحين، وبمن معهم، ووراءهم، والجهل ببرامجهم، وأهدافهم .. وبالتالي فإن عملية التصويت والاختيار غالباً تخضع للأهواء، والرغبات الشخصية .. والانتماءات الطائفية، والقبلية، والحزبية .. بعيداً عن اعتبار المصالح العامة للناس والمجتمعات، واعتبار الأصلح للبلاد والعباد .. وهذا يعني أن ممارسة أي عملية ديمقراطية انتخابية، قبل أن تتقدمها عملية تثقيف وتوعية واسعة للشعوب بالعملية الانتخابية، وما يمكن أن يترتب عليها من نتائج .. ستكون النتائج كارثية على نظام الحكم، وعلى الناس معاً.

وفي هذا الصّدد يقول المؤلّف والأديب الإيرلندي جورج برنارد شو:" إن الديمقراطية لا تصلح لمجتمع جاهل؛ لأن أغلبيّة من الحمير ستحدد مصيرك "!

وهناك عيوب أخرى للديمقراطية .. حريّ بالشعوب الحرة الكريمة أن تعيد النظر فيها، وتعمل على إصلاحها، أو استبدالها قبل أن تنادي بها، وتحتكم إليها، وتجعل من نفسها، ومن الأجيال التالية حقلاً لتجاربها ومغامراتها!

* * * * *

650- قضيّةُ التوحيد.

رغم أن قضيّة التوحيد، هي القضية العظمى والكبرى والأساس في الإسلام، التي لأجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب .. وكانت هي المهمة الأساس والمحورية لجميع الأنبياء والرسل، من لدن آدم عليه السلام، إلى نبينا مُحَمَّد ﷺ، كما قال تعالى:[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36. [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ]الأنبياء:25. ورغم أن النّجاة، وأن خيري الدنيا والآخرة معقودان بتحقيق التوحيد:[وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً]، كل هذا الخير والمنّ والعطاء، مقابل:[يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً]النور:55. ومع ذلك فهي لا تُعطَى الحد الأدنى من الاهتمام لدى كثير من الدعاة، والجماعات الإسلامية المعاصرة .. نرى أصغر فرعية، وجزئية تأخذ من طاقاتهم، وأوقاتهم، وحواراتهم، واهتماماتهم أضعاف ما تأخذه قضية التّوحيد العظمى .. ونرى أدنى شاغِلٍ ـ مهما قلّ نفعه ـ يُشغلهم عن قضيّة التّوحيد .. ففشى في الأمة ـ وللأسف ـ شرك القبور، والقصور سواء .. وعَمَّ الجهلُ بالتّوحيد .. وأعيد بناء ونصب أصنام الشرك في جزيرة العرب من جديد .. من غير حسيب ولا نكير .. والله المستعان!

* * * * *

651- مَن هو المُفَكِّر؟

المفكّرُ؛ هو دائمُ التّفكير ـ أو مَن يغلب عليه التَّفكير ـ بما يرتد عليه، وعلى الناسِ ومجتمعاتهم بالخير.

المفكّر؛ هو الذي يفكر بمشاكل أمّته وواقعِه، ليضعَ لها الحلولَ.

المفكّرُ؛ وظيفته فتح المُغلَق والمُبْهَم من القضايا والمشاكل.

المُفكّرُ؛ هو الذي يُحسِنُ تَشخيصَ الدَّاءِ، والدَّواء.

مَن لا يُضيفُ جديداً يساعدُ على حلِّ مشاكلِ الناس، لا يصحُّ أن يُسمّى مفكراً ولا مُصلِحاً.

كلما اتَّسعت دائرة تفكير المفكر لتشمل أكبر عدد من الناس، كلما كان المفكّرُ أشدَّ خطراً، وأعظم شأناً.

التفكيرُ نوعان: خاصٌّ؛ يرتد على الشخص ومن يُعيل، ويُحيط به، بالخير والمصالح، وهذا يتسم به كل إنسان عاقل .. فكلُّ إنسانٍ عاقِلٌ ـ من هذا الوجه ـ مُفكّر.

وتفكير عامٌّ؛ يرتد على عامّة النّاس ومجتمعاتِهم بالخيرِ والمصالح، وهذا لا يتّسم به إلا المفكرون العظماء.

الذي يَزيدُ تَفكيرُه الطينَ بلّةً، والشرَّ شرّاً، والإشكالَ إشكالاً وغموضاً .. فيضلُّ الناسَ بتفكيرِه، ويزيدُهم تِيهاً وضَياعاً .. مَن كان كذلك لا يجوز أن يُسمّى مفكراً إلا إذا أُضيفَ إليه الوصف الذي يليقُ ويُعرّف به، فيُقال: هذا مفكّرٌ فاسدٌ مُفسدٌ، أو مفكّرٌ ضالٌّ مُضل، ونحو ذلك ..!

* * * * *

652- المشايخ الليبراليون الحداثيون وثوابت الدين.

لا يوجد دين يُعزّز ويؤيد العلومَ والمعارف النافعة للناس .. كالإسلام!

لا يوجد دين يعزز المجتهد، ويطلق يد الاجتهاد إلى آخر مداه .. كالإسلام .. حتى عدّ للمجتهد المخطئ أجراً واحداً على اجتهاده، لا على خطئه!

لا يوجد دين يتأوّل للمجتهد المخطئ .. كالإسلام!

مهما علا كعب العالم المجتهد .. فالإسلام ينظر إليه على أنه يُخطئ ويُصيب .. يؤخَذ منه ويُرَد عليه .. يَرد ويُرَد عليه .. فكل هذا لا حرج فيه .. بل الإسلام يشجع عليه .. والمكتبة الإسلامية ـ كانت ولا تزال ـ زاخرة بمثل هذه الردود!

لا يوجد دين يُطلق حرية التعبير في الحق .. وفي محاسبة الحكام .. ومقارعة الظلم والظالمين، كالإسلام .. حتى عدّ سيد الشهداء من يقول كلمة حق في وجه سلطان جائر، فيقتله!

قال المشايخ الليبراليون الحداثيون: لا .. لا .. نحن كل هذا لا نريده .. ولا نكتفي به .. نحن نريد أن نُزيل القدسية عن التراث، مُطلق التراث .. ويعنون بالتراث القرآن الكريم .. وسيد الخلق مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وسنّته المطهرة!

نحن نريد أن نُزيل القدسية عن الله تعالى .. فالله تعالى ذاته .. عرضة للنقاش .. وللتهكم .. والسخرية، والتندر، والاستخفاف ...!

نحن نريد أن نزيل القدسية عن القرآن الكريم .. فغالب آياته متشابهات وظنية الدلالة، غير مُلزِمة .. وهو من جملة التراث .. الذي يجب أن يُناقَش ويُعامَل كأي تُراث!

نحن نريد أن نُزيل القدسية عن شخص وذات النبي مُحَمَّد ﷺ .. وعن سنّته .. وأن يكون عرضة للنقد .. والطعن .. والتّهكم .. والاستخفاف .. مثله كمثل أي شخص آخر!

والانطلاق نحو العلوم والمعارف لا تتحقق للأمة إلا إذا فعلوا ذلك .. وحققوا ذلك .. وطاوعتهم الأمة على ذلك .. والأمة ـ في نظرهم ـ لا ينقصها لإدراك العلوم والمعارف والاكتشافات التي سبقتنا إليها الأمم الأخرى .. إلا بالطعن، والتعريض، والغمز، والانتقاص، والتهكم، والاستخفاف بالله .. وبكتابه .. وبرسوله، وسنّته .. وهم مع كل هذا الوزر ينسبون أنفسهم للإسلام .. وللمشيخة .. وللتنوير .. وللتجديد الإسلامي!

يُعرَف عنهم ما تقدم ذكره من منطوقهم أحياناً، ومن مفهوم منطوقهم، ومن لحن القول .. وخطابهم لا يخفى على أولي الألباب!

وهؤلاء زنادقة العصر .. قد ولجوا الزَّندقة من كل أبوابها ... فاحذروهم!

* * * * *

653- مناظرةٌ بين السَّيفِ والقَلَم.

تَناظَرَ السيفُ، والقَلَمُ، فقال السّيفُ: أنا رمزٌ للعِزَّةِ والقوّة، والأمْنِ والأمان؛ أحمي الحِمى، وأردُّ العِدا .. بِيَ تُقامُ الحدود، وتُصَانُ الحدود .. ويُهَابُ السُّلطانُ .. ويُفرَض القانون .. ويُنتَصَفُ للمظلوم .. وتمضي قوافِلُ الجهادِ .. ويُعرَف المجاهدُ المقدامُ، مِن المنافقِ الجبّان .. وأنا الذي عناني اللهُ بقوله:[وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ]الأنفال:60. وبقوله:[وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ]الحديد:25.

ثم أيّها القَلمُ، أما سمعتَ قولَ الشَّاعرِ:

حتى رجعْتُ وأقلامي قَوائِلٌ لي ... المجدُ للسّيفِ ليسَ المجدُ للقَلَمِ

قال القَلمُ: هوّن عليكَ أيُّها السّيف .. لا تَتمادَى على الأسْياد .. فأنا أوّلُ مخلوقٍ .. كُنتُ ولم تكُنْ شيئاً .. وأنا النّور الذي به تتبدّد الظّلمات .. وأنا العِلمُ، والعِلمُ أنا .. بِيَ كتَبَ اللهُ كلَّ ما هو كائنٌ، قبل أن يكون، وإلى أن تقوم الساعة .. وبِيَ عُرِفَ العلماءُ .. وحُفِظَ القرآن .. وحُفِظَت السُّنَن، والفرائضُ،

والعلومُ، والتّواريخ، وتجارب الشّعوب من الضياع .. تتوارثُها الأجيالُ جيلاً بعد جيلٍ من خلالي وعن طريقي .. وبي عُرِفَت الحقوقُ والواجبات .. وعُرِفَ الحلالُ والحرام .. والحَقُّ والباطلُ .. فخيري أبقَى وأدوم .. ومجدُكَ ـ وإن طال ـ أبتَرُ وأقطَع .. سلطاني على القُلوب والعقُول، وسُلطانُكَ على الأبدان .. تُذكَرُ مع الإكراهِ والقَهرِ والاستِعْبَاد، وأُذْكَر مع الحريّة والإبْدَاع .. وأنا الذي شرّفني اللهُ بقَسَمِه، وأنزل سورةً باسمي:[ن. وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ]القلم:1. وقال تعالى:[عَلَّمَ بِالْقَلَمِ]العلق:4. وأوّلُ كلمةٍ أنزلها اللهُ في كتابه على رسولِه ﷺ:[اقْرَأْ]العلق:1. أي اقرأ الذي كُتِبَ بالقلَم، فلولا القَلَمُ لما كان العِلمُ، ولا كان التَّعَلُّمُ، ولا كانت القِراءَة.

ثم أيّها السّيفُ، أما سمعتَ قولَ الشّاعرِ:

كذا قضَى اللهُ للأقلامِ مُذْ بُرِيَت ... أنَّ السيوفَ لها مُذ أُرهِفَت خَدَمُ

فأنت ـ أيُّها السيفُ ـ من دوني لكُنتَ في يدِ قاطعِ طريقٍ، يُخيفُ بكَ السّبيل .. أو في يدِ ظالمٍ جاهلٍ، يَسطو بكَ على حُرماتِ وحقوقِ المستضعفين المظلومين .. فاحمد اللهَ أن جُعِلتُ لك قائداً، وجُعِلتَ لي خادِماً، وتَبَعاً ...!

فغَلَبَ القَلَمُ السَّيْفَ ....

* * * * *

654– الوجه الآخر لفيروس كورونا.

نقولُ ذلك على وجهِ الاعتبارِ والاتّعاظ: فريقٌ واسع من النّاس، وعلى رأسهم طُغاة الحكمِ والظلم والإلحاد، يُجاهرون ـ ليل نهار ـ بالمعاصي، والعداءِ، والحرب على الله، ويستعجلون على اللهِ نزولَ البلاء .. ويَتباهون ويَستعلون بما أوتوا من قوّةٍ ومال .. وعتادٍ وسلاح نووي .. يسألون اللهَ التَّحدّي، ويلحون في السؤال!

فأرسلَ اللهُ إليهم عبدَه " كورونا "؛ أضأل وأحقر مخلوقاته، بحيث لا يمكن أن يُرَى بالعين المجرّدة .. ليحدث بين الناسِ في العالَم كله، هذا الرعب، وهذا الخوف والهلَع .. فقيَّدَهم، وسجنَهم في بيوتهم رغماً عن أنوفهم .. حتى بات أحدُهم يقولُ لصاحبه، وجاره: لا مِسَاس!

لا يمكن أن تحصي مئات المليارات من الدولارات التي دمّرها لهم عبد الله " كورونا " .. ثم بعد ذلك يتساءلون: كيف يمحقُ الله الرّبا؟!

أرسلَ اللهُ إليهم عبدَه " كورونا " أضأل وأحقر مخلوقاته؛ ليقول لهم: أين طائراتكم .. وأين صواريخكم العابرة للقارات .. وأين قنابلكم النووية المدمرة .. واجهوني بها إن استطعتم!

أرسلَ اللهُ إليهم عبدَه " كورونا " أضأل وأحقر مخلوقاته، فكان له هذا الأثَر الفتّاك .. فكيف لو أرسَل إليهم من عِبادِه: جبريلَ، وميكائيل، وإسرافيلَ، ومعهم مَلَك الجِبال ...؟!

اتَّخذوا كلَّ الإجراءات الوقائيّة، لمواجهة خطر " كورونا "، إلا الرجوع إلى الله ـ الذي بيده الداء والدواء، والنفع والضّر ـ فلم يفعلوا .. صدق الله العظيم:[وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76.

ما أظلمكَ يا ابنَ آدم، وما أضعفك، وأجهَلَك ...؟!

2020/3/15

* * * * *

655- البَطَلُ كورونا!

شوارعُ مدينة لندن الرئيسية، ونحوها شوارع المدن الرئيسية في العالَم .. تخلو من المشاة وزحمتهم .. ومن صخب الباعة، ووسائل النقل .. يسودها الصّمت والهدوء التي لا تعرفهما منذ مئات السنين .. كلها أفسحت الطريق، وخلّته للبطل كورونا .. ليمشي بمفرده في تلك الشوارع والمدن الضخمة .. وكأني به يمشي شامخاً وهو يُباعد بين يديه ورجليه، وينادي بأعلى صوته: أين الملوك والحكّام .. أين الجبابرة والطغاة .. أين المتكبرون .. أين الظالمون والفاسقون .. أين المرابون مصَّاصُو الدّماء .. أين الأبطال والمصارعون .. هل من مُبارِز .. هل من مُبارِز .. فلا يرتد إليه طرفُ أحدٍ .. ولا صوتُه .. فَرَقاً منه!

ما أظلمك يا ابنَ آدم، وما أضعَفك .. وما أشدّ غَفلَتك؟!

2020/3/25

* * * * *

656- دعاء الخروج من البيت.

أدعيةٌ احفظْها، وحفِّظْها من تُعيل، تحفظكم ـ بإذن الله تعالى ـ عند الخروج من البيت، من كلّ شَرٍّ وضَرَر:

عند الخروج من البيت، كان النبي ﷺ إذا خرجَ من بيته، قال:" بسمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ على اللهِ، اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَمَ، أو أَجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ ".

وفي رواية:" مَنْ قَالَ يعني إذا خَرَج مِنْ بيْتِهِ: بِسْم اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ولا حوْلَ ولا قُوةَ إلاَّ بِاللَّهِ، يُقالُ لهُ هُديتَ، وَكُفِيت، ووُقِيتَ، وتنحَّى عنه الشَّيْطَانُ ". ومن هُدي، وكُفي، ووقي .. أنَّى للشرّ والضرر أن يقتربَ منه!

وإذا ما نزلتَ منزلاً، أو قريةً، أو دخلت مدخلاً، أو مكاناً للبيع والشراء، عليك بهذا الدعاء:" أَعُوذُ بِكَلِمات اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ". قال النبي ﷺ لمن يقول هذا الدعاء:" لَمْ يضرَّه شَيْءٌ حتَّى يرْتَحِل مِنْ منزِلِهِ ذلكَ ". فماذا تريد تأميناً وضمَاناً أكثر من ذلك ...؟!

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه لم يرَ قريةً يريدُ دخولَها، إلَّا قالَ حينَ يَراها:" اللَّهمَّ ربَّ السَّماواتِ السَّبعِ وما أظلَلْنَ، وربَّ الأرضينَ وما أقلَلْنَ، وربَّ الشَّياطينِ وما أضلَلنَ، وربَّ الرِّياحِ وما ذَرَينَ، فإنَّا نسألُكَ خيرَ هذِهِ القريةِ، وخيرَ أَهْلِها، ونعوذُ بِكَ من شرِّها، وشرِّ أَهْلِها، وشرِّ ما فيها ". ويُقاس على القرية أي مكان أو بناء تريد دخوله .. وهذا دعاء آثاره المدهشة لن تخطئ قائله بيقين .. فدونك وإياه.

ولا تنسَ بعد كل دعاءٍ أن تصلي على النبي مُحَمَّد ﷺ؛ لأن الدعاء محجوبٌ، ممنوع، لا يُطلَقُ سراحه؛ حتى يُصلّى على النبي ﷺ.

* * * * *

657- الحدَاثَةُ وكورونا!

أهدافُ الحداثة وغاياتها: الكسب الفاحش للمال، ولو بالحرام، والقوة والهيمنة، والسيطرة والاستعلاء، والمتعة والترفيه، والإثارة .. والإنسان كقيمة يأتي درجة ثانية، وهو لا يعدو عن كونه وسيلة لهذه الأغراض والغايات، وحقل تجارب لها .. لذا نجد دول الحداثة في الغرب، قد صنعت القنابل النووية، والأسلحة الفتاكة المدمّرة، وصعدوا إلى القمر، وإلى ما هو فوق القمر .. ويتسابقون فيما بينهم على التّسلح، والهيمنة على الفضاء .. وينفقون في سبيل ذلك المليارات من الدولارات .. وفي المقابل لما نزَل بهم وباء كورونا، اثبتوا عجزاً ملفتاً في خدمة ورعاية الناس، ومعالجة المصابين منهم بالوباء .. حيث يوجد نقص كبير وحاد في أسِرّة المرضى .. وفي الكمّامات التي توضع على الأنف والفم؛ حتى أصبح الحصول على واحدة منها غاية المُنى، تشرئب لها الأعناق، وتتزاحم لأجلها أكتف الرجال والنساء سواء .. ولشدة التقصير والإهمال في هذا الجانب، إذا دخل المستشفى شاب وشيخ معاً، أُهمل الشيخ، وتركوه يواجه الموت ببطئ، وصُرفت الخدمة الطبية للشاب، أو لمن هو أصغر سنّاً، وسبب ذلك أنهم لا يملكون الوسائل الطبية الكافية التي تمكنهم من خدمة ورعاية الإثنين معاً، إذْ لا بد من أن يضحوا بأحدهما، ويقدموا أحدهما على الآخر .. كما يقولون .. يفعلون ذلك، وهم لا يزالون في أوّل البلاء، والمرضى لا يتعدّون المئات ...!

ما قيمة المال .. وما قيمة التّسابق على التّسلح، وغزو الفضاء .. إذا كان الإنسان ذاته تهدر كرامته، ويُضحى به وبحقوقه عند أدنى اختبار أو اختيار بين غايات الحدَاثة، وبين الإنسان؟!

2020/3/29

* * * * *

658- بائعُ الهواتف!

في إحدى المدن التركية المتاخمة للحدود السورية، استوقفني شاب سوري في مقتبل العمر، عريض المنكبين، غليظ الرقبة، مشدود ومفتول العضلات، ناشذ الصدر .. وضيء الوجه .. باسم الثَّغرِ .. قد اجتمعت له قوة وعنفوان المصارعين المحترفين .. مليء بالطاقة والحيوية والبِشر .. يجلس خلف طاولةٍ، في

محلٍ ضيّق، يبيع متعلقات الهواتف اليدوية .. يبتسم للزّبائن والمارة؛ عسى أن يشتروا منه شيئاً .. فقلت في نفسي: يا سبحان الله .. ماذا يفعل هذا الشاب في هذا المحل الضيق .. وهو بهذه القوة والصحّة .. وبلده سوريّا بحاجة إليه .. المستضعفون من أهله أولى به من هذا الدّكان الضيق، ومما هو مشغول به .. لأدخلنَّ إليه، وأحدثنّة!

فدخلتُ إليه .. فسلّمت .. وتصنّعت أنني أريد شيئاً، إلى أن أجد المدخل المناسب للحديث معه .. فلم يطل الوقت حتى أقبل عليَّ وأقبلتُ عليه؛ كلٌّ منّا يطرح على الآخر عبارات الترحيب، وأسئلة التّعارف .. ثم سألته: ما الذي حملك على ترك سورية وأنت بهذه القوّة والصّحة، وهذا الشباب والعنفوان، وأهلك في الداخل السوري بحاجة إليك .. بحاجة إلى أن تقف معهم في محنتهم، وجهادهم .. وأخذت أتوسع عليه في طرح المواعظ، وذِكر الآيات والأحاديث التي تحضّ على الجهاد، والرباط .. وما للمجاهد المرابط في الشام من أجر وثواب .. والشّاب يستمع بأدبٍ جَم، ووجهه الوضيء يزداد احمراراً وخَجَلاً، لم يتكلم كلمةً واحدة .. إلا أنه أظهر الموافقة وشدة التأثر لما سمع .. مما جرّأني أن أزيد عليه في الوعظ، وأتوسّع في الترغيبِ، والترهيب .. والحضّ .. والتَّحْميس .. وكأنني أمام جيشٍ بكامله، يتأهب للنفير والانطلاق .. إلى أن ذرفت من عيني الشّاب دمعتان .. انسابتا ببطءٍ على وجنتيه كاللؤلؤتين الوضّاءتين .. هما أبلغ من حديثي كله .. فشعرت أنّني قد أثقلتُ وتوسّعت عليه في الخطاب .. فأمسكت .. وبدأت أتلطف معه في الحديث .. وأخفف من حِدّة العِبارات والوعظ .. ثم أردت وداعه، على أمل أن أزورَه ثانية .. فهَمَّ الشّابُ من مقعده ليودعني إلا أنه لم يكن قادراً على الوقوف .. كان مُقعداً، ومُصَاباً بشلَلٍ نصفي، بسبب طلقة أصابته في أسفل الظهر، وهو يقوم بواجب الجهاد على ثرى الشام الطهور .... فعلاني الخجَلُ من نفسي .. وأدركتُ أنني قد أعطيت درسي في المكان الخطأ .. وللشخص الخطأ .. وكان الأولى بي أن أسمع منه .. لا أن يسمع مني .. فأين أنا منه .. وقبّلتُ جبينَه أستسمحه .. ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله!

* * * * *

659- جِهَازُ المَنَاعَةِ!

شئنا أم أبينا .. اتفقنا أم اختلفنا .. الدّنيا ـ بالنّقل، والعقل، والتجريب، والمشاهدة ـ دار اختبار وبلاء:[الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2. والبلاء مهمَا تعاظَمَ، وتكاثَر، وتنوّع، فإنه يتحطّم أمام جهاز المناعة الذي يتكون من أربعة عناصر أساسية: التوكّل، فإن نفَدَ منه البلاءُ أو بعضه، تلقَّاه الرّضا؛ فقاومه، فإن نفَدَ منه البلاءُ أو بعضه، تلقَّاه الصّبرُ؛ فقاومه، فإن نفَدَ منه البلاءُ أو بعضه، تلقَّاه الشّكرُ؛ فقاومه .. وهو عند الشّكر ـ وبعد أن يكون قد مرّ على التوكّل، والرّضا، والصبر ـ يتحطَّم، ويتلاشَى ويزول كليّاً، مهما كان قويّاً، بإذن الله.

فكما أن للجسدِ جهاز منَاعة يُقاوم ويُهاجم الجراثيم والفيروسات الداخلة إليه .. يقوى حِيناً، ويضعف حيناً آخر، بحسب ما يُرفَد من مقويّات، ومغذّيات، كذلك النَّفْس لها جهاز مناعة أكثر أهمية من الأول؛ يُقاوم المصائب، والبلاءات، والأمراض المعنويّة التي تعترضه، قوامه الأعمدة الأربعة الآنفة الذكر: التوكّل، والرّضا، والصَّبر، والشّكر .. وعلى قدر قوّة ومتانة هذه الأعمدة، والعناية بها ـ التي تشكل جهاز المناعة للنفس ـ تقوى النفس على مقاومة وتجاوز المصائب، والبلايا، والمِحَن، بأمنٍ وسَلام، وعلى قدر ضَعفها، وإهمالها، على قدر ما تضعف النفس وتنهار أمام البلايا، والاختبارات، والمِحَن.

* * * * *

660– عَبدٌ مَأمُور!

أحياناً أصغي لذوي الاختصاص، وهم يتكلمون عن الفيروس كورونا، فأسمع منهم عَجَبَاً: يتكلمون عنه كيف يغزو دولة دون دولة .. ودولة أكثر من دولة .. ومدينة دون مدينة في الدولة الواحدة .. وكيف يقوى وينشط في مدينة، ويضعف في مدينة أخرى .. وكيف يغزو أغنى وأقوى دول ومدن العالم، ويفتك بها، بينما يمر من جوار الفقراء المستضعفين المشردين في الخيام مرّ الكرام؛ فلا يُصيب منهم أحداً .. وكيف يُصيب شخصاً دون شخص في العائلة الواحدة .. وكيف يُميت الأطباء المحصّنين بلباس يُشبه لباس رجال الفضاء، وهم في مُقتبل العمر .. بينما مرضاهم يُشفَون ويُعافون، ويستأنفون حياةً جديدة .. وكيف يميت الشاب، بينما يشفى ويبرأ منه الشيخ المسن ابن التسعين عاماً .. وكيف يُصيب أناساً، فيبرؤون منه، ويرحل عنهم، من دون أن يعلموا ويشعروا أن زائرهم كان هو كورونا، وما أكثرهم .. وكيف أن له مقدرة هائلة على الانتشار، وفي مواقع غير متوقعة .. وكيف أنه نُصِر بالرّعب .. وكأنَّه جيشٌ جَرَّار لا يَعرفُ الهزائمَ .. كل هذا وغيره، يؤكد حقيقة واحدة؛ وهي أن " كورونا " عَبد مَأمُور .. مُسيّر؛ لا خيرة له فيما يفعل .. اللهمَّ سَلّم!

2020/4/5

* * * * *

661– المسلم في المجتمعات الماديّة.

لا يمكن للمسلم ـ في أي مكان يكون فيه، وتحت أي ظرف ـ أن ينفصل عن أخلاقه التي أنشأه عليها الإسلام؛ فالإنفصال عن الأخلاق الحميدة انفصال عن الدين كله .. وبالتالي لا يمكن للمسلم الذي يعيش في المجتمعات الماديّة، والتي تتصف بشيء من الأنانية، أن يُقال له: كُنْ أنانيّاً مثلهم .. وعش حياتك بطريقة أنانية مثلهم .. حينئذٍ لو فعل يفقد الصفة الأخلاقية، والرقي الحضاري .. ويستوي مع الآخرين في أنانيتهم، وهبوطهم الأخلاقي والحضاري .. وهذا خسران عظيم لا يعوضه شيء!

لا بد للمسلم من أن يعامل الآخرين بأخلاقه لا بأخلاقهم، وأن يخالقهم بخلق حسن، وإن أساؤوا .. كما في الحديث لما أراد أبو ذر ﷺ أن يُسافر، قال: يا رسول الله، أريدُ سَفَراً، فأوصني؟ قال ﷺ:" اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمْحُها، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسنٍ ". فالحديث لم يحدد مكاناً دون مكان، ولا ناساً دون ناسٍ، وإنما أطلق وعمّم.

وقال ﷺ:" بيْنَا رَجُلٌ بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هذا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الذي كانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وإنَّ لَنَا في البَهَائِمِ لَأَجْرًا؟! فَقالَ: في كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ " متفق عليه.

وفي حديث آخر، قال ﷺ:" غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بكَلْبٍ علَى رَأْسِ رَكِيٍّ ـ أي بئر ـ يَلْهَثُ؛ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فأوْثَقَتْهُ بخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ له مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بذلك " متفق عليه. هذا فيمن يسقي ويغيث كلباً .. فكيف بمن يعمل على إغاثة ومساعدة أناس ـ أياً كان دينهم وكان انتماؤهم ـ قد نالت منهم الأوبئة والأمراض ..؟!

وبالتالي فإني أحيي كل مسلم يعيش في المجتمعات الغربية، وغيرها من المجتمعات، يقوم بواجبه الأخلاقي تجاه من يعيش معهم من الناس ـ وبخاصة من يكون جاراً له ـ فيما يتعلق بجائحة الفيروس كورونا .. فيعمل على إغاثة وإعانة وخدمة المرضى وذوي الحاجة والضعف منهم بما يستطيعه، ويقدر عليه .. موصياً له بأن يكون عمله هذا خالصاً لوجه الله تعالى، لا يريد عليه من أحدٍ جزاء ولا شكوراً.

* * * * *

662- الملاكم كورونا!

يخرجُ أحدُنا من البيت لحاجته، مقنّع الوجه، مُرتدياً للكفوف .. يَتوجَّسُ خيفةً، ويترقّب .. ويُكثِر من النظر والالتفات حوله، وفي الجهات الأربع .. رغم أن الشوارع خالية من المارّة، والناس .. لا شيء يشدّ الانتباه، ويستدعي الالتفات .. إلا أنه يتوقع أن تأتيه لكمةٌ خفيّة وقاضية من كورونا، ومن أي اتجاه .. قد تأتيه لكمةٌ من على يمينه أو من على شماله، أو من أمامه أو من خلفه، أو من فوقه أو من تحته .. كل هذا وارد ومحتمل ومتوقّع .. فالملاكم كورونا ـ بحسب وَصْفِ وكلامِ الأطباء والخبراء! ـ يملك من الخفّة والمهارات القتاليّة، ما لا يملكه جَمْعٌ غفيرٌ من كبار مهرة الملاكمين والمصارعين العالميين .. ومن جميع ومختلف الفئات والأوزان .. وهو يزيد عليهم كذلك أنه خفي؛ يرانا ولا نراه!

لله دَرُّك يا كورونا ....!!

* * * * *

663- حوارُ النَّفسِ مع النّفْسِ.

قالت النَّفسُ منتشيةً، والعُجب قد أخذ منها كل مأخذ: قد تحصَّلْتُ على العِلمِ الذي به أزهو على الخَلق والأقران، وأصرفُ وجوهَ النّاس إلي، وأستجلب المدائح، والإطراء، وأتخيّر المجالِس، والأطايب، ويُفسَح لي الطريق، ويُشدّ إليّ الرّحال .. حتى بتُّ والناسُ يُشيرون إليَّ بالبنان .. مقصداً للسّائلين والباحثين .. فأيّ مجدٍ وفخر يعلو هذا المجد والفخر!

قالت لها النفس: على رسلِك .. هوّني عليكِ .. نشدتِك قليلاً من التواضع والأدب، والواقعيّة .. من ظنّ نفسه عالماً فهو جاهل، وصَغير .. يتشبَّع بما لم يُعطَ، وبما ليس فيه .. والمرءُ ـ مهما كان مجتهداً ـ يموت ولا يزال يُسمّى طالب علمٍ .. وما مِن عالم إلا ويوجد من هو أعلم منه .. ومهما أوتي المرء من العلم، فهو يجهل أكثر مما يعلم .. وفي النهاية يدخل في زمرة المعنيين من قوله تعالى:[وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً]الإسراء:85. فالعلمُ بحرٌ له شاطئ، لكن ليس له نهاية!

فالعُجْب ماحق لبركة العلم، مانعٌ من الزيادة .. قاسم للظهر، ومحبط للأجر .. مُجلِبٌ للسّخط والبغض، ومدعاة للطرد من معيّة الله تعالى ورحمته .. مآله إلى جحود فضل ونعمة الخالق سبحانه .. وإلى الكِبر والتّعالي على الخلق، يكفيه بذلك سُبّةً وسَوءةً .. ثم حسبكِ أن مَن طلب العِلم لغرضٍ من الأغراض التي ذكرتِ، فهو في النار وبئس المصير .. فعلامَ العُجب .. وعلامَ الفرح .. والبطر .. والتّعالي .. بأمر هذا هو مآله ومُنتهاه .. ولكِ في بلعامِ زمانه عِظة وعِبرَة، إن كنتِ تنشدين العِظة والعِبرة؟!

كفَى ـ يا نفسُ! ـ بالمرء فتنة في دينه أن يُشار إليه بالبنان، أو أن تخفق خلف ظهره النعال .. وفي الحديث:" إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ العبدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ ". وكان من السلف إذا جلس إليه أربعةٌ أو أكثر، قام مخافة الشّهرة!

فالعِلمُ هِبةٌ ومِنَّةٌ من الله، يؤتيه الأتقياء، الأنقياء، الأخفياء،[وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ]البقرة:282. وما سواهم ـ مهما أوتوا من العلم ـ تُنزع منهم بركة العِلم، والعمل به، ولو بعد حين .. والخواتيم خير من يُنبئ بذلك!

العِلمُ الصحيح يحمِلُ صاحبه على مزيدٍ من التواضع، والأدَب، والخشية، والتقوى .. واكتشاف مزيد من جوانب القصور والجهل في نفسه .. إذ ما من علمٍ يُضاف إلا ويُعرّف صاحبه على ما كان به جاهلاً .. فيسأل الله تعالى السلامة، والسّتر، ومزيداً من العلم، [وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً]طه:114.

قالت النّفسُ: لا أُلام على الجمع والمنع للمال .. وعلى التّكاثر والكنز .. والانشغال به وله .. وأن يكون هدفاً لحياتي .. في جمع المالِ وعدّه، ورنات دراهمه المتعة والسّعادة .. وفيه إشباع الرغبات والنزوات، وتحقيق الآمال والتطلعات .. يجعل من العبد المسود سيداً مُطاعاً .. آمراً وناهياً .. كما يجعل من البعيد الجافي قريباً .. ومن الصعبِ سهلاً .. ومن القبيح جميلاً .. ومن الثقيلِ خفيفاً ظريفاً .. فصاحبه مطلوب محبوب أبداً، الكل يتودد إليه، يدنو منه أو يريد .. رغباته طلبات .. وطلباته أوامِر .. فالمالُ داري ووطني ..

وحيثما وُجد المالُ وُجِد الوطَن والدار .. ومن لا مالَ له لا وطن له غير البحار وتلاطم أمواجها .. فأنتِ ومالِك، وما تملكين، وأنتِ تساوينَ ما تملكين .. وقديماً قالوا: قل لي كم تملِك، أقل لك: مَن أنتَ، وكم تساوي .. وقالوا: الدراهم مراهم .. ومِن الكَيْس خَتْمُ الكِيْس!

قالت لها النفس: لا نقلّل من أهميّة المال ما كان من كَسبٍ طيب، وكان لكِ خادماً على متطلبات حياتك، ومعيناً على فعل الخيرات .. ووسيلةً إلى خير .. وما عدا ذلك فضول ونصَب، ومضيعة للأوقات؛ كدح وشغل في النهار .. وهمٌّ وقلق في الليل .. حمارٌ في النهار، جيفة في الليل!

يا نفسُ لا تدَّخري، فيُدَّخرُ عليكِ، ولا تُوكِي، فيُوكَى عليكِ .. أنفقي، يُنفَق عليكِ .. وليس لكِ من مالِك إلا ما أنفقتِ .. وليس لكِ مما أنفقتِ، إلا ما أنفقتِه في أوجه الخير والمعروف .. وليس لكِ مما أنفقتِه في أوجه الخير والمعروف، إلّا ما كان خالِصاً لوجهِ الله .. وما سوى ذلك، وما زاد عليه، ليس لكِ منه شيء، وهو عليكِ لا لكِ .. متروكٌ لغيرِك ـ وربما لمن لا تُحبين ـ ليأكله أكلاً لمًّا .. من دون أن يسدي لكِ كلمة شكر .. فيذهب له خيره، ويبقى عليكِ وزره؛ يوم تُسألين عن مالِك: فيمَ اكتسبتِه، وفيم أنفقتِه .. ولا بدَّ أنَّكِ مسؤولة وموقوفة .. وقد قِيل: إنما مالُكَ لَكَ، أو للوارِثِ، أو للجائحةِ، فلا تكُنْ أشقَى الثَّلاثَةِ؟!

دَعِ الحِرصَ على الدُّنيا ... وفي العَيشِ فلا تَطْمَع

ولا تجمعْ لك المالَ ... فما تَدري لمن تجمَع

ولا تَدري في أرضِكَ ... أم في غِيرِها تُصرَع

يا نفسُ غيرِكِ طلبَ السّعادةَ فيما تَطلبين، فانقلبت السعادة عليهم شقاءً .. وقلقاً وهمًّاً وغمًّاً .. وكان هلاكهم فيما جمعوا وكنزوا .. سائلي التاريخ البعيد منه والقريب عنهم إن شئتِ .. أين قارون .. وأين من نهجوا نهجَه، وجمعوا جمعه، وكنزوا كنزه من القوارين ... ستجدين الجوابَ مليئاً بالحسرات، والنّوادِم، ولات حين مندم:[الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ]الهُمَزَة:3-4. وفي سورة المسد:[مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ]المسد:2. وفي سورة الدخان:[كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ]الدخان:25-29. والكَيسُ مَن اتَّعَظ بغيره، وأربأ بنفسه أنْ تكونَ عِظةً لغيره!

يا نفسُ، السّعادة هِبةٌ من الله، موضعها القلوب لا الجيوب .. تُستَجلبُ بطاعته لا بمعصيته .. وبرضاه لا بسخطه .. ألم تقرأي كلام الله:[وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى]طه:124. [وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء]الأنعام:125. [أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ]الرعد:28.

السعادَةُ كلَّ السعادة أن تفرّجي بمالِكِ كربَ مكروب، وهمَّ مهموم .. أو تُطعمي به جائعاً في يومٍ ذي مَسْغبةٍ .. أو تكسي به عَرياناً في يومٍ قَارٍّ .. أو تَبني به صرحاً للحقِّ .. أو تُضحكي به ثغرَ يتيم .. واهاً .. ثمّ واهاً لها من سَعادة!

الإنسانُ إنسانٌ بإنسانيته .. ونُبل قيمه، وأخلاقه، ومشاعرِه .. لا بمالِه .. والغِنى غنى القلب والنفس، لا غِنى المال .. ومن كان ذليلاً دنيئاً في نفسه وطبعه، لو اجتمع له مالُ الأرض لا يرفع خسيسَته ودناءته .. ولا يُملئ فاه إلا التّراب!

لا يغرنّك ـ يا نفسُ ـ اجتماع الناس حولكِ في غِناكِ، وإقبالهم عليكِ .. فما أسرع انفضاضهم وإدبارهم عنكِ، ونسيانهم لكِ ولفضلك في فَقرِك .. وبئست المودة، وبئس الإقبال عندما يكونان لمالِك، وليس لذاتِك!

وكأنّي بكِ يصدُقُ قول القائل: حيَّاكَ مَن لم تكُن ترجو تحيَّتَهُ ... لولا الدّراهم ما حيّاكَ إنسانُ

وقِيل لبعضِ العُقلاء: كم لكَ من صَديقٍ، فقال: لا أعلمُ ذلك؛ لأن الدنيا مقبلةٌ عليَّ، والأموالُ موجودةٌ عندي، وإنَّما أعرفُ ذلك إذا ولَّت.

يا نفسُ أنتِ لم تُخلقي لهذا .. أنتِ خُلقتي لله .. ولعبادته .. وقد بعتِ، والله قد اشترى بأن لكِ الجنّة .. فعلامَ ترضين بالدّون، وتنكثين عقد البيع، وتبيعين نفسك ثانيةً بعرَض بخسٍ من الدنيا .. وأيما عَرَضٍ دون الجنّة مهمَا تَعَاظم فهو بخس، وهو دونَكِ ثمناً .. وكان مُحَمَّد بن الحنفيّة يقول:" إنَّ أبدانكم هذه ليست لها أثمان إلا الجنَّة، فلا تبيعوها إلَّا بها ".

كلما أكثرتِ من الأشياءِ وتجميعها، كلما تشتَّتَ عليكِ همُّكِ وفكرُك، وتشعَّبت بكِ الدّروب والأهواء، وعلى قدر ونوع تلك الأشياء، قال تعالى:[أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ]التكاثر:1-2.

وفي الحديث:" ما طلعَتْ شمسٌ قطُّ إلَّا بُعِثَ بجنبَتَيْها ملَكانِ، إنَّهما ليُسمِعانِ أهلَ الأرضِ إلَّا الثَّقلَيْنِ: يا أيُّها النَّاسُ! هلمُّوا إلى ربِّكُم، فإنَّ ما قلَّ وكفَى خيرٌ ممَّا كثُرَ وألهَى ". وقد قِيل: إياك والفضول فإن حسابَها يطول!

قالت النَّفسُ: أنا بنت الأماجد والأفاضل، أنا بنت فلان، وفلان، وفلان، من الأكابر والنبلاء .. وأنا من قبيلةِ فلانٍ، وقومِ علّان .. فمن يُدانيني نسَباً، وحسباً، ومجداً .. وفخراً!

وإن كنتُ واصفةً لنفسي، لم أجد لنفسي وصفاً، غيرَ قول القائل:

أتيْهُ على جِنّ البِلادِ وإنسِها ... ولو لمْ أجدْ جِنّاً لتُهتُ على نفسي

أتيهُ فلا أدْرِي من التّيهِ مَن أنا ... سوى ما يَقولُ النَّاسُ فيَّ وفي جِنسِي

فإن زَعَموا أنِّي مِن الإنسِ مثلهم ... فما لي عَيبٌ غيرَ أنِّي من الإنسِ

قالت لها النَّفسُ: مَه .. مَه .. تتماجدين بما هو ليس من كسبك، ولا من جهدَكِ، وكَدّك .. لا تقولي: كان أبي .. وكان وكان .. وقولي: ها أنَذَا!

نسَبُ المرءِ عمَلُه .. والتفاضلُ والتمايز يكون بالأعمال لا بالأنساب، والأحساب .. الناس يوم القيامة يأتون بالأعمال، وأنتِ تأتين بالأنسَاب، والعُجب، والمُباهاة .. لَسيئة يَتبعها ندَمٌ واستغفار، خير من حسنةٍ يَعقبها عُجبٌ وافتخار!

الله تعالى لا ينظرُ إلى الأنساب، ولا إلى الأحساب، والألقاب .. ولا إلى الصور والأشكال .. وإنما ينظرُ إلى القلوب، وما وقر فيها من أعمال .. أمَا قرأتِ قوله تعالى:[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]الحجرات:13.[وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ]الأعراف:26. [إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ]الأنفال:34.؟

أمَا قرأتِ يا نفسُ، قولَ النبي ﷺ، وهو ينادي في أمّته:" يا أيها الناسُ! إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى، إنَّ أكرمَكم عند اللهِ أتقاكُم، ألا هل بلَّغتُ ..."؟!

وقولَه ﷺ:" إنَّ أَوليائي مِنكُمُ المُتَّقونَ، مَن كانوا، وحَيثُ كانوا ".

وقولَه ﷺ عن رجلين افتخرا وانتسَبا في عهد أخيه موسى عليه السلام:" فقال أحدُهما: أنا فلانُ بنُ فلانٍ، حتى عدَّ تِسعةً، فَمَنْ أنْتَ لا أُمَّ لَكَ؟! قال: أنا فلانُ بنُ فلانٍ ابنُ الإسلامِ، فأوْحَى اللهُ إلى مُوسَى أنْ قُلْ لهذيْنِ المنتسِبَيْنِ: أمَّا أنتَ أيُّها المنتسِبُ إلى تِسعةٍ في النارِ، فأنتَ عاشِرُهمْ في النارِ، وأمّا أنتَ أيُّها المنتسِبُ إلى اثنيْنِ في الجنةِ، فأنَتَ ثالِثُهُما في الجنةِ ".

وقولَه ﷺ:" لينتَهينَّ أقوامٌ يفتخِرونَ بآبائِهمُ الَّذينَ ماتوا، إنَّما هم فَحمُ جَهنَّمَ أو ليَكونُنَّ أهْونَ علَى اللهِ مِن الجُعْلِ الَّذي يُدَهدِهُ الخِراءَ بأنفِهِ، إنَّ اللَّهَ أذهبَ عنكُم عُبِّيَّةَ الجاهليَّةِ وفخرَها بالآباءِ، إنَّما هوَ مؤمنٌ تقيٌّ أوَ فاجرٌ شقيٌّ، النَّاسُ كلُّهم بنو آدمَ، وآدمُ خُلِقَ مِن ترابٍ ".

وقولَه ﷺ:" مَن تَعزَّى بعَزَاءِ الجاهليَّةِ، فأَعِضُّوه بهَنِ أبيه، ولا تُكَنُّوا ". فالحذَرُ، الحذَر من عَزَاءِ الجاهليّة .. ومن نفحاتها، ودخانها!

ورحم الله القائلَ: أبي الإسلامُ لا أبٌ لي سواهُ ... إذا افتخَروا بقَيسٍ أو تَميمِ

قالت النَّفسُ: العِزُّ في المُلك، والإمارة، والسلطان .. فهو السيّد الآمر النّاهي، المتصرّف، والناس لأمره يسمعون ويُطيعون .. يُقرّب من يشاء، ويُبعِد من يشاء .. يَرفع من يشاء، ويَضع من يشاء .. ويفعلُ ما يشاء .. يَسأل ولا يُسأل .. والكل على بابه يَرجوه، ويرجو عطاءَه ووصلَه .. يعقد العقود والعهود، ورايات الحرب والسلم .. به تُناط مصالح البلاد، والذود عن العِباد .. فأي عز يوازي هذا العز .. وأي شرف يوازي هذا الشرف الرفيع، الذي ترخص في سبيله الأنفس، والدماء، وكل غالٍ ونفيس .. فكرسي الملك، والرياسة، له طراوة، وحلاوة، وشهوة أشد أثراً وأسراً للقلوب والنفوس مما سواها من الشهوات .. فكم هم الذين ماتوا، ويموتون ويضحون من أجله .. وإن النفسَ لترنو وتتوق شوقاً وحرصاً لأن تحظى بشيء من هذا الشرف العظيم .. فما أحلى الإمارة، ولو على كومة حجارة؟!

قالت لها النَّفسُ: صدق رسول الله ﷺ:" ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ، بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ، لدِينه ". والمراد بالحرص على الشرف؛ الحرص على الإمارة، وطلب الرياسة، فإنه يُفسد دين صاحبه أكثر مما يُفسد الذئب الجائع يُخَلى بينه وبين غنم!

الإمارةُ ليست مجرّد نزوةٍ، أو رغبةٍ، أو شهوةٍ .. الإمارةُ مسؤولية وأمانة عظيمة، وهي مغرم لا مغنم؛ إلا من أخذها بحقها، وأدّى الذي عليه فيها .. وأدنى ذلك العدل، والشورى، والرحمة، والإخلاص في النّصح، وأن يُتَّقَى به في الخطوب، وعند مواجهة خطر الأعداء .. وأن يكون في مقدمتهم عند الجزع، وفي أخراهم عند الطَّمَع .. أولهم جوعاً، وآخرهم شبعاً .. بابه لا يُغلق دون الضّعفة، والمساكين، وذوي الحاجات .. يُقاد منه كما يُقاد من غيره .. ويُسأل ويُحاسب عمّا يفعل، كما يُسأل غيره .. فالذي لا يُسأل عما يفعل هو الله وحده .. والذي يجعل من نفسه فوق المساءلة والمحاسبة طاغوت.

أميرُ القوم خادمهم، قبل أن يكون سيدَهم .. وهو إذ يستحق السيادة عليهم لرعايته وخدمته لهم، وعلى قدر الخدمة، والنصح، وحسن الرعاية، تكون السيادة .. وليس وراء ذلك إلا الخزي في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة!

ومن قبل سُئِلَ عن السيّد؛ الذي يستحق أن يكون سيداً وحاكماً على الناس؟ فقيل: مَن حَمُقَ في مالِه، وذَلَّ في نفسِه، وعُنِي بأمرِ عشيرته .. وأوْرَى نارَه، وحمى ذِمَارَه، ومَنعَ جارَه، وأدرَكَ ثارَه .. يَبذلُ النّدَى، ويكفُّ الأذى، ويَنصرُ المولى، ويَعجّلُ القِرَى .. لا يُصانع، ولا يُخادع، ولا تغرّه المطامع .. يُخالقُ بالخُلق السَّجيح ـ السهل اللين ـ ويتجنب الدنيّ، ويترك اللسانَ البذيّ .. حمّالُ المكاره، بَنَّاءُ المكارِم .. إذا حضَرَ هابوه، وإذا غابَ ما اغتابوه ... فأين أنتِ يا نَفسُ من هذا كله؟!

يا نفسُ أن تكوني ذنباً فتسلمين، خير من أن تكوني رأساً فتهلكين .. اثنان يشتد ويطول عليهما الحساب يوم القيامة: الغني؛ الذي يُسأل عن ماله فيم اكتسبه، وفيم أنفقه. والحاكم؛ يُسأل عمن كان يرعاهم من الناس، فرداً، فرداً، وعن مظالمهم، وحقوقهم .. هل ضيّعهم، وضيع حقوقَهم، أم حافظ عليهم، وكان ناصحاً لهم، حانياً عليهم، بهم رحيماً رؤوفاً رفيقاً، وقد يكونون بالملايين .. وفي الحديث:" ألا كُلُّكُم راعٍ، وكُلكُم مسؤولٌ عن رعيَّتِه؛ فالإمامُ الأعظمُ الذي على الناسِ راعٍ وهو مَسؤولٌ عن رعيتِه ..." مسؤول عن رعيته أمام العِباد، وأمام رب العباد، يوم الحساب!

يا نفسُ، أما سمعت قولَ النبي ﷺ:" ما مِن عبدٍ يَسترعيهُ اللهُ رعيَّةً، فلَم يُحِطْها بِنُصحِه لم يجدْ رائحةَ الجنَّةِ "متفق عليه.

وقولَه ﷺ:" ما مِن والٍ يَلي رعيَّةً من المسلمين فيموت وهو غاشٌّ لهم إلا حرَّمَ اللهُ عليه الجنَّةَ "متفق عليه.

وقولَه ﷺ:" أيما راعٍ استرعى رعيةً فغشَّها فهو في النَّار ".

وقولَه ﷺ :" رجُلانِ ما تنالهما شفَاعتي ـ أحدهما ـ:" إمامٌ ظَلومٌ غَشُومٌ "؛ وهو الحاكم الظالم الذي يأخذ أموال الناس بالقوة بغير وجه حق!

وقولَه ﷺ:" أشدُّ الناسِ عذاباً للناس في الدُّنيا، أشدُّ الناسِ عَذاباً عندَ الله يومَ القيامَة ".

وقولَه ﷺ:" أشدُّ الناسِ يومَ القيامةِ عذاباً، إمامٌ جائرٌ ".

وقولَه ﷺ:" إنَّ شَرَّ الرُّعاءِ الحُطَمَة " مسلم. الذي يظلم الرعية ويبطش بهم، ويسلك معهم مسلك العنف والشدة.

وقولَه ﷺ:" إنما الإمامُ جُنَّةٌ؛ يُقاتَل من ورائِه، ويُتَّقَى به، فإن أمَرَ بتقوى الله وعدَلَ فإنَّ له بذلك أجراً، وإن أمرَ بغيرِه فإنَّ عليه وِزراً "متفق عليه.

وقولَه ﷺ:" ما مِن رجلٍ يلي أمرَ عشرةٍ فما فوق ذلك، إلا أتى اللهَ مَغلولاً يدَه إلى عُنقِه، فَكَّهُ برُّهُ، أو أوثقَهُ إثمُه، أولها ملامةٌ، وأوسَطُها ندامةٌ، وآخِرُها خِزيٌ يومَ القيامة ". " ما مِن أميرِ عشرةٍ، إلا وهو يُؤتَى به يوم القيامةِ مَغلولاً، حتَّى يَفُكَّه العدلُ، أو يوبقَهُ الجورُ ".

وقولَه ﷺ:" ما من أميرٍ يلي أمرَ المسلمين، ثم لا يجهدُ لهم ويَنصح، إلا لم يدخلْ معهم الجنَّة "مسلم.

وقولَه ﷺ:" اللهمَّ من وليَ من أمرِ أمَّتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه، ومَن وليَ من أمرِ أمتي شيئاً فرفَقَ بهم، فارفُقْ به " مسلم.

وقولَه ﷺ:" يكونُ أمراءٌ فلا يُرَدُّ عليهم قولُهم ـ أي لشدة ظلمهم لا يجرؤ أحد أن يعقب على قولهم مهما كان خطأ ـ، يَتهافَتون في النَّار، يَتْبَعُ بَعضُهم بَعضاً ".

وقولَه ﷺ:" ما مِن إمامٍ أو والٍ يُغلِق بابَه دونَ ذَوي الحاجَةِ والخَلَّةِ ـ أي الفقر ـ والمسْكَنَةِ، إلا أغلقَ اللهُ أبوابَ السماءِ دونَ خَلَّتِه، وحاجَتِه، ومَسكنته ".

وقولَه ﷺ:" مَن وليَ من أمورِ المسلمين شيئاً، فاحتجَبَ دونَ خَلَّتِهم، وحاجتِهم، وفقرِهم، وفاقتِهم، احتجَبَ اللهُ عنه يومَ القيامةِ دونَ خَلَّتِه، وحاجَتِه، وفاقتِه، وفَقرِه ".

وقولَه ﷺ:" ليتمنينَّ أقوامٌ ولُّوا هذا الأمر، أنهم خَرُّوا من الثريَّا، وأنَّهم لم يَلُوا شيئاً ". " ويلٌ للأمراء! ليتمنينَّ أقوامٌ أنَّهم كانوا مُعلَّقين بذوائبِهم بالثريَّا، وأنهم لم يكونوا وَلُوا شيئاً قط ".

وقولَه ﷺ:" إنا والله لا نُولّي على هذا العملِ أحداً سألَه، ولا أحداً حَرِصَ عليه " مسلم.

وقولَه ﷺ:" إن شئتم أنبأتُكُم عن الإمارة؛ أولُها ملامَةٌ، وثانيها ندامَةٌ، وثالِثُها عذابٌ يومَ القيامةِ؛ إلا مَن عدَل ".

وعن أبي ذَر، قال: قلت: يا رسولَ الله! ألا تَستعمِلُني؟ قال: فضربَ بيده على منكبي، ثم قال:" يا أبا ذر إنَّك ضعيفٌ، وإنها أمانَةٌ، وإنها يومَ القيامةِ خِزيٌ وندَامَةٌ، إلا مَن أخذَها بحقِّها، وأدَّى الذي عليه فيها ". وفي رواية، قال له:" يا أبا ذَر إني أراكَ ضَعيفاً، وإني أُحبُّ لكَ ما أحبُّ لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا

تولَّينَّ مالَ يتيم " مسلم. وأبو ذر ﷺ هو، هو، قد قال النبي ﷺ فيه:" ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر، شبه عيسى بن مريم ". ومع ذلك لا ينصحه بالإمارة!

أتكفيكِ هذه الزواجر، والقوارع .. أم تريدين المزيد منها ...؟!

قالت النَّفسُ: قد قطعتِ أنفاسي، وضيّقتِ عليَّ المنافذ، والمسالك، والمخارج .. فلم تدعي لي طريقاً للمجد والشهرة، والمتاع، إلا وأغلقته دوني .. فلم يبقَ أمامي من خيار، سوى اللهو، واللعب .. والتمتع بزهو العمرِ .. والركون إلى الدّعة والراحة، ومجالسِ الطّرب والسَّمر .. قبل فوات الأوان!

قالت لها النفسُ: تفرّين من سيء إلى أسوأ .. ومن خيار خاطئ إلى خيار آخر أشد خطأ .. وكأنك لا تعرفين الغاية التي خُلقتِ، وخلق الجن والأنس من أجلها ...؟!

أما قرأتِ يا نفسُ، قولَه تعالى:[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]الذاريات:56. [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]البينة:5.

أين أنتِ من التّسابق إلى فعل الخيرات، وإلى رضوان الله تعالى ومغفرته، وجنة عرضها السماوات والأرض .. ففي ذلك نافسي، وسَابقي .. واجتهدي .. وفي هذا الميدان العظيم أفرغي همّتك، وطاقتك، واحرصي أن لا يتقدّمكِ أحد، تفوزين بخيري الدنيا والآخرة:[سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ]الحديد:21. [أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ]المؤمنون:61. [وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ]المطففين:26.

قالت النَّفسُ: إن اللهَ غفورٌ رحيم .. ليس المهم العمل .. المهم القلب .. وما وقر في القلب .. والقلب عامر بالإيمان والمحبة، وإني لأرجو بذلك أن أكون من أهل الجنّة!

قالت لها النَّفْسُ: كمَا أن الله تعالى غفور رحيم، فإن اللهَ شديدُ العقاب .. والله تعالى لا ينظر إلى القلوبِ وحسب، وإنما ينظرُ إلى القلوب والأعمال، كما في الحديث:" إنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ "مسلم.

ثم لو صدقتِ في المحبة، والإيمان في القلب، لظهر ذلك على الجوارح، وتُرجم إلى عمل .. فإيمان ومحبة في القلب من غير مُتابعة ولا عمل، ادعاء كاذب، يعوذه البرهان، ولا برهان، والله تعالى يقول:[قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ]آل عمران:31. هذا هو البرهان على صدق المحبَّة من عدمها؛ فعلى قدر المحبة الصادقة تكون المتابعة، ويكون العمل، وعلى قدر المتابعة والعمل تكون المحبة الصادقة، فكل منهما لازم وملزوم للآخر، وجوداً وعَدَماً.

وفي الحديث:" ألَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَة؛ إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ " متفق عليه. فالظاهرُ بريد الباطنِ ودليلٌ عليه، وما يجري على الجسد والجوارح الظاهرة، دليل على ما وقر واستقرّ في القلب، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

فإيّاكِ يا نفسُ أن تأمني مكرَ الله .. ترجين الجنَّة والرحمة بمعصية الله .. تُقيمين على الذَّنب، وترجين المغفرة .. فهو رجاء أهل الإرجاء والجفاء!

لا تحسبين عطاءَ اللهِ لك وأنت قائمة على معاصيه، غير آبهة بوعيده، هو خير لكِ، بل هو شرٌّ لكِ، وهو استدراج ينتهي إلى الخسران والنّدم، ولات حين مندم:[أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ . أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ . أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ]الأعراف:97-99.

وفي الحديث، قال ﷺ:" إذا رأيْتَ اللهَ يُعْطي العبدَ مِنَ الدُّنيا على مَعاصيه ما يُحِبُّ، فإنَّما هو استِدراجٌ "، ثمَّ تلَا:[فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ]الأنعام:44.

وفي قوله تعالى:[وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ]المؤمنون:60. قالت أم المؤمنين عائشة ﵂: يا رَسولَ اللَّهِ! أَهوَ الَّذي يَزني، ويَسرِقُ، ويَشرَبُ الخمرَ؟ قالَ:" لا، يا بِنتَ الصِّدّيقِ؛ ولَكِنَّهُ الرَّجلُ يَصومُ، ويتَصدَّقُ، ويُصلّي، وَهوَ يَخافُ أن لا يُتقبَّلَ منهُ ".

قال الحسن البصري:" من وسَّع الله عليه، فلم يرَ أنه يُمكر به، فلا رأي له .. المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفقٌ خائف وَجِل، والفاجرُ يعمل بالمعاصي وهو آمِن ".

وقال قتادة:" ما أخذ اللهُ قوماً قط إلا عند سَلوَتِهم، وغرَّتِهم، ونعمتهم، فلا تَغترّوا بالله ".

قالت النَّفسُ: قد ضاقت، واشتدت، واستحكمت أقفالها .. ولا أظنها ستُفرج على خير .. فليأس من الفرَج يتملكني .. والقنوط من الرحمة يهيمن علي .. ولا أظن إلا أني هالكة!

قالت لها النَّفْسُ: القنوطُ من رحمة الله يتنافى مع الإيمان .. وكما أن الأمن والرجاء من غير عمل تواكل مذموم .. كذلك الخوف إلى درجة اليأس، والقنوط من رحمة الله تعالى مذموم، وهو أشد ذنباً من سابقه .. والصواب أن تجمعي بين الخوف والرجاء معاً؛ فإذا جنحت النفسُ إلى التفريط والجفاء، والميل إلى التوسع في الرخص، وكانت قادرة عليها، غلَّبتِ جانب الخوف والخشية، وجعلت الكلمة الفصل له .. وإذا حضر الخوف، مع عزوف النفس عن التفريط والجفاء، وحملك على القنوط واليأس، غلّبتِ جانب الرجاء برحمة الله تعالى وعفوه، وجعلت الحكم له، فيعتدل الميزان من غير إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، قال تعالى:[غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ]غافر:3. [أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ]الزمر:9. فجمعت هذه الآية الكريمة بين الحذر والخوف من الآخرة، وبين الرجاء، فهما ـ الخوف والرجاء ـ كالجناحين للطائر، لا ينفكان عن بعضهما البعض، كما لا يمكن له الطيران والنجاة إلا بهما معاً.

قال تعالى:[وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ]فصلت:23. والأمن والخوف إذا انفرد كل واحد منهما عن الآخر، تحقق سوء الظن برب العالمين، الذي يُردي صاحبه ويوبقه، وإذا اجتمعا ولم يتفرّقا، وفق التفصيل الوارد أعلاه، تحقق حسن الظن بالله، والله تعالى عند ظن عبده به؛ إن ظن به خيراً، وجد خيراً، وإن ظن به غير ذلك، فلا يلومَنّ إلا نفسه.

يا نفسُ! باب الأمل، والرجاء، والتوبة مفتوح على مصراعيه، وعلى مدار الوقت .. لا يُغلَق دونكِ ما دام فيك عرق ينبض بالحياة، والحرص على التوبة والإنابة .. لا يحول بينك وبينه حائل، ولا وسيط، قال تعالى:[قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]الزمر:53. [قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ]الحجر:56. [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]البقرة:186. [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً]الشرح:5-6. وما من عُسرٍ إلا ويُتبعه الله تعالى بيسرين، وما غلب عسرٌ يُسرين .. وأنَّى!

رحم الله الشافعي إذ يقول:

وَلَرُبَّ نازِلَةٍ يَضيقُ لَها الفَتى ... ذَرعاً وَعِندَ اللَهِ مِنها المَخرَجُ

ضاقَت فَلَمّا اِستَحكَمَت حَلَقاتُها ... فُرِجَت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ

فتَدَخّلت النَّفسُ المطمئنّة مخاطبة النفسَ الأمارة، والنفسَ اللوامة ـ وكانت تُصغِي إليهما ـ لتُنهي الحوارَ بينهما: قد أطلتما الجدال .. فعند الله الملتقى والحساب .. يوم لا يَنفعُ مالٌ، ولا بنون، ولا حسَبٌ، ولا نسَبٌ، ولا زعامةٌ ولا رياسة .. إلا من أتى اللهَ تعالى بقلبٍ سليم من الشّركِ، والرياء، والحسَدِ، والأحقاد، والضغائن .. بقلبٍ عامرٍ بالتّقوى والعملِ الصّالح .. وإنا لله وإنّا إليه راجعون،[وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]التوبة:105. [فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]الزلزلة:7-8.

* * * * *

664- البِدْعَةُ من وجهةِ نظرٍ أخرى!

عندما يكون البديل عن البدعة ما هو شر منها، ليس من السنة والحكمة أن تنهى عنها .. والنهي عنها يُشرَع عندما يكون البديل عنها متاحاً، وممكناً، وخيراً منها.

في بعض البلدان التي يحكمها طغاة مستبدون، يحاربون الدعوة إلى الله، ويحاربون الكلمة الطيبة .. ولا يسمحون بعقد الندوات، والاجتماعات، إلا في بعض المناسبات الدينة، فإنهم يتساهلون، ويسمحون، كالمولد النبوي، ومناسبة النصف من شعبان، ونحوها من المناسبات .. والناس عَطْشَى لكلمة الدين والإيمان .. وربما كثير منهم لا يسمعون كلمة عن الإسلام، ونبي الإسلام، إلا في تلك المناسبات .. فحينئذٍ، ليس من السنة، والحكمة، أن ينبري أحدنا مخاطباً هؤلاء الناس: أن هذا الذي تفعلونه، بدعة فاجتنبوه ....!

كذلك قد يخرج شاب حديث العهد بالتدين مع جماعة التبليغ، يبيت معهم في المساجد، ويفعل طقوسهم المعروفة .. ليس من الحكمة أن يُنهى عن الخروج معهم، بحجة أن ما يفعله ويفعلونه بدعة أو فيه بدع .. إذا كنت تعلم أن البديل عنهم سيكون المراقص، ودور الخنا، وأقران السوء، والضياع ...!

في بعض البلدان الأعجمية .. من عادة أئمتهم قبل الصلاة وبعد الصلاة أن يقرؤوا الفاتحة، والإخلاص، والمعوذات، والأذكار والتَّسابيح المعروفة بصوت مرتفع، وأحياناً عبر مكبرات الصوت .. فقلت لأحدهم: هذا الذي تفعلونه بدعة، لا يجوز .. فقال لي يا فلان: هذا الذي نفعله هو رصيد الناس من التدين، لو أمسكنا، ولم نفعل .. وفعلنا ما تطلبه منا .. مع عدم إيجاد البديل الممكن والسهل .. لا تمضي سَنَة على الناس إلا ويكونون قد نسوا قراءة الفاتحة، وسورة الإخلاص، والمعوذات، ونسوا التلفظ بشهادة التوحيد .. أو لم يعد بمقدورهم أن يتلفظوا بها بسهولة، ولا بغيرها من الأذكار، والتسابيح .. وصعبت عليهم الصلاة .. ولأصبحوا لا دينيين، وأقرب إلى الإلحاد منهم إلى التدين ...!

فقلت في نفسي: البِدعةُ أهونُ من الإلحاد .. وأن يُذكَر الله بصوت مرتفع، أهون من أن لا يُذكَر الله أبَداً .. ليس من السنّة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن ننهى عن بدعة يكون البديل عنها شراً منها .. وهذا فقه أرجو ممن يتصدرون مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحديث عن البدع، والبدعة، أن يتنبهوا له.

* * * * *

665- الأسَدُ والفِيلُ.

خرج الأسَدُ يتبختر ويزأر في الغابة .. معلناً أنه السيد الأول، وأنَّه الملِك في الغابة .. لا يقبل له خصماً ولا منافساً .. وكان كلما مرَّ بحيوانٍ يسطو عليه ويفترسه .. معلناً انتصاره عليه، وتفرّده في حكم الغابة .. فمر بضبعٍ فقتله ومزّقه .. ومر بثورٍ فقتله .. ومر بثعلب فقتله .. ومر بذئبٍ فقتله .. إلى أن رأى فيلاً ضخماً، يرعى غير مبالٍ لما يجري حوله .. فتوجس الأسدُ منه ومِن ضخامته خيفةً .. وأخذ يقترب منه ببِطْء وتردد جاسَّاً نبض الفيل .. وماذا يمكن أن يفعل لو دنا منه أكثر .. فما إن اقترب من الفيل، وتجاوز حدوده في الاقتراب .. والفيل قد لاحظه .. إلا والفيلُ يرفع خرطومه إلى الأعلى .. محملقاً بعينيه .. وقد نَهَمَ نَهْمَةً قوية ارتجت لها أشجار الغابة .. وسمعته جميع حيوانات الغابة .. فتوقف الأسد .. وتراجع، وهو يقول للفيل: أمزح معك أيها الفيل .. ألا تعرفني .. فأنا أمزح .. واقترابي منك ما هو إلا مجرد مزحة .. فهدأ غضبُ الفيل .. ومضى في رعيه، وثني وتكسير غصون الأشجار .. تاركاً الأسدَ خلفه يعيش أشدّ لحظات الخوف والرعب ... وهكذا أمريكا لم تدع دولة صغيرة، وضعيفة ـ وبخاصة إن كانت من دول المسلمين ـ إلا وسطت عليها، وجربت أسلحتها وطيرانها على أهلها الضعفاء .. وتماهت بقوتها، وانتصاراتها، ومجازرها .. إلى أن واجهت الفيل الصيني، فقالت له: أنت يا أيها الفيل الصيني .. رغم أنك قتلت من مواطني أمريكا

أكثر من أربعين ألفاً بواسطة الفيروس كورونا .. فإنك فيل لطيف وظريف .. وحلو .. وحبّاب .. وتوجيه التصريحات الأمريكية الشديدة والقاسية تجاهك يا أيها الفيل الصيني .. لا تعدو عن مزحة .. فهي مجرد مزحة سياسية .. ألا تعرف أننا نمزح .. فعلام لا تتحمل المزاح .. " لا تَعصّب بليز! "؟!

2020/4/20

* * * * *

666- نصيحة للآباء.

من الأخطاء الجسيمة التي يقع فيها كثير من الآباء؛ أنهم إذا لاحظوا على أحد الأبناء، ميولاً وانصرافاً نحو طلب العلم الشرعي، أو الثقافة الإسلامية، أو حفظ القرآن ومدارسته .. سرعان ما يُظهرون له زهداً في هذا الجانب، ويبدأون توجيهه إلى الانصراف والانشغال بالواجبات المدرسية .. وأن لا يكون انشغاله بالعلوم الشرعية والثقافة الإسلامية على حساب الواجبات المدرسية .. وأحياناً لا يخلو لهم أن يذكّروا أبناءهم ـ ذكوراً وإناثاً ـ بأهمية الواجبات المدرسية، إلا عندما يرونهم منصرفين أو منشغلين بحفظ كتاب الله، ومدارسة الثقافة الإسلامية، ونحو ذلك .. فماذا يحصل .. وماذا تكون النتيجة؟!

الذي يحصل أن الأبناء ـ ذكوراً وإناثاً ـ يزهدون بطلب العلم الشرعي .. ويفقدون الحماس والاهتمام بالثقافة الإسلامية .. وبالأخلاق الإسلامية .. لأن آباءهم لم يُظهروا لهم الاهتمام بهذا الجانب .. بل أظهروا لهم العكس .. ثانياً، أن الأبناء ـ نتيجة لذلك ـ تسوء أخلاقهم، ويسوء سلوكهم .. بما ينعكس سلباً على نفسية وسلوك الأطفال أنفسهم .. وعلى علاقتهم بآبائهم .. وبأقرانهم .. وبالمحيط الذي يعيشون فيه .. ويصحبهم هذا الانحراف، وسوء الخلق إلى الكِبر وإلى ما بعد مرحلة الشباب .. وهنا تبدأ صيحات وصرخات الآباء والأمهات .. يناشدون المصلحين والشيوخ النجدة والتدخّل .. بأن يصلحوا أبناءهم وبناتهم .. وأن الأبناء قد ساءت أخلاقهم، وساء سلوكهم، وأن قيادهم أصبح صعباً .. والسبب هو من عند أنفسهم؛ أنفس الآباء والأمهات .. من ذلك الوقت الذي كانوا يظهرون فيه اهتمامهم بالواجبات المدرسية، دون الواجبات الشرعية، والثقافة الإسلامية .. والأخلاق الإسلامية .. فعُوقِبوا من جنس فعلهم .. ولا يلوموا إلا أنفسهم!

* * * * *

667- الموقف من الأهواء وأصحابها.

الأهواء كثيرة ومتجدّدة؛ كانت، ولا تزال، وستظل؛ لأن الشيطان لا يفتأ أن ينفخ فيها كلما ذبلت، وآلت إلى الأفول والهلاك، ويبحث عن نصيرٍ لها يحتضنها ويرويها .. وهي مثلها كمثل نبتة خبيثة في صحراء قاحِلةٍ جدباء، تبحث عمّن يرويها، أو ينقلها إلى واحة خضراء؛ لتقتات من فتات وفضلات ما يُصيب، ويصل إلى ما يقربها من النباتات.

وفي التَّاريخ تَراكمات من الأهواءِ المهجُورَةِ والمتعفّنة، يأبَى بعضُ المعاصرين ـ على طريقةِ الجُعْلانِ الَّتي تدفعُ النَّتنَ بأنفِها ـ إلا نَبْشها، وإخراجها من جديد للنور، وللهواء الطلق .. تحت مُسمّيات وعناوين جديدة وبرَّاقة ما أنزَل الله بها من سلطان: التنوير .. والتجديد .. والحداثة .. وغيرها من الألقاب والعناوين التي ظاهرها مُتَشَابَه، وباطِنُها شَرٌّ وخَبيث!

وهؤلاء حقهم الهجر، والزَّجر، لعلّهم ينتهون .. كما في الحديث:" مَن وقَّر صاحِبَ بدعةٍ، فقد أعان على هَدمِ الإسلام ".

وعن ابن مسعود، قال:" من أحبَّ أن يُكرم دينه؛ فليعتزل مجالسة أصحاب الأهواء؛ فإن مجالستهم ألصق بالجَّرب ".

وعن الحسن البصري، قال:" لا تجالس صاحب بدعةٍ؛ فإنه يمرض قلبك ".

قال الأوزاعي:" لا تمكّنوا صاحبَ بدعةٍ من جَدَل؛ فيُورث قلوبكم من فتنته ارتياباً ".

وقال الشَّافعي:" حُكمي في أهل الكلام أن يُضرَبوا بالجّريد والنعال، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُقال: هذا جَزاء من ترك الكتابَ والسُّنَّةِ، وأقبلَ على الكلام ".

وقال أحمد بن حنبل للحارث بن أسد المحاسبي، بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة:" ويحك ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر بالشبهة، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث والفتنة؟!".

* * * * *

668- ثعالِبُ مدينة لندن في عهدِ كورونا!

عادَةُ الثّعالب أن يَستولوا على شوارع مدينة لندن، بعد منتصف الليل؛ لخلوها تقريباً من المارة، ولهَدأَةِ حركة النّاس .. يبحثون عن طعامهم في الفضلات التي تُرمَى في سلات القُمامة .. أما في عهد كورونا، فقد قدّموا توقيت خروجهم إلى الشوارع، وتوقيت غزوها والاستيلاء عليها، إلى ما بعد غروب الشمس، فتراهم يطوفون في الشوارع، وبين الأزقة، والبيوت ـ يبحثون عن الطعام، ويقفزون ويلعبون ويمرحون ـ بكل حريّة وطمأنينة، وأمان .. لا يبالون لنظرات الناس إليهم من الشُّرَفِ والنّوافذ .. يُقابلون نظرات النّاس لهم، بنظرات التهكم، والاستخفاف، والتّحدّي .. وكأنهم على علمٍ بأن الناسَ وكلابهم محبوسون في منازلهم، لا يستطيعون ـ في هذا التوقيت المبكّر ـ الخروج إليهم، ولا ترويعهم .. وكأنّي بالثّعالب يقولون، ويدعون: اللهم أدِم حبس الناس في بيوتهم .. وأدِمْ علينا نعمةَ الحريّة؛ نعمةَ كورونا .. يَصْدقُ في النَّاس، وقوم الثّعالِب المثَل:" مَصائِبُ قومٍ عند قَومٍ فَوائدُ ".

* * * * *

669- [إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً]الجن:1.

عجائبُ القرآن لا تتوقّفُ عند حدٍّ .. ومن عجائبه المُدهشة أنه بمفرده يُقاتل في ميادين الكفر، والنفاق، والزندقة، والإلحاد .. بمفرده يُقاوم ويُقاتل جيوشهم الجرّارة، ووسائلَهم الهدَّامة .. فلا يقوون مجتمعين على مواجهته إلا بإحداث الصّخب، واللغو، والضجيج، الذي به يحيلون بينه وبين مسامع النّاس، وأنَّ .. الأسلوب القديم الجديد، وإن كان الجديد منه قد تضاعفَ وتطور، وتنوَّع، كما قال تعالى:[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ]فصلت:26.

المكائدُ لا تُحصَى .. تُحَارُ أمَامَها العُقُول .. تدَعُ الحليمَ حيراناً .. ومَكرُ الليلِ والنَّهار مُستمرٌ من غير توقّفٍ .. وإن مَكرَهم لتزولَ منه الجبالُ .. يريدون أن يُطفئوا نورَ الله بمكرهم .. لكنَّ كتابَ الله ـ بمفرده! ـ لهم بالمرصاد؛ يُبدّدُ مكائدَهم .. وظلمهم وظلامهم .. ويُبطلُ مَكرَهم .. ويحرقُ باطلَهم .. ويأبى إلا أن يُتِمَّ نورَهُ ـ وفي عِقر دارِهم ـ ولو كَرِهَ الكافرون!

إنه مُقاتلٌ بلا مُقاوم، ولا مُنازِع .. وأمّةٌ تنتمي لهذا الكتاب العظيم، حقٌّ لها أن لا تَقلَق، ولا تحْزَن.

* * * * *

670- الفَرَاغُ!

لمن يشكو الفَراغَ .. ويرى في الفراغ نقمة، لا نعمةً تُغتنَم .. ويحرص أن يقتل أوقاته بالعادات والسلوكيات الخاطئة، وفيما لا ينفع، أقول: الوقت أنتَ، وأنت الوقت .. فهو يساويك وأنت تساويه .. وكلما ذهب جزء من وقتك، ذهب جزء منك .. فإذا ذهب وقتك كله، ذهب كلّك، وجاء أجلُك .. ولات حين مندم!

الوقتُ وعاء .. هناك من يُملئ وعاءه ذهَباً ولؤلؤاً .. وهناك من يملئه بعراً، وحَصَاً، وروثاً .. فمن أي الفريقين أنت؟!

الوقت هو المساحة التي منحك الله إياها لكي تنجز فيها مشاريعك، وأعمالك .. وتنجز فيها الاختبارات الموكل بها .. واليوم الذي يمضي من غير إنجاز ولا عمل .. تُقتطع قطعة من المساحة المتاحة لك .. وهكذا في كل يوم تضيق المساحة عليك حتى تفقد المساحة التي يمكن أن تنجز فيها شيئاً .. ويدق جرس انتهاء توقيت الإجابة عن الاختبارات .. وتُطوى صحف الاختبارات .. وحينئذٍ لا ينفعك استجداؤك دقيقة من الوقت، لتستدرك، وتجتهد، وتعمل صالحاً .. [وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ]السجدة:12. [وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم]فاطر:37. أولم نعطيكم الوقت الكافي من قبل .. لا عذر لكم!

الوقتُ كَفَلاتٍ .. وكل امرئٍ وما يزرع في فلاته المقتطعة له .. هناك من يزرعها شوكاً، وهناك من يرويها ويزرعها بما لذَّ وطاب، وعظم نفعه وعطاؤه .. وقد خاب وخسر من انقضى عمرُه وفلاته قاحلة جدباء، لا خير فيها!

كل يومٍ يُقتطَع من عمرك، يُودّعك قائلاً: إلى اللقاء .. ستراني في صحيفةِ عملك .. يوم يُقال لك:[اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً]الإسراء:14. فإمّا أن تُسَرَّ بي، وإمَّا أن تُسَاء!

أرخَصُ الناس، من أرخص وقته وعمره، ورضي لوقته أن يمضي بلا ثمن، أو بثمنٍ بخس ...!

أزهَدُ الناسِ بنفسه، أزهدهم بوقته .. من يرضى أن يمضي وقتاً من عمره من دون أن ينجز فيه شيئاً نافعاً ...!

العبد المملوك من يبيع وقته للآخرين .. أو يسمح للآخرين أن يتحكموا بوقته، وبالطريقة التي يهدرون بها وقته!

أنت عبد لله وحده؛ يعني أن وقتك كله يجب أن يكون لله، [قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]الأنعام:162. فحياتك كلها حتى مماتك [لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]، لا شريك له.

أنت عبد لله وحده؛ يعني أن وقتك كله يجب أن يكون في طاعة الله؛ يرتد عليك ـ في دينك أو دُنياك أو كليهما معاً ـ بالخير، أو يرتد عليك وعلى أهلك، أو على غيرك من الناس بالخير .. وفي الحديث:" خيرُ النّاسِ أنفَعُهُمْ لِلناسِ ".

الوقت نعمة وأمانة، وإنك لموقوف ومسؤول عنها؛ هل فرطت بها، أم أحسنت رعايتها واغتنامها، كما في الحديث:" لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ ...".

وقال ﷺ:" اغتنِمْ خمسًا قبلَ خمسٍ: حَياتَك قبلَ موتِك، وصِحَّتَك قبلَ سَقَمِك، وفراغَك قبلَ شُغْلِك، وشبابَك قبلَ هَرَمِك، وغِناك قبلَ فقرِكَ ".

وقد أُثر عن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ قوله:" إنّي لأكرَهُ أن أرى أحدَكُم سَبَهْلَلاً ـ أي فارغاً ـ لا في عملِ دنيا، ولا في عملِ آخرة ".

والوقتُ أنفسُ ما عُنِيتَ بحِفْظِهِ ... وأراهُ أسْهَلَ ما عَليكَ يَضيعُ

لا تَقُلْ: ما عندي عمل .. ماذا أعمل .. وبمَ أقضي الوقت؟!

إن لم يكن لديك عمل تنتفع به لنفسك، أو لأهلِك، أو للناس .. فانشغل بذِكر الله، أنعم به من شغلٍ .. أو بتلاوة القرآن، وتدبّر معانيه .. أو بقراءة كتابٍ نافعٍ .. أو باستماع لدرس نافع، عن طريق شبكة الانترنت، وما أكثرها .. فلو قلت: سبحان الله ـ وهي لا تأخذ منك أكثر من ثانيتين ـ تُغرَس لك بها شجرةٌ في الجنة، لا يعلم جمالَها، وعطاءها، وعظمتها إلا الله .. كذلك لو قلت: الحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كما في الحديث:" سُبحانَ اللهِ، والحمدُ لله، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ؛ تُغرَسُ لك بكلِّ واحدةٍ شجرةٌ في الجنَّةِ ". ما أقلّه من جهد، وما أعظمه من أجر!

ولا يكن مَثَلُكَ، كمثَلِ صاحب أبي ذَرٍّ .. وإليكَ قصَّتُه .. قال أبو ذَر ﷺ:" يا رسولَ الله ماذا يُنجي العبدُ من النَّارِ؟ قال ﷺ: الإيمانُ بالله. قلتُ: يا نبيَّ اللهِ مع الإيمانِ عملٌ؟ قال: أن تُرضِخَ مما خوَّلَك

اللهُ، وتُرضِخَ مما رزقَك اللهُ. قلتُ: يا نبيَّ اللهِ فإن كان فقيراً لا يجدُ ما يرضَخُ؟ قال: يأمرُ بالمعروفِ، وينهى عن المنكرِ. قلتُ: إن كان لايستطيعُ أن يأمرَ المعروفَ، ولا ينهى عن المنكرِ؟ قال: فلْيُعِنِ الأَخْرَقَ. قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إن كان لا يحسنُ أن يصنعَ؟ قال: فلْيُعِنْ مظلوماً. قلتُ: يا نبيَّ اللهِ أرأيتَ إن كان ضعيفًا لا يستطيعُ أن يُعينَ مظلوماً؟ قال ﷺ: ما تريدُ أن تتركَ لصاحِبِك من خيرٍ؟! لِيُمْسِكْ أذاه عن الناسِ ".

* * * * *

671- المليارُ الذَّهبي!

كَثُرَ حديثُ النّاسِ عن المليار الذَّهبي .. وأنَّ ما زاد عن المليار إنسانٍ سيكون عرضة للتآمر والقتل، خَشية الإنفاق .. ولِزَعْمِ الأشرارِ الأشِحَّاءِ أن الأرضَ لا تَتَّسِعُ لأكثر من مليارهم، ولا تُطعِم أكثر من مليار إنسان .. ولهؤلاء الأشرار نقول: ليس لكم من الأمر شيئاً .. فالأمر كله لله الواحدِ القهار .. فالمُلْكُ مُلْكُه، والأرضُ من مُلْكِهِ، ولها ربّ يرعاها ويحميها .. وأنه تعالى رَبُّنا هو الذي يَرزق، ويُطعِم، ويَسقي مَن فيها:[قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ]سبأ:24. [وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]الذاريات:22. ومهما مكرتم مَكراً كُبَّاراً، وتآمرتم، فالله تعالى لكم ولمكركم بالمرصاد، وهو أعلى وأسرعُ مَكراً.

صدق الله العظيم:[قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً]الإسراء:100. القرآن حدَّثنا عنكم، وعن شحِّكم، وعن نواياكم الشّريرة، قبل أن تفنّدوا ما في أنفسكم الأمَّارة بالسّوء، وعَمَّا تُحيكونه، وتَكيدونه ...!

* * * * *

672- الحسناتُ تتشفَّع عند مورد الشَّدائد، والزَّلات.

الحسَنَاتُ تُسْتَحْضَر، وتَتَشَفَّع عِندَ موردِ الشَّدَائد، والمصائب .. فأعِدُّوا الحسَنَات، لأيَّامِ الشِّدّة، تنفعُكم بإذن الله .. قال تعالى عن نبيه يونُس لما التَقَمَه الحُوتُ:[فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ]الصافات:143-144. فذُكِرَ له التَّسْبيحُ .. والثَّلاثَةُ الذين دخَلُوا الغارَ، فَانْحَطَّتْ علَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عليهم .. استَحْضَرُوا حسَناتهم، وتوسَّلوا بها إلى الله، فانفرَجَت عنهم الصَّخرة .. ولما انطبقَ البحرُ على فرعون، استنجَدَ واستَغاث .. ولم يكُن عنده إلا السَّيئات .. قال الله له:[آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ]يونس:91.

كذلك فإن الحسنات تُستَحضَر وتتشفّع عند موردِ الزَّلات، فتقيل عثرات صاحبها، قال تعالى:[وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ]هود:114.

أخرج مسلم في صحيحه، أن رجلاً جَاءَ إلى النبيّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا ـ يريد ذنباً دون الحدود المعلومة التي تستوجب قصاصاً محدّداً منصوصاً عليه ـ فأَقِمْهُ عَلَيَّ، قالَ:

وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قالَ: يا رَسُولَ اللهِ، إنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فأقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ، قالَ:" هلْ حَضَرْتَ الصَّلَاةَ معنَا؟". قالَ: نَعَمْ، قالَ:" قدْ غُفِرَ لَكَ ".

وفي رواية:" أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِن بَيْتِكَ، أَليسَ قدْ تَوَضَّأْتَ فأحْسَنْتَ الوُضُوءَ؟ قالَ: بَلَى، يا رَسُولَ اللهِ، قال: ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ معنَا؟ فَقالَ: نَعَمْ، يا رَسُولَ اللهِ، فَقالَ له رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: فإنَّ اللَّهَ قدْ غَفَرَ لكَ ذَنْبَكَ ". فذُكِرَت له حسنة الصلاة، وتشفعَّت له.

ولَمَّا كَتَبَ حاطِبَ بنَ أبي بَلْتَعةَ إلى أهلِ مكَّةَ يَذْكُرُ لهم أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم أرادَ غَزْوَهم .. قالَ عُمَرُ: إنَّه قدْ خانَ اللَّهَ ورَسوله والمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فقالَ ﷺ:" أليسَ مِن أهْلِ بَدْرٍ؟! لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إلى أهْلِ بَدْرٍ، فقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ، فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ". فَدَمعتْ عَيْنا عُمَرَ، وقالَ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. البخاري.

وفي رواية:" أتَقتُلُ رَجُلًا مِن أهلِ بَدْرٍ؟! ما يُدْريكَ لعلَّ اللهَ قد اطَّلَعَ على أهلِ بَدرٍ، فقال: اعْمَلوا ما شِئتُم ". فذكِرَت له حسنة بدر، وتشفّعت له.

كذلك الحديث الذي أخرجه البخاري:" أنَّ رَجُلًا علَى عَهْدِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وكانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وكانَ يُضْحِكُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وكانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ جَلَدَهُ في الشَّرَابِ، فَأُتِيَ به يَوْمًا فأمَرَ به فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العنْه، ما أكْثَرَ ما يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ إنَّه يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ ". فذُكِرَت له حسنة حبه لله ولرسوله، وصِدق ولائه، ومنعت من لحوق وعيد اللعن به.

كذلك الخارجي، الذي قال للنبي ﷺ: اتَّقِ اللَّهَ! قالَ ﷺ:" ويْلَكَ، أوَلَسْتُ أحَقَّ أهْلِ الأرْضِ أنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟!"، ثُمَّ ولَّى الرَّجُلُ، قالَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ: يا رَسولَ اللَّهِ، ألَا أضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قالَ ﷺ:" لَا؛ لَعَلَّهُ أنْ يَكونَ يُصَلِّي .. "البخاري. فذكَر له الصلاة.

وقد أوصَى النبي ﷺ بالأنصار خيراً؛ لسابقة إسلامهم وجهادهم، وبذلهم، فقال:" فاقبَلُوا من مُحْسِنِهم، وتجاوزوا عن مُسِيئِهم "؛ فإذا ما أساءَ أحدُهم ـ ما لم يكن حدَّاً من حدودِ الله ـ فأقيلوا عثرتَه، وتجاوزوا عن سيّئتِه، واذكروا له حسَنةَ السَّبقِ في الجهاد، ونصرةَ الإسلام، ونبي الإسلام، فإن ذلك يشفع له.

* * * * *

673- كيف يَطيبُ لكم أن تُؤْذُوا رسولَ اللهِ ﷺ ..؟!

قال تعالى:[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ]الأحزاب:53. الأذى الصريحُ الذي يمارسُه الكفّارُ، والزَّنادِقةُ، الكلُّ يَعلَمه .. أمّا الأذَى الخفِي والمبطّن، والذي يمارسه مَن يُحسَبون على الملّة، وأهل القِبلةِ، هو الذي ينبغي تعريتُه، وأن يُشارَ إليه .. من صورِ هذا النّوعِ من الأذَى: الطّعنُ بالسُّنّة، والاستخفافُ، والاستهانَةُ بها، والانتقاصُ من قَدْرِها ومن حُجّيَّتِها .. ومنها، القولُ بالاكتفاءِ بالقرآنِ من

دونِ السّنّةِ، والرجوعِ إليها؛ فيخرجونها من دائرةِ الاستدلالِ والاحتجَاج .. ومنها، رَدُّ كثيرٍ من الأحاديثِ بزعم أنها آحادٌ، وظنيّة الدَّلالة .. ومنها، تقديمُ العقلِ على الثّابتِ من سُنّته، وجعلُ العقلِ حَكَماً على السُّنّة، يأخُذ منها ما يهوى، ويردُّ ما يهوى .. ومنها، الكذِبُ على رسولِ الله ﷺ، وكَثرَةُ الاستدلالِ بالأحاديثِ الموضوعةِ المكذوبة، والضّعيفة، على أنها من أقوالِه، وما هي من أقوالِه .. ومنها، الاستخفافُ والانتقاصُ من قَدْرِ أصحابِه الكِرام، والطَّعنُ والغمزُ بهم أو ببعضِهم، وإخراجُهم من دائرةِ المرجعيّةِ التي يُرجَعُ فيها إلى فَهمِهم وأقوالهم في مسائلِ الدِّين .. ومنها، عَدَمُ استحضارِ أقصَى درجَاتِ الأدَبِ، والتَّوقير، عند الحديثِ عن أهلِه، وآلِ بيتِه الكِرام .. ومنها، إماتةُ سنَّته بإحياءِ ما يُضادُّها من البِدَع .. ومنها، الغُلُو في شخصِ النبي ﷺ، وفي إطرائه، ورَفعِه إلى مقام الألوهيّة، والربوبية .. ومنها، الغُلُو في الأئمّةِ، والشّيوخِ، والتَّعصّب لهم، ولأقوالهم، ورفعهم إلى مَقامِ النَّبيّ صلى اللهُ عليه وسلم .. فهذا كله مما يُؤذي رسولَ الله ﷺ، ولهؤلاء كُلِّهم يُقال:[وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ]، ولهؤلاء كُلٌّ له نصيبه ـ بحسْبِ أذاه ـ من قوله تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً]الأحزاب:57.

* * * * *

674- ليسَ كلُّ النّاسِ يحبون ولَدَك.

أعني أنَّ الناسَ لا يحبون ولدَك كما تحبه أنت، ولا تتوقع، ولا ترجو منهم أن يتحمّلوه كما تتحمّله أنت .. وبالتالي عندما تزور النّاس، وبصحبتك ولدك، لا تترك له العنان في أن يقفز كيفما يشاء، وعلى من يشاء، أو يعبث بما يشاء، ويخرّب ما يشاء .. وإنما احمله على الأدب بما يُرتجى ممن هم في سِنّه .. وهذا لا يمنع من أن يلهو ويلعب مع أقرانه بما يناسب عمره، وتسمح به ظروف الزيارة .. فقد يسرك عبثُه، وشغَبُه، وتخريبُه، وما يحدثه من ضجيج .. لكن قد يُضايق ويحرج من نزلت عندهم ضيفاً، ويتحرّجون أن يُظهروا لك شيئاً من ذلك.

لا أزال أذكر زيارة مع جمع من الطيبين لأخ في منزله .. وما إن أخذ كل منا مكانه ومقعده .. إلا وجاء الأخ بولد له، لا يتجاوز من العمر خمس سنوات؛ ليعرفنا عليه .. فأقبلنا على الولد بالترحيب، والاهتمام، والتقبيل بما يقتضيه الواجب، ويسمح به ظرف الزيارة .. وإلى هنا الأمور طيبة لا حرج ولا إشكال فيها .. إلا أن الولد بإغراء من أبيه لم يهدأ .. فبدأ بالشَّغب، والقفز من واحدٍ إلى آخر، ويعلو أكتاف، ورؤوس، وطرابيش الجميع .. والطرابيش تتساقط في حجور أصحابها .. والولد في قمة المرح والنشاط .. وكأنه قد اجتمعت فيه مهارات عشرة قرود .. والأب ينظر إلى ولده بإعجاب، ووجهه يتهلل ويضيء من السرور والسعادة، لمهارات ولده في الشَّغبِ، والقفز على أكتف ورؤوس، وطرابيش المشايخ .. بينما الإخوان الزائرون كانوا في قمة الحرج والضيق .. فانتهى المجلس ولم نستطع أن نتناول مسألة واحدة أو

نتكلم في موضوع معين؛ لأن الاهتمامات كلها كانت منصبة على الولد، وقفزاته، وحركاته البهلوانية .. وعلى الطرابيش التي تسقط في حجور أصحابها!

كلمتي هذه موجهة للآباء، والأمهات سواء ....!

* * * * *

675- نعمةُ القَبُول.

نعمةُ القَبول كغيرها من النّعم، تَزيدُ بالشُّكر، وتنقص وتزولُ بكفرانها .. وشُكرُ نعمةِ القبول يكون بإغاثة الملهوفين، وبذل الشّفاعة، والتَّوسط لذوي الحاجات، والحقوق .. والسعي عند ذوي النفوذ، وأولي الأمر في تحصيل حقوق المستضعفين، والمظلومين .. قال تعالى:[مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا]النساء:85. أي من ثوابها وأجرها، فالدَّالُ على الخير كفاعله.

كم من شخصٍ مَنَّ اللهُ عليه بالقَبول فترةً من الزَّمَن .. وكانت لكلمته أثراً عند ذَوي النُّفوذ، يُسمَع لها، ويُحسَب لها حسابها .. فلم يشكر هذه النعمة .. ولم يستغلها استغلالاً حسناً .. وتصرَّف بأنانيّة، تجاه آلام وهموم المسلمين، وتجاه قضايا كثيرٍ من ذوي الحقوق من المستضعفين والمظلومين .. فلا يهتم ولا يقلق إلا لآلامه الخاصّة، ومصالحه الشّخصية .. فسَلبَ اللهُ منه نعمة القبول، واستبدله بدلاً منها بالنفور والبغض في قلوب الناس!

فنعمةُ القبول ذاتها قد تكون استدراجاً لصاحِبها؛ ماذا، وكيف سيتصرَّفُ بها ...؟!

* * * * *

676- اتّقوا دعوةَ الدُّجاج!

كل ما يدبُّ من الحيوانات، والدواب، والطيور، سواء منها التي في اليابسة أم التي هي في البحر والمياه .. تألم كما نألم، وتفرح كما نفرح .. وتحس كما نحس .. وتحزن .. وتشكو .. وتدعو .. وتوحّد خالقَها .. وتسبح بحمده .. ولكن لا نفقه تسبيحهم .. وهم أمم أمثالنا، كما قال تعالى:[وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم]الأنعام:38. وقال تعالى:[تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً]الإسراء:44.

جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! إنِّي لأَذبَحُ الشاةَ فأرحمها. قال ﷺ:" والشَّاةَ إن رحمتَهَا رحِمَكَ اللهُ ". " من رَحِمَ ولو ذبيحةَ عصفورٍ رَحِمه الله يومَ القيامة ".

وجاء آخر، فقال: يا رسولَ الله! إني أملأ حوضي أنتظر ظهري ـ أي ناقتي ـ يَرِدُ عليَّ، فتجيء البهيمةُ فتشرب، فهل في ذلك من أجر؟ فقال رسولُ الله ﷺ:" لك في كلِّ كَبدٍ حَرَّى أَجرٌ ". وقوله " حرَّى "؛ أي عطشى لما أصابها من الحَرِّ والجفاف.

وقال ﷺ:" بينما رجلٌ يمشي بطريق؛ إذا اشتدَّ عليه العطَشُ، فوجد بئراً، فنزلَ فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهَثُ يأكل الثَّرَى من العطش، فقال الرجلُ: لقد بلغَ هذا الكلبَ من العطَشِ مِثلُ الذي كان بلغَ بي، فنزل البئرَ، فمَلأ خُفَّهُ، ثم أمسكَهُ بفِيه حتى رَقِيَ فسقى الكلبَ، فشكرَ اللهُ له، فغفرَ له ". قالوا: يا رسولَ الله! وإنّ لنا في البهائِم لأجراً؟ فقال:" في كل ذاتِ كَبِدٍ رطَبَةٍ أجرٌ " متفق عليه. وقوله" في كل ذاتِ كَبِدٍ رطَبَةٍ أجرٌ "؛ يشمل كل ذي كبد يحتاج إلى الماء.

وفي رواية:" بينما كَلبٌ يُطِيفُ بِرَكيّةٍ ـ أي بئرٍ ـ قد كادَ يقتلُه العطَشُ؛ إذْ رأته بغيٌّ من بغَايا بني إسرائيل، فنَزَعت مُوقَها ـ أي خفَّها ـ فاستقت له به فسقته إياه، فغُفِرَ لها به" متفق عليه.

وهذا بعيرٌ يجيئ إلى النبي ﷺ، وعيناه تدمعان، يشكو أصحابه، الذين استثمروا شبابَه وقوته، ولما هرم وضعف عن العمل، أرادوا أن يأكلوه .. فبعث النبي ﷺ إلى أصحابه، فقال:" ما لبعيركم هذا يشكوكم؟!" فقالوا: كنا نعملُ عليه، فلما كبر وذهبَ عمَلُه ـ أي ضعف عن العمل ـ تواعدنا لننحره غداً. فقال رسولُ الله ﷺ:" لا تنحروه، واجعلوه في الإبل يكون معها ".

وجملٌ آخر، رأى النبيَّ ﷺ؛ حَنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبيُّ ﷺ، فمسَحَ ذَفرَاه ـ أي مسح ذفر دمعه عن موضعه ـ فسكَتَ، فقال:" من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟!"، فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسولَ الله! فقال:" أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكَكَ اللهُ إيَّاها، فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعهُ وتُدئِبه". أي وتتعبه في العمل.

نزل النبي ﷺ منزلاً، فأخذ رجلٌ بيضَ حُمَّرة ـ طائر صغير أحمر اللون ـ فجاءت تَرِفُّ على رأسِ رسول الله ﷺ، فقال:" أيُّكم فَجَعَ هذه بيضتَها؟" فقال رجل: يا رسولَ الله أنا أخذتُ بيضتَها، فقال النبيُّ ﷺ:" اردُدْهُ؛ رحمةً لها ".

وفي رواية: رأينا حُمَّرةً معها فرخان، فأخذنا فرخَيها، فجاءت الحمَّرة فجعلت تَفرشُ، فجاء النبيُّ ﷺ فقال:" مَن فجعَ هذه بولدها؟ رُدُّوا ولَدَها إليها ".

وتلك امرأة:" عُذِّبت في هرَّةٍ سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار؛ لا هي أطعمتها ولا سقتها إذْ حبستها، ولا هي تركتها تأكلُ من خشَاشِ الأرض" متفق عليه. أي من هوامها وحشراتها.

قال ﷺ:" لو غُفِر لكم ما تأتون إلى البهائم لغُفِر لكم كثيراً ". أي لو غُفر للناس ظلمهم للحيوانات، وتقصيرهم بحقوقهم، لغُفِر لهم كثيراً من الذُّنوب والخطايا.

وغيرها كثير من النصوص ذات العلاقة بحقوق الحيوانات التي لا يتسع لها هذا الموضع .. أردنا من هذه المقدمة أن نشير إلى مظلمة " الدّجاج " التي فاقت كل تصور وخيال .. الدجاج ـ بإذن ربه ـ يمنحنا لحمَه، وبيضَه .. ونحن نحبسه في أقفاصٍ ضيقة، يركب بعضهم بعضاً .. قفص يتسع لمائة دجاجة، نضَع فيه ألفاً .. نطعمهم الجلَّالَة ـ طعام مطحون ومخلوط بالبروتين الحيواني، وبفضلات ولحوم، وعظام، وريش، وأوساخ

المواشي الميتة ـ وأحياناً بالقوّة، وعبر الأنابيب؛ ليسمن ويبيض قبل أوانه .. من أجل الربح السّريع .. من أجل أن يرتوي طمع وجشع الإنسان .. ولا يرويه إلا التراب!

كثير من التقارير المسؤولة الصادرة عن ذوي الاختصاص، تتحدث عن أنَّ هذه المعاملة الجائرة للدجاج، تسبب أمراضاً للدجاج .. ومن ثم هذه الأمراض تنتقل إلى الإنسان، عن طريق فيروسات قاتلة .. وهناك من دَقَّ ناقوسَ الخطر؛ بأن هذه المعاملة الجائرة للدجاج، قد تتسبّب بظهور فيروسات جديدة، قد تقتل مئات الملايين من الناس .. فيروس كورونا ـ الذي نشهد آثاره الخطيرة في هذه الأيام ـ يُعتبر قزماً، ولا شيء قياساً بفيروس الدجاج القادِم!

اتقوا دعوةَ الدجاج المظلوم فإنّ له رباً قديراً ـ رب العالمين ـ يَسمعُ ويرى .. يجيبُ الدّعاءَ .. وينصر المظلومَ .. ويَنتصِفُ له من ظالمه .. ولو كان المظلومُ من البهائم والحيوانات، والظالمُ هو الإنسانُ.

2020/6/6

* * * * *

677- خُلُق العَفُو.

من أجَلّ وأنبلِ الأخلاق، خُلُق العَفُو، ومُقابلة السّيئة بالحسنة؛ وهو فَضْلٌ، ومِنَّةٌ، وإحسَانٌ، وهو خُلقٌ لا يقدرُ عليه إلا أُلو الفضل، وكلُّ ذِي حَظٍّ عَظيم، قال تعالى:[وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ]آل عمران:134. وقال تعالى:[وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ]التغابن:14. وقال تعالى:[وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ]النور:22. وقال تعالى:[ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ]فصلت:34-35.

ويوسف عليه السلام بعد أن ألقاه أخوته في غَيَابَةِ الْجُبِّ .. وكان منهم ما كان من الحسَدِ، والأذى والضرر له، ولأبيه يعقوب عليه السلام .. بعد أن التقاهم، قال لهم:[لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]يوسف:92. فعَفَا عنهم من غير عِتاب!

وفي الحديث، قال ﷺ:" ما زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا "؛ في الدنيا والآخرة، " وما تواضعَ أحدٌ لله إلا رفعهُ اللهُ ". في الدنيا والآخرة، ومن التواضع الاعتذار، والرجوع إلى الحق .. والرَّفعُ مقابل التواضُع؛ فالجَّزاءُ من جِنسِ العمل.

وقال ﷺ:" لا يَعفُو عبدٌ عن مَظلِمةٍ إلَّا زادَه اللهُ بِها عِزًّا يومَ القيامةِ ".

وقال ﷺ:" ارحَمُوا تُرحَموا، واغفروا يُغفَرْ لكم "؛ فالجزاءُ من جِنسِ العملِ، وكما تَدينُ تُدان.

جاء رجلٌ إلى النبيّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ، فقال: يا رسولَ اللهِ! كم نعْفُو عنِ الخادِمِ؟ ثم أعاد عليه الكلامَ فصمَت، فلما كان الثالثةَ قال:" اعفُوا عنه في كلِّ يومٍ سبعينَ مَرَّةً ".

وفي قصة هبّار بن الأسود، عجبٌ عُجَاب، وصورة في العفو لا يمكن أن يرقى إليها مخلوقٌ إلا رسولُ الله ﷺ؛ فقد نخَسَ هبّارٌ زينبَ بنت رسولِ الله ﷺ، وقرَعَ ظهرَها بالرّمح، وهي على ناقتِها، لما أرسلها زوجُها أبو العاص بن الربيع إلى المدينة، وكانت حاملاً فأسقَطَت، وكان ذلك سبباً في وفاتها فيما بعد في المدينة .. وهو مع ذلك كان شديدَ العداوةِ لرسولِ الله ﷺ ولدعوتِه، كما يقول هو عن نفسه: كنت فيمن عادى رسولَ الله ﷺ، ونصَبَ له وآذاه، ولا تسيرُ قريشٌ مسيراً لعداوةِ محمدٍ وقتالِه إلا كنت معهم .. فأُهدِر دَمُ هبّار .. إلا أن هبّاراً أتى بنفسه إلى رسولِ الله ﷺ .. فقال الناسُ: يا رسولَ الله، هبّار بن الأسود!، قال:" رأيتُه !"، فأراد رجلٌ من القوم أن يقومَ إليه، فأشارَ النبيُّ ﷺ إليه أن اجلِس، فوقف هبّار، فقال: السَّلام عليكَ يا نبيَّ الله، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن مُحَمَّداً رسولُ الله، ولقد هربتُ منكَ في البلادِ، وأردتُ اللحاقَ بالأعاجِم، ثم ذكرتُ عائدتَك ـ أي معروفك ـ وصِلتَك وصَفْحَكَ عمَّن جهلَ عليك، وكنّا يا نبيَّ الله أهل شرك، فهدانا اللهُ بك وأنقذنا من الهلاك، فاصفَحْ عن جَهلي، وعمّا كان يبلغك عني، فإني مقرٌّ بسوء فعلي، معترفٌ بذنبي، فقال رسول الله ﷺ:" قد عفوتُ عنكَ، وقد أحسنَ اللهُ إليك حيث هداكَ إلى الإسلام، والإسلامُ يجبُّ ما قبله ". إلا أن الناسَ لم يُطيقوا أن يروا هبّاراً حراً طليقاً، بعد أن كان منه كل الذي كان، فكانوا إذا رأوه يسبونَه .. فشكا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ، فقال له ﷺ:" سُبَّ من سَبَّكَ "، فانتهوا عنه.

وعن سعيد بن المسيب قال:" ما من شيءٍ إلا واللهُ يحبُّ أن يُعفَى عنه، ما لم يَكن حَدَّاً ".

وعن الحسن البصري، قال:" أفضلُ أخلاقِ المؤمنِ العَفُو ".

* * * * *

678- عادةٌ نصرانيّةٌ حسَنَةٌ المسلمون بحاجة إليها.

قال رسولُ الله ﷺ:" إنَّ الرجلَ من أهلِ الكتابِ يتزوجُ المرأةَ وما يعلُقُ يَداها الخيطَ، فما يرغَبُ واحدٌ منهما عن صاحِبه حتى يموتا هَرَماً "السلسلة الصحيحة:2871. وقوله " وما يعلُقُ يَداها الخيطَ "؛ كناية عن صغرِ سنّها وفَقْرِها." النهاية".

وهذه عادة حسنة عند النصارى، يستحسنها النبي ﷺ، ويرغّب أمَّتَه فيها .. نذكّر بها لأهميتها؛ حيث بتنا نلحظ كثيراً من العوائل والأزواج، تجمعهم الحاجة، ويفرقهم الاكتفاء والاستغناء؛ فإذا ما استغنى أحدهما عن الآخر؛ وفقد الحاجة للآخر ـ ولو كان ذلك بعد عمرٍ مديد ـ فقَدَ دواعي الاجتماع والبقاء في دفء عشِّ الحياة الزَّوجيَّة .. وأدبر كل منهما عن الآخر، ونأى بجانبه، وهَدَمَا ما كان عامراً بينهما من ودٍّ وخير .. وسَعيَا في الفِراق والتّفريق .. وكأنَّ الحياة الزوجية قائمةٌ وتقوم على الحاجةِ وحسب .. وهي ظاهرة باتت ملحوظة عند النساء أكثر مما هي عند الرجال؛ بسبب ما يتمتّعْن ـ في كثيرٍ من المجتمعات ـ باستقلالٍ ماديّ تامّ عن الرّجال، وكُفرانِهنَّ للعَشِير عندَ أدنى خِلاف!

فغابت لغة التَّذَمّم، والمروءة، والودّ، والوفاء، وحسن العهد .. وحضرت بقوة لغة الشّحّ .. والأنانيّة .. وحظوظ النّفس .. ولغة الحاجة، والأرقام .. والرّغبة وانطفائها .. والله المستعان!

* * * * *

679- كُنتُ أرعَى الماعِزَ والغَنَم.

في طفولتي كُنتُ أرعى الماعِزَ والغَنَم؛ وكان لكلٍّ منهما مَرعَاه والوقت الخاصان به دون الآخر؛ إذ يصعب جمعهما في مرعىً واحدٍ، ووقتٍ واحد؛ فالغنمُ سَهلةُ المِرَاس والانقياد، بطيئة في حركتها وتنقلها، ترعَى في السهول، والهِضاب، ومما تُنبته الأرضُ من أعشَاب .. تميل للاجتماع، وعدم التّفرق، إذ يندر تفرقها عن بعضها البعض، يكفي أن يكون للقطيع رأس كبير، منتفش الصوف، له قرنين مفتولَين كبيرين .. ليمشي بقيّة القطيع خلفه، ويسيروا حيثما سار.

بينما الماعِزُ صعبة المِراس والانقياد، سريعة التّفرق والشرود، كل رأس منها يحتاج إلى راعٍ خاص به يراقبه، ويحدّد من حركته .. تهوى اعتلاء الجبال ورؤوسها .. وترعى مما يصل إليها ويقرب منها من غصون الأشجار الدانية .. وفي كثير من الأحيان كنت أضطر أن أربطَ الأمهات، وأمد لهن في الحِبال، لتبقى صغارها حولها .. ومع ذلك كانت تجنح للتفرق والابتعاد، والانفراد .. لا يُؤمَن عليها من غلواء التّفرق والشرود .. واقتحام الحِمَى .. مثلها مثل الجماعات والفصائل العصيّة على الاتحاد والاجتماع!

رأينا كثيراً من الرّعاة، كيف أنَّ كلابَهم تساعدهم على جمع الأغنام، وضم بعضها إلى بعض، لتجعلها تسير في مسارٍ واحد، أو تجعلها تدخل مدخلاً محدداً .. أو تُدخلها إلى حظائرها .. لكن لم نرَ راعياً قط يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك مع الماعِز، ولو استعان بعشرات الكلابِ المدرّبة ...!

* * * * *

680- نِكَاحُ الحَاجَةِ أو المصلَحة!

لعلّكم سمعتم بنكاح المتعة .. ونكاح المِسْيار .. لكن هل سمعتم بنِكَاحِ الحَاجَةِ أو المصلَحَةِ؟!

نكاحُ الحاجة أو المصْلحةِ صورته؛ أن يُضمِرَ أحدُ الزوجين، النيّة من الزواج انقضاء مصلحة أو حاجة مادية معينة مؤقّتة، أو حاجة عاطفيّة في وقتٍ محدَّد، فإذا انقضت وتمّت، سعى صاحب الحاجة المقضيّة في التفريق والطلاق، وإنهاء الحياة الزوجيّة، إذ الغرض من زواجه قد تمّ وتحقق .. فعلام يستمر في حياته الزوجيّة؟!

من صور هذا النوع من النّكاح؛ أن يكون الغرض من الزواج الاستعانة بما يتمتع به الطرف المقابل من خصائص على التمكّن من السفر إلى إحدى الدول الأوربية .. أو الحصول على جنسيتها .. أو الإقامة فيها .. أو الاستيلاء والاستحواذ على ما عند الطرف الآخر من مال وأملاك .. أو الحصول على منصبٍ ووظيفة .. أو إشباع الرغبة الجنسية في مرحلة من المراحل، وفي فترة زمنية محدّدة .. أو الخروج من ظرفٍ

حرج .. ونحو ذلك من الأغراض .. فإذا تحققت لصاحب الحاجة حاجته .. وانقضت مصلحته .. فاجأ شريكه الآخر بنيته المبيّتة؛ وبقرار الانفصال والتفريق .. وعدم الرغبة في استمرار الحياة الزوجية، وهدم ما كان عامراً بينهما.

وهذا نكاح وإن استوفى شروطه المعروفة إلا أنه حرام؛ لما يَنطوي على الخيانة والغدر وعدم الصدق والمكاشفة ابتداءً .. ولما يترتب عليه من أضرار جسيمة للشريك المقابل، الذي لم يحط علماً بنية ولا غرض وحاجة الشريك الآخر .. وبخاصّة إن قدر الله لهما ذريّة؛ فحينئذٍ يكون الضرر مُضاعَفاً .. وأرى من الأهميّة ـ دفعاً للوقوع في هذا النوع من النكاح الضّار ـ أن يتحرَّى الأولياء عن نوايا من يتقدم للزواجِ من بناتهم، قبل أن يعقدوا لهم، وقبل أن يتم الزّواج .. وكذلك الزوج من حقّه أن يتحرّى عن نية وقصد من توافق على الزواج منه .. فهو أدعى للتوافق، واستمرار الحياة الزوجية من دون تصدّعات!

* * * * *

681- آيَا صُوفْيَا.

بعد أن تواطأ وتحالفَ الحِقدُ والإلحادُ؛ فأخرجوا " آيَا صُوفْيَا " عن صفته وهويته كمسجد يُرفَعُ فيه الأذان، ويُذكر فيه اسم الله .. كما أراد له أن يكون فاتح القسطنطينية السلطان مُحَمَّد الفاتح رحمه الله .. فها هو من جديد، وبعد أكثر من ثمانية عُقُود عِجافٍ، تُماطُ عنه الأغلالُ، والقيود، وخطَايا من حَرَفُوه عن مسارِه الإيماني، ليعود إلى سيرته الإيمانيّة الأولى؛ يعودُ إلى صفتِه الأولى كمسجدٍ يُرفَع فيه الأذان، وتُقام فيه الصلواتُ والشّعائر الدينية.

شَكَرَ اللهُ للسّيد " الطّيب "؛ هذا القرار السّديد والموفّق والشجاع الذي كان ينتظره جميع المسلمين في تركيا، وخارج تركيا .. طَيَّب اللهُ حياتَه بمزيدٍ من البَذلِ والعطاءِ والخدمة لدينِه، وأمَّتِه، وبلدِه، وشعبه.

مُبارك للشّعب التركي المسلم .. ولجميع المسلمين في العالَم هذا الإنجاز المبارك، والضخم .. والحمد لله رب العالمين.

2020/7/11

* * * * *

682- القُرآنُ كَلامُ الله.

الليبراليون المفتونون بعجلِ الديمقراطيّة ـ تحت عنوان وزعم حرية التعبير والنّقد ـ يُكثرون من التساؤل على وجه الاعتراض، والمعارضة: لماذا شُرع في القرآن الجهاد .. ولماذا عقيدة الولاء والبراء في الله .. ولماذا حد الزّنى، والسرقة .. ولماذا الحِجابُ للمرأة .. ولماذا، ولماذا .. ولم تتوقف " لماذاتهم " عند حدٍّ ...؟!

ولهؤلاء ولغيرهم نقول: القرآنُ كلامُ الله .. حُكمُ الله .. والخلقُ خلْقُه .. والملكُ مُلكُه وحدَه .. والله يقولُ ويحكمُ، ويفعلُ ويَقضي في خلقِه ومُلكِه ما يَشاء .. لا رادّ لحكمه وقضائه .. ولا يكون في سلطانه

ومُلْكِه إلا ما يُريد .. وكما له الخَلْقُ فله الأمرُ:[أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. [وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ]الرعد:41. [لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ]الأنبياء:23. [وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ]غافر:20. [وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216.

واعتراضاتكم، ومعارضاتكم لا تُقدّم ولا تُؤخّر، ولا تُلغِي من هذه الحقيقةِ شيئاً .. وهي ترتدّ عليكم بمزيدٍ من الكفر، والشَّقاء، والضّياع، ثم يوم القيامة تحشرون إلى جهنم وبئس المصير:[وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى]طه:124.

* * * * *

683- لماذا لا يُستجَابُ الدّعاء؟

كثير منّا يدعو الله تعالى، ثم يتساءل لماذا لم يُستَجَب دُعاؤه، واللهُ تعالى يقول:[وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ]البقرة:186؟

هذا تساؤل يتكرّر على ألسنة كثيرٍ من الناس، أجيب عنه في النّقاط التّالية:

1- قد يكون المرءُ في دعائه ظالماً؛ يدعو إلى ظلم، وبغي، وقطيعة رحم، وصاحبه لا يدري.

2- قد يقوم في الداعي من الأسباب، والسيئات، والموانع، ما يمنع من قبول الدعاء؛ كأن يكون مطعمه، وملبسه، ومشربه من حرام، وأن يرى المنكر فلا يُنكِره، وغير ذلك من المعاصي والآثام ...!

3- قد يوجد في الداعي تقصير، وإهمال للأسباب، يمنع من قبول الدعاء؛ إذ لو أجيب كل دعاء مع ترك الأسباب، لتواكَلَ الناسُ، وتركوا العمل والأخذ بالأسباب، وركنوا إلى الدعاء.

4- قد يترتّب على استجابة الدعاء شرّ لا يعلمه الداعي، لكن الله يعلمه .. فلا يستجيب الله دعاءه دفعاً لذلك الشرّ، [وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216. وفي الأثر:" لو اطلعتم على الغيب لرضيتم بالواقع ".

5- قد يترتب على استجابة الدعاء، تفويت خير أعظم بكثير ممّا يتضمنه الدعاء من خير .. والله تعالى يريد أن يعطي الداعي أعظم الخيرين.

6- قد يُعطَى الداعي على دعائه في دنياه خيراً أعظم من الخير الذي يتضمنه دعاؤه، ويُدفَع عنه شراً أعظم من الشر الذي يُراد دفعه بالدعاء .. وصاحبه لا يدري .. فكم من دعاء يُدافِعُ قدَراً نازلاً، فيدفعه، ويستبدله بقدرٍ آخر خير، ونحن لا ندري؟!

7- قد يتأخّر وقت الإجابة، عن وقت الدعاء لحكمة يشاؤها الله .. فينسى صاحبُ الدعاء أن ما نزل به من خير، وما دُفِع عنه من شرٍّ، كان بسبب دعاء قد دعاه قبل شهر، أو سنة، أو أكثر .. فأنت تنسى، والله لا ينسى.

8- الدنيا دار بلاء واختبار، والإنسان مُبتلَى بالشر والخير فتنة؛ هل يصبر، ويشكر، أم يجزع ويكفر .. وهذا المعنى من جملة المعاني التي يتأخر قبول الدعاء لأجلها؛ إذ لو قُبل الدعاء دائماً ومباشرة، لتعطلت الحكمة من وجود الحياة الدنيا، ووجود الإنسان فيها.

9- الدعاءُ عبادة، وفي الحديث " الدعاء العبادة "، والله تعالى يحب من عبده أن يعبده من جهة الدعاء، والخضوع، والطلب، وأن يسمع مناجاته، وأنينه في الليل، وأن يرى حنينه وإلحاحه في الدعاء، وصبره على الدعاء، من غير استعجالٍ .. وهذا المطلب الهام لا يتحقق لو استجيب كل دعاء، ومن فورِه!

10- الله تعالى يفعلُ ما يشاء، ولا يُسأَل عمّا يفعل، ولا يُلزَم بلازِمٍ، فمَردُّ الأمر كلّه إليه سبحانه؛ إن شاء أن يُجيب الدعاء يُجيبه .. وفي الوقت الذي يشاء .. ، وإن لم يشأ لا يُجيب .. لا رادّ لقضائه، وحكمه، ومشيئته.

11- أيما دعاء لا يُجابُ في الدّنيا، يُعطى صاحبه عليه من الأجر يوم القيامة أضعاف مما لو أعطي عليه في الدنيا، حتى يتمنى يوم القيامة لو أنه لم يُقبَل له دعاء في الدنيا، التماساً للأجر العظيم، والمنزلةِ الرفيعة للدعاء في الآخرة.

12- إن لم تجد فيما تقدم ذكره الحكمة من عدم استجابة دعائك، أو التأخر في استجابة دعائك، لم يبق أمامك سوى الرضا، والتسليم لحكم الله تعالى ومشيئته .. فالخير كل الخير في الرضا والتسليم .. فما خاب، ولا خسر، ولا ندم من رضي بالله رباً، واستسلم لحكمه، ومشيئته، بنفسٍ مؤمنةٍ طيبة راضية.

* * * * *

684- الرحمة الزَّائدة بالأبناء قد تضر ولا تنفع!

كثير من الآباء والأمهات يتطلعون لأن يكون أبناؤهم من ذوي الاستقامة، والالتزام، والأدب، والتحصيل العلمي الجيد .. ثم في المقابل تراهم ـ تحت ضغط الرحمة والشفقة بالأبناء، والرغبة بإسعادهم، وإدخال السرور على قلوبهم ـ ييسّرون لهم جميع وسائل الترفيه، والمتعة، والتسلية، ويُشغلونهم بها .. ومنهم من يتوسّع فيشتري لأبنائه ـ في سنٍّ مبكر ـ الهواتف اليدوية المتقدمة، والتي منها تُفتَح جميع أبواب الشر .. ويُولَجُ إلى كل شرٍّ .. ونحو ذلك أن يُمنَح الأبناء ـ وهم في مقتبل العمر ـ الحرية الكاملة في أن يقلّبوا قنوات التلفاز كيفما يشاؤون .. وفي الاتجاه الذي يشاؤون .. يفعلون ذلك على مرأى ومسمع من الآباء، تحت عنوان الشفقة والرحمة بالأبناء، وعدم التضييق عليهم .. فماذا تكون النتيجة؟

تأتي النتيجة مدمرة ومخيبة للآمال والتطلعات؛ جيل مشوه فكرياً، وسلوكياً، وأخلاقياً .. ضامر العقل والذهن .. غير مُبالٍ لمسؤولياته نحو نفسه، ومجتمعه، والآخرين .. يفتقد الإرادة القوية، والاهتمامات النافعة .. تستهويه المتعة القليلة المستعجلة والسهلة، عن المتعة الكثيرة والدائمة المتأخرة التي تحتاج لمزيد من الجهد والاجتهاد والنَّصَب .. وهذا كله بسبب رحمة الآباء الزائدة .. فيضرون ويُسيئون من حيث يظنون

أنهم ينفعون ويُحسنون صنعاً .. والآباء في هذه الحالة لا شك أنهم شركاء في الوزر، ويتحملون قسطاً كبيراً من المسؤولية .. " فكلُّكم راعٍ، وكُلّكم مسؤول عن رعيته ".

من تمام المحبّة، والشفقة، والرحمة أن تحجب عن ولدك كل ما يضره، ويؤذيه، وإن كان في ظاهره شيء من المتعة، واللهو، واللعب .. فلا أحد أرحم بالعباد من الله تعالى، ومع ذلك يحجب عمن يحب من عباده فضولَ الدنيا، ومتاعها، وزينتها، لما في ذلك من ضررٍ عليهم، كما في الحديث الصحيح:" إذا أحبَّ الله عبداً حماهُ الدَّنيا كما يظلُّ أحدُكم يحمي سقيمَهُ الماءَ ".

* * * * *

685- ألفاظ وكلمات شركيّة وكفريّة شائعة.

ألفاظ وكلمات شركيّة وكفريّة شائعة، تجري على ألسنة الناس، لا يحسبونها شيئاً، وهي شرك، وذنب عظيم، نذكر ما يستحضرنا منها، لنحْذَرَها، ونُحذّر منها.

من هذه الألفاظ والكلمات، طلب الاستغاثة والعون والمدد من الأموات، كقولهم: مدد، مدد يا فلان .. أغثنا وأعنّا يا فلان .. يا عون الغريبي أحمد يا حبيبي .. نبي الله ملاذي يوم المعاد، لا ملاذ لي سواه .. يا رسول الله أجرنا .. الغوثَ الغوثَ رسولَ الله .. يا رسولَ الله يا سندي .. يا رسول الله يا معتمدي، ويا غياثي، ويا ملاذي، ويا ركني، ويا كهفي .. أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه .. وأنت خيرُ من يُرتجى في العُسر واليُسر .. مدد، مدد يا رسولَ الله .. مدد يا أهل البيت .. مدد يا رفاعي .. مدد يا جيلاني .. مدد يا أهل الله .. مدد مدد نظرة، يا صاحب الحضرة .. يا حسين .. يا زهراء .. يا فاطمة .. يا علي .. يا زينب .. يا خضر .. يا شيخ فلان .. مدد، مدد .. الغوث، الغوث .. وحياة وحق فلان .. بشرفي، وحياتي، وعِرضي .. ومُحَمَّد .. وعلي .. والحُسين؛ يريد القَسَم .. بحق فلان وبحق جاهه عليك يا رب أجب دعائي .. يا رب بهم وبآلهم عجل بالنصر وبالفرج .. ما شاء الله وشئت .. شاءت الأقدار، والظروف .. شاءت الطبيعة .. هِبة وعطاء الطبيعة .. الطبيعة أوجدت، وخلقت، ومنحت .. مُطِرنا بالنجم أو بسبب كذا، وكذا، من دون الله .. هذا لله ولكم .. هذا لوجه الله، ولوجه فلان .. أنا في جوار الله، وجوارك .. أنا في حماية الله، وحمايتك .. أنا متوكل على الله، وعليك .. راكن على الله، وعليك .. حسبي الله، وأنت .. ليس لي أحد إلا الله، وأنت .. الله في كل مكان .. نلتحم بالله .. نتّحد بالله .. ما في الجبة إلا الله .. لو عرفوك ما عبدوك .. للأئمة مقام لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل .. حِل عن ربي .. " كلمين على دينو الله يعينو " .. زهقتني ربي .. بدي اجعل الله ما خلقك .. الدين لله، والوطن للجميع .. ما لله، لله، وما لقيصر، لقيصر .. فصل الدين والدعوة عن الدولة، والسياسة، والحياة .. الدين أفيون الشعوب .. الإسلام دين قديم

ومتخلف، أحكامه لا تواكب، ولا تلبي متطلبات العصر الحديث .. الشَّعب مصدر السلطة التشريعية؛ التي يُناط بها حق التَّحليل والتَّحريم .. الحكمُ للأكثريّة .. فلان لا يُسأل عمّا يفعل، وهو فوق المساءلة .. الله، والوطن، والثورة .. الله، والوطن، والمِلك .. في سبيل الله، والوطن، والإنسانيّة .. مناداة المعشوقة " يا معبودتي " .. أعشق الله، والله معشوقي، والله يعشقني، ويعشق الصالحين .. مخاطبة المشركين والكافرين بالمؤمنين والموحدين .. أخوّة الأديان .. الإخاء الإسلامي المسِيحي .. النَّصرانية، واليهودية، والإسلام أديان سماوية توحيديّة .. الله يحب الجميع .. إذا بتحب الله وفلان إلا أعطيتني .. بحق فلان إلا أعطيتني .. مخاطبة الآخر عند الخصومة، أو لضجر منه، أو عند مناداته: يا ابن الله، يا الله .. عنده مال الله .. شفنا ناس الله، مررنا على حواجز الله؛ يريد العدد والكثرة .. لولا فلان، والجهة الفلانية لهلكنا .. ولولا فلان والجهة الفلانية لما انتصرنا، ولا نجونا .. أو لولا الله وفلان، والجهة الفلانية، لما انتصرنا، ولما نجونا .. لعن وشتم الساعة، والأيام، والزمان .. الإشارة إلى مخلوق بأنه يضر وينفع، من دون تعليق الضر والنفع بإذن الله ومشيئته .. لا حول لله .. ما صدّقت على الله أن يحصل ـ أو لا يحصل ـ كذا، وكذا .. لا يرحم، ولا بخلّي رحمة ربنا تنزل .. الله يظلمك كما ظلمتني .. الله مع صاحب المدفع الكبير .. قدَرٌ أحمقُ .. فهذا كله من الشرك والكفر، الذي يجري على ألسنة كثير من الناس وللأسف .. ونحو ذلك أي عبارة تستقبح ما حسّنه الله، وتستحسن ما قبحه الله .. فهو من الشرك، الذي يجب أن نجتنبه، ونحذَره، ونحذّر منه .. نسأل الله تعالى السلامة، والثبات، وحسن الختام.

* * * * *

686- الشيعةُ والصوفيّة.

عندما تقول الصوفية في أدعيتها، ومدائحها: مدد، مدد يا رسولَ الله .. يا رسول الله يا سندي، ويا معتمدي، ويا غياثي، ويا ملاذي، ويا زُكني، ويا كهفي .. أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه .. وأنت خيرُ من يُرتجى في العُسر واليُسر .. ويتوسّع طلب المدد والاستغاثة إلى أن يستغيثوا بشيوخ الطريقة، ويطلبوا منهم المدد والعون .. ويُستساغ هذا الخطاب الشركي في الشارع السّني، وبين أبناء أهل السنّة .. من دون إنكار من أحد، ولا من أولئك الذين يسمون أنفسهم بالصوفية المعتدلة ـ على قلتهم! ـ ما الذي يمنع الناس أن يقبلوا الخطاب الشيعي الشركي الآخر: مدد، مدد يا علي .. ويا حسين .. ويا زهراء .. ويا زينب .. لبيك يا حُسين ..؟!

وما الفرق بين حضرات، وقفَزات، ورقصات الصوفية، من حيث الأداء والحركات .. وبين لطميات الشيعة الروافض؟!

لذا؛ فقد صدق من قال: أن الصوفية هي البوابة الأوسع لولوج الشيعة، والتشيّع إلى العالَم السُّني، وإلى بيوت أهل السُّنَّة!

2020/9/21

* * * * *

687- طِفْلٌ في الصّفِّ الأوّلِ الابتدائي!

هل سمعتم عن طِفلٍ في العالَم لا يتجاوز عمره ستّ سنوات، يرسب في الصّف الأوَّل الابتدائي، كما يرسب طالب البكالوريا، والطالب الجامعي، فيضطر إلى أن يُعيد سنته الدراسيّة من جديد ..؟!

نعم؛ يوجد طفلٌ واحد؛ هو الشيخ الذي يكتب هذه الكلمات لمّا كان طفلاً!

رسبتُ في الصف الأول الابتدائي؛ لا لأني لم أكن جيداً في مواد الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والعلوم .. لا؛ فهذه المواد لم تقرّر أصلاً للأطفال وهم في الصف الأول الابتدائي .. وليس لأني لم أكن تلميذاً مجتهداً فيما يُملَى علي .. لا؛ بل كنت أحسب نفسي من أذكى وأنبه الأطفال، ممن كانوا معي في تلك المرحلة .. فالسّبب ليس لشيء ممّا تقدم، وإنما لأنني تجرَّأت على ابن المعلمة التي كانت تُدرّسنا، وكان ابنها تلميذاً معنا في الصف .. فضربتُه! .. حيث كان يَستقوي بأمّه المعلمة على بقية أقرانه من التلاميذ في الصَّف، وهذا ما لم أكن أقبله منه .. فتجرأت عليه، بدفعه عن نفسي، وعن بقية التلاميذ .. فسُرَّ الأطفالُ بما صَنعت .. ولم يتجرَّؤوا على فعلِه .. لكن دفعت ثمن سرورهم، وجرأتي هذه، سنة دراسية من عمري؛ حيث قرّرت الآنسة " عِطاف " ترسيبي في الصف الأول الابتدائي مهما كنت مجتهداً، وطالباً نجيباً، وكان ذلك مخالفاً لعرف ترفّع الأطفال في المرحلة الابتدائيّة!

وها أنذا بعد مرور أكثر من خمسٍ وخمسين سنة لا أزال أذكر اسم تلك المعلّمة " عِطاف " من بين المعلمين والمعلمات في تلك المرحلة؛ لِمَا كان لقرارها الجائر من أثرٍ سلبي عليّ كطفل يرى أقرانه يترفَّعون إلى الصف الثّاني، بينما هو بمفرده لا يزال في الصفّ الأوّل الابتدائي ...!

وهذا لا يعني أنني غير مسامح لها، أو في نفسي عليها شيء ـ ربما الآن قد تكون في عالم الأموات ـ لا؛ يكفيها فضلاً أنها علمتني حَرْفَاً، استخدمت هذا الحرف فيما بعد في مقارعة ومحاجّة الطغاة الظالمين، وفي الذود عن دين الله، وعن عباد الله المستضعفين في الأرض .. كما أنني استعنت بهذا الحرف الذي علَّمتني إيَّاه في تأليف وإعداد الكتب، والأبحاث، والمسائل التي قدر الله تعالى لي كتابتها، وإنجازها ...!

اللهم اغفر لمعلّمَتي عِطاف، وارحمها ...

2020/10/18

* * * * *

688- مسألة التدرّج في تطبيق الشريعة.

الناس في هذا الموضوع ثلاثة فرقاء: فريق جنح للإفراط والغلو؛ يريد تطبيق الشريعة كاملة من يومه، ودفعة واحدة، من غير مراعاة للأسباب، وللقدرة، ولما هو ممكن، وما هو غير ممكن .. وإلا فأنت عنده متّهم في دينك!

وفريق ثانٍ جنح للتفريط والجفاء؛ وتخلّف عن الممكن والمقدور عليه من أحكام الشريعة، بذريعة التدرّج في تطبيق الشريعة .. وهذا الفريق والذي قبله مخطئان، وهما يُخالفان السنن، وصحيح المنقول، وصريح المعقول معاً .. فحظهما من تطبيق الشريعة، الوقوف عند الشعار وحسب!

وفريق ثالث، وهو وسط بينهما؛ من غير إفراط ولا تفريط، وهو الحق الذي لا ريب فيه، الذي يوافق صحيح المنقول، وصريح المعقول .. وصفته تكمن في مراعاة التدرج بحسب الإمكان، والقدرة .. فما كان مقدوراً عليه أنجز من فوره من غير إرجاء ولا تعطيل .. وما تم العجز والقصور عن إدراكه وتحقيقه، أو كان في تنفيذه مفسدة راجحة ظاهرة .. يُنشَطُ للعمل والإعداد ـ قدر المستطاع ـ لدفع العجز، وتحقيق القدرة .. وإزالة المعوقات .. وتوفير الظرف المناسب والمطلوب من أجل تحقيق وإنفاذ الممتنع من الشرع بسبب العجز وانتفاء القدرة.

وذلك أن أحكام الشريعة كلها منوطة بالاستطاعة .. وأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وطاقتها، كما قال تعالى:[فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم]التغابن:16. وقال تعالى:[لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا]البقرة:286. قال ابن كثير في التفسير: أي لا يُكلّف أحدٌ فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم ا- هـ.

كذلك قوله تعالى:[الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ]الحج:41. فعلى قدر التمكين يكون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .. فالأمر، والنهي ـ كمّا ونوعاً ـ مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالتمكين، ودرجة التمكين .. فيجب على القوي الممكن، ما لا يجب على الضعيف غير الممكن.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم" متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمر، قال: كنا إذا بايعنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على السمعِ والطاعةِ يقول لنا: "فيما استطعتُم" البخاري.

وقال ﷺ: "فاكلَفوا من الأعمالِ ما تُطيقونَ". وفي روايةٍ: "فاكلَفوا ما لكمْ به طاقةٌ" مسلم.

والقاعدة الفقهية، تنص على أن: "الميسور لا يسقط بالمعسور".

قال الإمام الشافعي رحمه الله:" فالله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه، فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه، فيعذبه، فإنما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطيعه ".

وقال العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام 5/2: إن من كلف بشيءٍ من الطاعات فقدر على بعضه وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما قدر عليه، ويسقط عنه ما عجز عنه ا– هـ.

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى المسلمين في الأمصار: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص. البخاري.

فقوله ﷺ:" فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها"، يعني إلى تاريخ كتابة كتابه هذا لم يكن قد بينها كلها لهم .. كما لم يكن للمسلمين قد عملوا بمجموعها .. وهو الخليفة العادل والعام على المسلمين.

كذلك يُروى عن ولده عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز أنه قال لأبيه عمر: يا أبتِ، مالك لا تنْفُذُ في الأمور، فوالله لا أبالي في الحقِّ لو غلَت بي وبك القُدور؟! قال له عمر: لا تعجَل يا بُني، فإنَّ الله تعالى ذمَّ الخمرَ في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وأنا أخافُ أن أحمل الناسَ على الحق جملة، فيدفعوه وتكون فتنة ا– هـ.

وبالتالي فمن قصّر في تطبيق أحكام الشريعة فيما هو قادر عليه، طاله الإثم والحرَج .. ومن كان تقصيره ناتجاً عن انتفاء للقدرة والاستطاعة .. مع العمل وبذل الجهد المستطاع على تحصيل القدرة المطلوبة .. فهذا ليس عليه حرج، إن سدّد وقارب، واتّقى، وأخلص النصح لأمته ودينه.

هذا الفقه ـ بضابطه الآنف الذكر ـ نحتاجه في سعينا نحو التغيير، وإقامة دولة الإسلام، وفي تعاملنا مع الشعوب .. وأخذهم بالرفق والحكمة ما أمكن لذلك سبيلاً .. فمن استعجل شيئاً قبل أوانه أفسده وعُوقِب بحرمانه .. وبخاصة عندما يكون قد مضى على الناس عقود وهم تحت حكم الطاغوت؛ يحكمهم ويسوسهم بالكفر، والتجهيل، والتركيع، والإذلال، والقهر، والخوف، والفقر .. إذ لا بد من أن يمروا ـ بعد التحرير ـ بمرحلة نقاهة وعلاج .. وتعليم، وتدريب .. كأي مريض يحتاج إلى فترة نقاهة بعد مرضه .. حيث لا يمكن أن تحمله على ما تحمل عليه الصحيح من أول يومٍ يمتثل فيه للشفاء .. كما لا ينبغي للصحيح أن يستعلي على السقيم، فيُصدر بحقه أحكاماً بغير حق، ولا تثبت، وليتذكر أنه كان يوماً من الأيام سقيماً مثله، فشفاه الله، وهداه للإيمان، كما قال تعالى:[وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً]النساء:94.

* * * * *

689- دَاءُ الكِبْرِ.

الكِبْرُ داءٌ خطير؛ وهو من شطرين: شطره الأول؛ تسفيه الحقِّ، والاستخفاف به .. تخطئة الحق، واعتباره باطلاً .. رد ورفض الحق، والتَّعالي عليه، والنأي بالنفس عنه. والشطر الثاني؛ احتقار الخلق، وازدرائهم، وانتقاصهم، والتَّعالي عليهم، والاستخفاف بهم .. فمن اجتمع فيه الشطران؛ فهو متكبر جلد، وهو المراد من حديث النبي ﷺ عندما سُئل عن الكِبر، فقال:" الكِبْرُ سفَهُ الحقِّ، وغَمصُ النَّاسِ "، وفي رواية:" الكِبرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغمصُ النَّاس ".

والكِبرُ درجاتٌ ومراتب؛ منه الصَّريح، والواضحُ، والجلي؛ وهو لا يخفى على عامّة الناس، ومنه الخفي، والصغير، والمتشابه، وهو ما قد يخفى على خواصِّ النّاس، فضلاً عن عامتهم .. فيقعون في بعض صور الكِبْر وهم يدرون أو لا يدرون!

من الصور الخفيّة للكِبر: أن تردّ الحقّ لو جاءك ممن تكره .. وتصر على الباطل نكاية فيمن تكره .. وأن تصدك العداوة عن إنصاف الحق عند من تعادي، وتكره. ومنها؛ إن جاءك الحق مشوباً بالباطل؛ فتردهما معاً؛ فترد الحقَّ كما ترد الباطل، وتتعامل مع الحق كما تتعامل مع الباطل. ومنها؛ أن تحب أن تكون ناصحاً أكثر مما أن تكون منصوحاً .. فتحب النصيحة، ولا تحب النّاصحين. ومنها؛ أن تجد في نفسك شيئاً على من ينصحك، وينصف الحقَّ منك، فتكره منه أن يشير إلى خطئك .. وتكره منه أن يقول لك: أخطأت، فأسأت، فاتق الله .. فتكره أن تسمع منه كلمة " اتق الله "، فلا تحب من يهدي إليك عيوبك ونواقصك، مهما كان رفيقاً في بيان عيوبك ونواقصك. ومنها؛ أن تحب المدائحَ أكثر من النصائح، والمَدَّاحين أكثر من الناصحين. ومنها؛ أن تغضب لنفسك أكثر مما تغضب للحق. ومنها؛ أن ترد الحقَّ، وتستخف به؛ لكونه جاءك ممن هو أصغر منك علماً، وسِنَّاً .. ولكونك مشهور، ومخالفك وناصحك مغمور. ومنها؛ أن تجد في نفسك حرجاً أن تتراجع عن خطئك، أو أن تعترف بخطئك، وترى في ذلك منقصةً لك. ومنها؛ أن ينتابك الشعور بالتعالي، وأنك الأفضل من بين المسلمين، ومن بين أقرانك، وأنه يحق لك عليهم، ما لا يحق لهم عليك .. وأن مكانك بينهم أن يسمعوا منك، لا أن تسمع منهم .. فإذا دخلت مجلساً انتابك شعور بأنك المميز، والأفضل من بين الجلساء، والمجتمعين. ومنها؛ أن تحملك النعمة على التعالي على الضعفاء، والفقراء .. والاستخفاف بحقوقهم. ومنها؛ أن تتمنى لو جاء الحقُّ موافقاً لهواك، واختياراتك. ومنها؛ أن تبحث عن دليلٍ ـ مهما كان ضعيفاً ومتشابهاً ـ تنصر به اختياراتك .. فتكون مع الدليل الذي يوافق اختياراتك، أكثر من الدليل الذي يخالف اختياراتك .. فتُسَر للأول أكثر مما تُسَر للآخر. ومنها؛ أن تجد حرجاً في أن تعزو فائدة استفدتها إلى أصحابها، وبخاصة إن كان أصحابها أقراناً لك، أو أقل منك تحصيلاً .. فهذه الصور وغيرها، كلها تدخل في معنى الكِبر، وهي متفاوتة فيما بينها من حيث الوضوح والظهور، لكن مهما دقَّت، وصغرت، فالكِبر جد خطير، حتى الذَّرَّةَ منه خطيرة جداً، قد تحرم

صاحبها من دخول الجنَّةِ، كما في الحديث الصحيح:" لا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من كبرٍ "؛ فالحديث دلّ أن من الكِبر ما يكون واضحاً، وحجمه كالجبال، ومنه ما يكون خفيّاً، وحجمه كالذَّرة .. وهذا يستدعي إلى فقهٍ، ومتابعةٍ، ومُراقبة .. أعاذنا اللهُ وإياكم من الكِبر؛ كبيره وصغيره!

* * * * *

690- سَهْمُ الشَّيطانِ في الأموالِ والأولادِ.

لا تُشاركوا الشيطانَ؛ فتجعلوا له سَهماً في أموالكم، وأولادكم ..!

سهمُ الشيطان في الأموال؛ هو كل كسبٍ يتَأتّى من حرام، ويُصرف في الحرام، فالمال الذي يتَأتّى من الرّبا، ويُصرف في الرّبا، أو يتأتّى من الميسر، والسرقة، والغش، والاحتيال، وغير ذلك من وسائل الكسب الحرام .. فهذا المال كله للشيطان، وسَهم له ومن نصيبه، وهو شريك لك في هذا السَّهم والنصيب .. ومن كان الشّيطانُ شَريكاً له في المالِ، أنَّى تُرجَى له البركة!

أمَّا سَهمُه ونصيبه في الأولاد؛ ابتداء يحرص أن يأتوا سِفَاحاً من غير زواج ولا عقدٍ شرعي .. فيأتي الأبناءُ لا يعرفون آباءهم .. فإن ولدوا وخرجوا للحياة، يُشارك في اختيار أسماء شركيّة لهم؛ فيعبّدُهم للمخلوق .. ثم بعد ذلك يشارك في تربيتهم وتنشئتهم على خلاف منهج الله وطاعته .. فينشّئهم على الشِّرك، وعلى الفسوقِ، والعصيان .. ويغذيهم بالحرام .. وهو إن لم يفلح بكامل الشراكة، ووجد مقاومة من الأبوين، ومن يرعى الأبناء .. رضي بأي قسمة تُمنَح له ـ وفي أي مرحلة من مراحل نشوء ونمو الأبناء ـ تمكّنه من التَّسلل والمشاركة في تربية وتوجيه الأبناء وفق منهجه وغاياته الشيطانيّة الشريرة .. وسهمه في المشاركة قد يبدأ قليلاً، ثم مع الأيام ينمو ويتَضَخّم، إلى أن يُصبحَ كثيراً، يَستعصي على التَّخَلُّص والمقاومة!

ما تقدم أعلاه، هو المراد من قوله تعالى:[وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً]الإسراء:64.

كم هم الآباء والأمهات الذين يزعمون أنهم مستقلون في تربية أبنائهم، لا يُشاركهم أحد في تربية الأبناء، بينما الشيطان يشاركهم في تربية أبنائهم، ويتدخَّل في شؤونهم، وطريقة حياتهم، في جميع أطوارهم ومراحل نموهم .. وفق وسائل شَتَّى .. وهم لا يشعرون!

* * * * *

691- ستيفن ويليام هوكينج.

Stephen William Hawking

ستيفن ويليام هوكينج؛ عالم إنكليزي، من أشهر علماء الفيزياء النظرية، وعلم الكون، إن لم يكن أشهرهم .. اجتمعت فيه صفتان: العجز والشَّلل الجسدي التام، وسعة الاطلاع والمعرفة في اختصاصه .. مِن كلماته:" هدفي بسيط؛ هو أن أفهم الكون بشكلٍ كامل؛ لماذا هو بشكله الحالي، ولماذا هو موجود "!

ورغم مرضه العُضال، قد مدَّ الله بعمره لأكثر من سِتٍّ وسَبعين عاماً .. فمات ولم يُحسن الإجابة عن هذين السؤالين البسيطين:" لماذا الكون هو بشكله الحالي، ولماذا هو موجود "؛ حيث قد مات ملحداً منكراً لوجود الخالق سبحانه وتعالى .. ومنكراً للبعث، والنشور، ويوم الحساب .. ولو مَدَّ الله بعمره لأكثر من مليون سنة ـ ما دام قد آثر الإلحاد على الإيمان ـ لما أحسن واستطاع أن يُجيب عن هذين السؤالين البسيطين، اللذين يجيب عنهما صِغَار المؤمنين .. ولما استطاع أن يفهم الكون بشكلٍ كامل، كما كان يتمنى، ويريد!

ستيفن هوكينج؛ هو نفسه آية من آيات الله الدالة على وجوده وعظمته، لو تَنبَّه لها، وتنبَّه لها من هم حوله .. حيث قد جمع الله فيه صفتين متناقضتين، لم تجتَمِعْ في غيره من الناس: مُنتهى العجز والضَّعف، والشّلل الجسدي والعضوي .. ومن وجه آخر؛ سعة المعرفة، والاطلاع العلمي الكبير الذي لم يُعْطَه أحَدٌ من أقرانه العلماء الأصحّاء .. ليُظهر اللهُ قدرتَه في أضعف مخلوقاته .. صدق الله العظيم:[أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46.

* * * * *

692- ديفيد آتينبارا

David Attenborough

ديفيد آتينبارا كاتب وعالم بيئي بريطاني، من أشهر علماء بريطانيا، إن لم يكن أشهرهم في اختصاصه، أصدر عشرات الأفلام الوثائقية عن الأرض؛ عن سمائها، وبحرها، وبرها، وما تكتنفه من عوالم، وحيوانات، ومخلوقات .. فأراه الله من الآيات ودقائق وعظائم الأمور ما لم يره غيره من أقرانه .. وهو بعد أن مدَّ الله بعمره لأكثر من أربع وتسعين عاماً، وبعد أن أراه الله من عجائب مخلوقاته، وقدرته، يخرج للناس ببيانه اليائس الآثم:" لا إله .. ولا خالق .. الكون وما فيه من مخلوقات وعجائب مجرد صدفة .. القرود أولاد أعمامنا .. لا نعرف لماذا نحن موجودون على الأرض، وما الغاية من وجودنا .. لا غاية من وجودنا تتعدّى المادة؛ الطعام، والشراب، والمتاع .. بموتنا ينتهي كل شيء؛ فلا بعث، ولا نشور، ولا حساب "، والملحدون يحتفون به، وبما توصل إليه احتفاءً كبيراً!

وهو ـ وما توصل إليه ـ مثله كمثل عالم تجاوز الدراسات العليا في الرياضيات، يُسأل: واحد زائد واحد، كما يُساوي .. ثم يخطئ في الإجابة .. ويقول هذه مسألة صعبة قد حار العلماء في الإجابة عنها .. وهكذا ديفيد آتينبارا، بعد أن أطلعه الله على مئات، بل وآلاف الآيات الباهرات ـ الكامنة في الأرض، وما تتخلله من دقائق وأسرار معجزة، والتي كل آية منها تقول، وبوضح وإعجاز: لا إله إلا الله .. لهذا الكون والوجود ربٌّ وخالقٌ، وأن الله حق ـ يخرج ببيانه الجاهل الآثم الوارد أعلاه!

قال تعالى:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ]فصلت:53. وديفيد آتينبارا قد أراه الله تعالى من تلك الآيات الشيء الكثير، ولكنه بعد أن رأى ما رأى .. وعلم ما علم .. أنكر وجحد الحق .. وقال: ما رأيت .. وما علمت .. ولا إله .. وهو بذلك وزره أكبر من وزر من لم ير ثم يُنكر ويجحد .. وجهله كعالم أغلظ من جهل من لا يعلم، ولم يرَ!

يؤمن بقانون السببية ـ المنافي لخرافة الصّدفة ـ في صِغار الأمور والأشياء، ويجحده وينكره في كبار وعظائم الأشياء والأمور؛ كخلق ووجود الكون وما حواه من مخلوقات دقيقة وعظيمة؛ المنضبطة حركتها، ووجودها بقوانين محكمة دقيقة صارمة، لو اختل قانون واحد من تلك القوانين، لاضطرب الكون، وذهبت السماوات والأرض ومن فيهما .. فهذا كله في نظر العالم " ديفيد آتينبارا " جاء ووجد محض صدفة، بينما لو سألته عن وجود طاولة الطعام التي يأكل عليها، لقال لك من فوره: هذه لا بد لها من مسبب وموجد، لا يمكن أن تتواجد وتتشكل بصورتها وقوائمها الأربعة صدفة، ومن تلقاء نفسها ..؟!

قال تعالى:[إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً]فاطر:41.

الملحدون ـ وعلى رأسهم شيخهم آتينبارا ـ قالوا: ما رأينا، ولا علمنا، وقد كفرنا .. والمؤمنون قالوا: رأينا، وعلمنا، وقد آمنا، وصدّقنا .. والنفي ليس علماً، ولا حُجة، لا تُقام به حجة؛ لأنه جهل، وأصحابه أقروا لأنفسهم بالجهل، وعدم العِلم .. بينما الإثبات؛ علم وحُجّة، به تقوم الحجة على المخالفين .. فالذي يعلم ويُثبت حجة على من لا يعلم، ولا يُثبت، وله الكلمة الفصل دون النَّافي الجاهل.

لا يحسب ديفيد آتينبارا ـ بما انتهى وتوصّل إليه من إلحادٍ ـ قد أتى بشيء جديد، أو قد اكتشف علماً جديداً يجهله مَن قبله، يستحق عليه التقدير .. فجميع الأمم الهالكة الكافرة المتخلفة السابقة في عهد نبي الله نوح عليه السلام، مروراً إلى عهد نبي الله موسى، وعيسى، ومُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .. كل تلك الأمم الكافرة المتخلفة الهالكة قد سبقتكم إلى ما تقولون به، وقالوا بقولكم المتخلّف هذا .. إلا مسألة خرافة " القرود "، فهذه قد تفرّد بها ملحدو العصر؛ لم يسبقهم إليها الأوائل، فلهم حق براءة الاختراع دون سلفهم السابقين من الملحدين ..!!

قال تعالى:[وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ]الجاثية:24.

أنت يا ديفيد آتينبارا قدوة للملحدين في الحياة الدنيا، ويوم القيامة قائدهم إلى جهنم، وكل من كنت سبباً في إضلاله، معك صديقك الذي سبقك إلى نار جهنم وبئس المصير " ستيفن ويليام هوكينج " .. قال تعالى:[وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى

بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]سبأ:31–33. وقال تعالى:[إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ]البقرة:166.

الفرق بينك وبين ستيفن هوكينج، أن ستيفن قد مات .. بينما أنت لا تزال التوبة متاحة لك، ومعروضة عليك .. فتُبْ إلى الله .. ومن يتب؛ يتب الله عليه .. قبل فوات الأوان، وحصول الندم، ولات حين مندم!

2021/1/21

* * * * *

693– يا مَن تَستَحي من ذِكْرِ الله!

كثير من الناس؛ ممن يتكلمون في المحافل والمؤتمرات، ويَظهرون عبر وسائل الإعلام .. يَستحون أن يذكروا الله تعالى .. ويتهيبون أن يقولوا: في سبيل الله .. أو إن شاء الله .. أو الحمد لله .. ونحو ذلك من الأذكار التي تقتضيها أحياناً المناسبات والأحاديث .. خشية أن يُصنّفوا .. أو يُرمَوا بالتَّخلف .. وبعدم العلم والموضوعية في طرحهم ...!

ولهؤلاء نقول: انظروا ماذا خسرتم بموقفكم هذا .. وماذا يقول ربكم في الحديث القدسي:" يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعاً، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعاً تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعاً، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " متفق عليه. وفي رواية:" ومَن ذَكَرَنِي في ملأٍ مِنَ الناسِ ذَكَرتُه في ملأٍ أكثرَ منهم وأَطيَبَ ".

ثم لو استوقفك ربك يوم القيامة ـ والجنة عن يمينك، وجهنم عن يسارك ـ وسألك: لماذا تهيبت من ذِكْرِي يا عبدي .. ما الذي منعك من أن تذكرني في أحاديثك مع الناس، وفي مواضع يتعيَّن عليك فيها أنْ تَذْكُرَنِي؟!

فماذا سيكون ردك وجوابك .. وما عندك من جواب سوى أن تقول: قد تهيبت من ذِكْرِك يا رب حتى لا أُعَيَّر بك، وأُرمَى بالتَّخلّف، والرجعية، وعدم الموضوعيّة .. ويا له من جواب مخز، ومخجل، ومُذِل، تقشعر منه الأبدان .. أعاذنا الله من الخِزي، والخُذلان .. ومن الكفر بعد الإيمان.

* * * * *

694– مَطَاعِمُ " ماكدونالدز " في الفَضَاء ..!

قال تعالى:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ]فصلت:53. أي حتى يتبين لهم أن القرآن وما يتضمنه من أحكام، وعلوم، ووعْد، ووعيدٍ، حق لا ريب .. ولمّا أنجَزَ اللهُ لهم وعدَه؛ فمكَّنهم من رؤية بعض آياته في الآفاق .. بدلاً من أن يشهدوا شهادَة الحق؛ بأنَّ اللهَ حَقٌّ، وأنَّ القرآنَ حقٌّ لا ريب .. ها هم يُفكرون كيف يَستوطنون الفَضَاء، وكيف يستثمرونه لأنفسهم وعوائلهم، وكيف يفتحون فيه مطاعم " ماكدونالدز "، وأسواقاً للتسوُّق .. إذا ما ضاقت بهم الأرض .. متغافلين عن الغاية الأساس التي لأجلها مكَّنهم اللهُ من رؤية هذا القليل من أسرارِ الفَضَاء، والكون .. صدق الله العظيم:[قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ]عبس:17.

* * * * *

695- صفات جامعة للذين يدخلون في الإسلام.

جلُّ الذين يُسلمون، تجمعهم الصفات التالية:

1- قبل الإسلام، قَلق، وحِيرة، وأسئلة عديدة تلاحقهم، لم يجدوا لها جواباً في الأديان الأخرى.

2- إجماعهم على سخافة الشرك، وفكرة عبادة المخلوق، التي تدعو إليها جميع الأديان، باستثناء الإسلام.

3- عزوف عن الأديان إلى الشك والإلحاد، وإلى مزيدٍ من القلق ...!

4- الخوف من الإسلام، ومن الاقتراب منه؛ إذ وسائل الإعلام، وجميع من يحيط بهم، يحذرونهم من الإسلام، ويعطونهم صورة خاطئة عن الإسلام ..!

5- كل من يَسأل الله تعالى بصدق ـ بعد رحلة طويلة من الشك والضياع ـ أن يهديه إلى الدين الحق .. وأن يُظهر له الحق .. ييسر الله له طريق الهداية، ويهديه إلى الإسلام.

6- القرآن الكريم هو السبب الرئيسي والأهم في هدايتهم للإسلام، لما يتميز به من إعجاز لغوي، وعلمي، وتشريعي، ولخلوه من التناقضات الموجودة في الكتب الأخرى، إذ يكفيه وصفاً أنه كلام الله.

7- انبهارهم الشديد بعقيدة التوحيد التي يدعو إليها الإسلام، والتي تلامس فطرة الإنسان.

8- انبهارهم الشديد بعظَمَةِ سيرة وأخلاق النبي مُحَمَّد ﷺ.

9- إيجادهم في الإسلام جواباً كافياً وشافياً عن جميع تساؤلاتهم!

10- الشعور بالراحة، والاطمئنان، والسلام الداخلي، والتصالح مع النفس، والسعادة الغامرة جراء نطقهم بشهادة التوحيد، وهذا الشعور يتعمق لديهم ويزداد كلما ازدادت معرفتهم بالإسلام، وازدادوا قرباً من الله.

11- ما إن ينطقوا بالشهادة، ويدخلوا في الإسلام، إلا ويعلو وجوههم نور مميز، لا يمكن أن يوصف إلا أنه نور الإيمان.

12- بعد دخولهم في الإسلام، تسمو لديهم الأهداف، والغايات، والاهتمامات .. ويُصبح لحياتهم معنى، وغاية، لم يشعروا بهما قبل الإسلام.

* * * * *

696- الإسلامُ دِينُ الله، وهو دينُ جميع الأنبياء والرسل.

الله تعالى واحد، ودينه واحد؛ وهو الإسلام، وهو دين جميع الأنبياء والرسل، من لدنِ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والرسل مُحَمَّد ﷺ، كما قال تعالى:[إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ]آل عمران:19. وقال تعالى:[وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]آل عمران:85. وقال تعالى:[وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً]المائدة:3.

وقال تعالى عن نوح عليه السلام:[وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ]يونس:72. وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام وبنيه:[وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ]البقرة:132. وقال تعالى:[مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]آل عمران:67. وقال تعالى عن إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام:[رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً]البقرة:128. وقال تعالى عن يعقوب عليه السلام وبنيه:[أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]البقرة:133. وقال تعالى عن يوسف عليه السلام:[تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ]يوسف:101. وقال تعالى عن لوط عليه السلام وآل بيته:[فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ]الذاريات:36. وقال تعالى عن موسى عليه السلام:[وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ]يونس:84. وقال تعالى عن بلقيس في قصتها مع نبي الله سليمان عليه السلام:[قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]النمل:44. وقال تعالى عن عيسى عليه السلام وأنصاره من الحواريين:[فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]آل عمران:52. وقال تعالى:[وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ]المائدة:111.

* * * * *

697- أيُّ الفريقين أعْلَى ..؟!

جرت العادة عند الناس أن يحددوا قيمة الإنسان ومستواه الاجتماعي بالنظر إلى الجهة التي يتواصل معها، فمن كان يتواصل مثلاً مع وزير .. فهذا شأنه عالٍ في أعين الناس .. يتمتع بمركز مرموق .. وأعلى

منه من كان يتواصل مع الملوك والرؤساء .. يقرع عليهم الباب وقتما يشاء .. فهذا شأنه أعظم في أعين الناس .. وأنت يا عبد الله إذا أردت أن تعلوهم جميعاً، وتسبقهم سبقاً بعيداً، تواصل مع الله .. المِلك الغني .. خالق الخلق .. رب الملوك والرؤساء، ورب العالمين أجمعين .. فبابه ـ وفي أي وقت تشاء ـ دونك مفتوح .. لا تحتاج إلى قرعه، بل ولا إلى استئذان .. والمجال متاح لك ـ بترحاب شديد ـ لزيارته، ولمناجاته، ودعائه، والحديث معه؛ تشكو إليه حاجتك، وما أهمك، وما ألمَّ بك .. وتقول له: يا رب أريد كذا .. وقد حصل لي كذا .. وأحتاج إلى كذا .. وهو سبحانه يسمع، ويرى .. وهو أقرب إليك من حبل الوريد .. وهو القادر على أن يجيبك .. وأنت أقرب ما تكون إليه وأنت ساجد له سبحانه .. وإن قالوا لك: فلان مركزه الاجتماعي مرموق وعال؛ فإنه يتواصل مع المِلك أو الرئيس فلان .. فقل لهم: أنا أتواصل ـ وفي الوقت الذي أشاء ـ مع رب وخالق هذا المِلك وجميع ملوك الأرض ورؤسائها .. فأي الفريقين أولى بالاعتزاز، والافتخار .. وأي الفريقين هو الأعلى؟!

* * * * *

698- أعجب لامرئٍ!

أعجَبُ لامرئٍ يَهفُو قلبُه، يكادُ يطيرُ فرَحَاً، وطرَباً؛ لاتصالِ موظَّفٍ كبيرٍ به أو وزيرٍ .. أو مِلكٍ أو رئيسٍ يَسأل عن أحوالِه .. بينما رَبُّ العَالمين، ورَبُّ الملوكِ والرؤساءِ والأمراء .. وخالِقُ الخَلقِ .. في الثُّلثِ الأخيرِ من كُلِّ ليلَةٍ .. يُناديه .. ويَسأل عنه، وعن حاجتِه: هل مِن سائلٍ يُعْطَى .. هل من دَاعٍ .. هل من مُستغفِرٍ .. هل من تَائب .. يظلُّ يُنادِيه، ويُكرّرُ عليه النِّداءَ والسؤالَ حتى يَنفجِرَ الفجْرُ .. ثم هو غافلٌ عن ذلك النِّداء، لا يَشعرُ بذلك الشُّعور عندما يتَّصلُ به ذلك المِلكُ، أو الرئيسُ، أو الموظَّفُ الكبير ...؟!

* * * * *

699- أضْحِكُهُمَا كمَا أبْكيْتَهُما.

لست من هواة الدَّبكة العربية، ولا ممن يحبونها، ولا ممن يحسنونها .. لكن مرة قالت لي أمي ـ وهي قعيدة الفراش، وكانت رحمها الله كثيرة التهجّد والبكاء ـ: يا شيخ!.. أحب أن أنظر إليك وأنت تدبك دبكة عربية .. سألت هذا السؤال وما كانت تظن أن الشيخ يفعل .. لكنها تفاجأت لما رأتني مباشرة أنفذ طلبها ومن دون أدنى نقاش، أو اعتراض، وتلكؤ .. وما إن بدأت إلا وبدأت بالضحك من حركاتي العشوائية .. وكلما زدت تزداد ضحكاً .. وكان ضحكها كالوقود بالنسبة لي، يزيدني حماساً، ورغبة في الزيادة إلى أن ارتوت ضحكاً .. فعلتُ ذلك وأنا أستحضر حديث النبي ﷺ للرجل الذي جاءه مهاجراً، فقال الرجل:

جِئتُ أُبَايِعُك علَى الهِجرةِ وتركتُ أبويَّ يبكِيانِ!! فقال النبي ﷺ:" ارجِع إليهِما فأضْحِكْهُما كما أبكيْتَهُما ". فأعطاه النبي ﷺ وظيفتين: الأولى؛ أن يرجع إليهما، والثانية؛ أن يضحكهما كما تسبب ببكائهما؛ ولا بد له من أن يفعل، حتى لو استدعى الأمرُ منه أن يخرج عن المألوف وحدود الاتزان، وعن عادته فيما يكون بينه وبين الناس من الاتزان والسلوك الجاد .. فمطلب إضحاكهما مطلب عظيم يسمو على ما تقدم من الاعتبارات .. وهذا ليس لأحدٍ إلا للوالدين!

* * * * *

700– القرآنيون!

من دلالات النبوَّة، أن النبيّ ﷺ، أخبر عن زمانٍ قادم تظهر فيه بدعة " القرآنيين "؛ وهؤلاء فريق يردون السنَّةَ، ويرفضون التحاكم والرجوع إليها، ويشككون في مرجعيتها، وشرعيتها كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي .. ويزعمون التحاكم والرجوع إلى القرآن وحسب .. وقد حذر النبي ﷺ من هؤلاء الناس ومن بدعتهم، فقال:" يوشِكُ الرَّجلُ متَّكئًا علَى أريكتِهِ يحدَّثُ بحديثٍ من حديثي، فيقولُ بينَنا وبينَكُم كتابُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ؛ ما وجَدنا فيهِ من حلالٍ استحلَلناهُ، وما وجدنا فيهِ من حرامٍ حرَّمناهُ، ألَّا وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مثلُ ما حرَّمَ اللَّهُ "صحيح ابن ماجه:12. وفي رواية:" ألَا هلْ عسى رجلٌ يبلغُه الحديثَ عنِّي وهوَ متكئٌ على أريكتِهِ، فيقولُ بيننا وبينكم كتابُ اللهِ، فما وجدنَا فيهِ حلالًا استحللنَاهُ، وما وجدنا فيهِ حرامًا حرمناهُ، وإنْ ما حرَّمَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ كمَّا حرَّمَ اللهُ "صحيح الترمذي:2664.

وفي زماننا نلحظ بوضوح تحقق ما أنبأ عنه النبي ﷺ، فكثر الدعاة والمرجفون الذين يردّون السُّنة، ويستخفون بها، ويدَّعون الاقتصار على القرآنِ وحسب .. وهؤلاء في الوزر والانحراف درجات؛ فريق تراه يرد السنَّة كلياً، فلا يقبل منها شيئاً، وفريق يرد منها كل ما لا يلامس أهواءه ورغباته .. وفريق يقدم عقله على صحيح النقل، ويجعل من عقله ـ هواه ـ حكماً على النقل الصحيح .. وفريق يستخف ويقلل من أهمية صحيحي البخاري ومسلم، فإن تابعتهم على ذلك، فمن باب أولى أن تتابعهم على الاستخفاف والتقليل من أهمية وقيمة ما سواهما من المسانيد، وكتب السنن .. وفريق يرد الثابت من السنة تحت عنوان وزعم أنها آحاد، غير متواترة، وأنها ظنية الدلالة .. وجميع هؤلاء الفرقاء لهم حظهم من بدعة " القرآنيين "، ومن تحذير النبي ﷺ منهم ومن بدعتهم، كل بحسبه!

وهؤلاء لو صدقوا في زعمهم وادعائهم التحاكم والرجوع إلى القرآن، لوجدوا في القرآن الكريم عشرات الآيات التي تحض على طاعة النبي ﷺ، وتوجب طاعته واتباع سُنّته، وتحذر من مخالفة أمره، وتجعل التحاكم إليه، والرجوع إلى سنته شرطاً من شروط الإيمان .. لكنه زعم ما أرادوا منه سوى التَّفلت من قيود وأحكام الشريعة، والتشكيك بثوابتِ وأصولِ الدين!

* * * * *

701- التَّقدُّم والتَّحضّر.

التحضَّر؛ عبارة عن مفاهم وقيم أخلاقية راقية إيجابية، تفرز سلوكاً إيجابياً راقياً، ونتائج مزدهرة، وإيجابية، بينما التقدم؛ هو التقدم في مجال من مجالات الحياة، الاقتصادية، أو الصناعية، أو الاجتماعية، أو العسكرية .. وقد يكون التقدم تحضراً في حال استخدم في الخير، واستغل في الخير، وصرف للخير، وقد يكون تقدّماً من غير تحضّر؛ وذلك عندما يُستخدم التقدم في الشّرِّ، ويُستغل في الشرِّ، ويُصرَف في العدوان والشَّرِّ، وبالتالي ليس كلُّ متقدم متحضراً، بينما كل متحضّر متقدماً .. فمثلاً الصهاينة اليهود متقدمون في مجال الصناعات العسكرية، لكن عندما يَستخدمون هذا النوع من التقدم في سرقة البيوت، والاعتداء على حقوق وحرمات الآمنين من أهل فلسطين، وهضم حقوق المظلومين منهم .. فهذا ينفي عنهم صفة التحضّر، مع بقاء صفة التقدم لهم .. فالصَّهاينة اليهود في فلسطين متقدمون عسكرياً، متخلفون حضَارِيَّاً .. فالتقدم المجرد في مجال من مجالات الحياة، ليس مفخرة إن لم يكن متحضّراً، وناتجاً عن قيم حضاريّة، ويَتقيّد بقيم ومفاهيم التَّحضّر.

* * * * *

702- العَلاَقَاتُ النَّفعيّة.

لمّا غيّبوا الدين والإيمانَ عن ساحة الشعور والاعتقاد، وعن عَالَمِ الفكر والرُّوح، ومن ثم عن ساحة السلوك، والواقع، والعلاقات الإنسانية ـ وهو ما يسمونه بالعلمانيّة الحَادّة والمتطرفة! ـ وساد بدلاً منها الجحود والكفر، والإلحاد، والاعتقاد بأن الحياة مادة، والإنسان مجرد مادة وجسد وحسب .. ساد مفهوم " النَّفعيّة " الماديّة؛ في العلاقات والتعاملات الإنسانية على مستوى الدول، والجَّماعات، والأسَر، والأفراد .. فالمواقف باتت تُبنى وتُتَّخذ بناء على النفعية المادية وحسب؛ فحيثما توجد المنفعة المادية، تجد التأييد، والحبَّ، والموافقة، والتعايش، والرضا، والضحكات، وحيثما تغيب المنفعة المادية، تجد المعارضة، والاعتراض، والنفور، والبغض، والبعد، والجفاء .. وأصبح لا هم للإنسان إلا كيف يحقق رغباته ومنافعه المادية، مهما كانت الوسائل دنيئة ومحرمة .. وبغض النظر عن قيم الحق، والعدل، والصِّدق، والرَّحمة .. وإذا ما سألت إنساناً بأن يسدي إليك معروفاً، سألك مباشرة: مقابل ماذا .. وماذا سأنتفع لنفسي مادياً، مقابل المعروف الذي سأسديه إليك .. ولو أسديت أنت معروفاً؛ ظن الآخر بك سوءاً، وأخذ يفكر ماذا تريد منه مقابل معروفك له؟!

وأكثر المؤسسات الاجتماعية تضرّراً بهذا الفهم الخاطئ للحياة، وللعلاقات الإنسانيّة " الأسرة "؛ لمَّا تكون علاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الزوجة بزوجها، وعلاقة الأبوين بأبنائهما، وعلاقة الأبناء بأبويهما، قائمة على النَّفعية، والمصلحة المادية، وعلى العطاء المادي وحسب .. فإذا غابت المنفعة، وتوقَّف العطاء المادي،

لسببٍ من الأسباب القاهرة .. غابت المحبة، والرحمة، والعاطفة الصادقة، وغاب الاحترام، والاهتمام، والترابط الأسري المطلوب!

كم هو مؤلم ومحزن أن يتسلل هذا الفهم الخاطئ للحياة، والعلاقات، إلى أسر المسلمين .. إلى بيوت المسلمين .. الذي يُولي دينهم الإسلام اهتماماً بالغاً بالأسرة، وبترابطها، وتراحمها، وتعاطفها .. ويعتبرها المؤسسة الاجتماعية الأعظم، التي إذا فسدت؛ فسد المجتمع الأكبر، وإذا صلحت؛ صلح المجتمع الأكبر!

* * * * *

703- لا يزال للشيطان أمَل في معركة المرأة!

قد يئس الكفار من الظَّفر في جميع معاركهم الفكريّة والثقافية والحضارية مع الإسلام، باستثناء معركة المرأة، لا يزال الأمل بالظفر يحدوهم، فلم ييأسوا بعد من الاستمرار في استغلال المرأة استغلالاً خاطئاً مُشيناً في محاربة الإسلام، وقِيم وأخلاق الإسلام، ولمآربهم الخاصّة والمشبوهة، تحت عنوان وزعم حقوق المرأة، وحرية المرأة، وأن الإسلام يظلم المرأة، مستغلين أخطاء بعض الدُّعاة، وبعض العادات الخاطئة بحق المرأة الموجودة في بعض المجتمعات الإسلامية .. والإسلام منها براء .. فيضخمونها ويسلطون عليها الأضواء لغرضٍ خبيث في أنفسهم .. والتي لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، بل هي في المجتمعات الأخرى أشد وضوحاً، وأكثر تنوّعاً وعدوانية على حقوق وكرامة وحرية المرأة .. ومن دون أن يُشار إليها!

ولا يزال وللأسف فريق كبير من النساء من يُصغي لتلك الدعوات المشبوهة .. وتستميلهن تلك الدعوات المريبة والخاطئة .. ويلمسن فيها ما يتوافق مع رغباتهن، ونزواتهن، وأهوائهن الخاصة .. ويرضين لأنفسهن أن يكنَّ ذلك المعول الهدَّام، وتلك الأدات الضارّة والمشبوهة التي يستخدمها الأعداء لمآربهم في محاربة الإسلام!

الخطأ إن وُجِد في مجتمعٍ من المجتمعات الإسلامية يُزَال، ويتوجَّب العمل على إزالته .. لكن هذا لا يبرر للمرأة المسلمة ـ تحت عنوان ردة الفعل! ـ أن تقفَ في صَفِّ وطابور الأعداء .. في صَفِّ وطابور المنافقين والمنافقات .. أو أن تَرضى لنفسها أن تكون أمةً للشيطانِ بعد أن كانت أمةً للرحمن!

* * * * *

704- " نِيْمُو "!

هل سمعتم بقصّةِ السّمكةِ " نِيْمُو " كما في فيلم الكرتون الخاص بالأطفال، الذي تمرَّد على تعاليم وتوجيهات أبيه، وهو لا يزال في أول عمره .. ولكي يُثبت لأقرانه أنه حرٌّ في سلوكه وتصرفاته، لا يخضع لسلطة وتوجيهات الأبوين .. خالف تعاليم أبيه، واقترب مِن قارِبِ الصّيادِ ولمسَه .. فكانت النتيجة أن صاده الصيَّاد، وباعه لإحدى الصَّالات، ليوضع في حوضٍ مائي كزينة للزّائين .. وليعيش " نيمو "؛ بعد ذلك آلام حسرة عصيان تعاليم وتوجيهات والده .. وآلام ومخاطر تجربة التَّحرر من سجن الحوض المائي!

ومن أبنائنا وللأسف من يحلو له أن يعيش تجربة " نيمو "؛ ولنفس دوافع " نيمو "، وتطول بهم التجربة حتى إلى ما بعد سن المراهقة .. وإن كان " نيمو " قد نجح في العودة إلى أبيه وإلى حضنه الآمن في وقتٍ مُبكّرٍ .. فإن من أبنائنا من يمتد به العمر إلى ما بعد سنِّ الشّباب .. وهو لا يزال يعيش تجربة نيمو .. ويحلو له أن يفعل ما فعل " نيمو "، وأن يخاطر كما خاطَر " نيمو " .. وقد ضَلَّ طريقَ الإيَاب!

* * * * *

705- التَّطَيُّر بالإسْلام!

يردُّ مرضى القلوب ـ على مدار الأزمان ـ ما ينزل بهم من بلاء إلى تعاليم الإسلام، وإلى حكم الإسلام، إذ لولا تعاليم الإسلام ـ في نظرهم ـ التي فرضت عليهم لما أصابهم الجَهدُ والبلاء، ولما تكالب عليهم الأعداء، ولما نزل بهم ما نزل .. كما قال تعالى:[وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ]النساء:78. أي بسبب طاعتك واتباعك، واتباع دينك، فيردون كل سيئة تنزل بهم إلى الإسلام، وإلى حكم الإسلام، وشرائع الإسلام، وقال تعالى عن المنافقين:[لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا]آل عمران:168. أي لو عصوا مُحَمَّداً، وأطاعونا ما قتلوا في ساحات المعارك .. [قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ]يس:18. فالإسلام والمسلمون بالنسبة لهم مصدر شؤم لكل ما ينزل بهم من سوء وبلاء .. وتفسير لكل ما ينزل بهم من جهد وبلاء .. ولم يقتصر عداؤهم على الطيرة والتشاؤم وحسب، بل تعدوه إلى الرجم والتعذيب والاضطهاد إن لم يتراجعوا عن دينهم الإسلام:[قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ]يس:18. [قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ]؛ أي تشاؤمكم وما نزل بكم من بلاء فإنه مقدر ومكتوب عند الله، وهو بسبب من عند أنفسكم، وبما قدَّمت أيديكم [بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ]النمل:47. تُفتَنون تارة بالشر، وتارة بالخير، فهل تَصبرون، وتشكرون؟!

* * * * *

706- القَلَقُ!

كلماتٌ في القَلَقِ:

مَصْدَرُ القَلَقِ الخَوفُ، ومَرَدُّ الخوفِ إلى الجَهْلِ!

القَلَقُ مَرضٌ نفْسيٌّ عصَبي، يُؤدِّي إلى أمراضٍ عضويّةٍ خطيرةٍ تتَعلَّقُ بالقَلْبِ، والدَّمِ، والشّرَايين، والضَّغْطِ، والسّكّري، وتَسْريعِ مَظَاهِرِ الشَّيخُوخَةِ، وأمراضِ المعدةِ كالقُرحةِ وغيرها .. علاجُه: الإيمانُ، والصَّبرُ، والرِّضَا، والتَّسليمُ بالقَضَا، والقنَاعةُ بالميْسُورِ، والاقلاعُ عن مُسبِّبَاتِ القَلقِ الذَّاتيةِ والخارجيّةِ .. واستئنافُ يومٍ جَديدٍ يخلُو من القَلَقِ.

القَلَقُ يُشِلُّك، ويُقعِدُك عن العمَلِ، ولا يَزيدُ عليكَ الأعمالَ إلا تَراكُماً وازْدِحَاماً، حتَّى لا تَعرِفُ ماذا تُنْجِزُ مِنهَا، وبأيّها تَبدأ ..!

عِندما تَسمَحُ للآخرين أن يُسَبِّبُوا لك القَلَقَ، فأنتَ تَسمحُ لهم بأنْ يُسَرّعُوا من مَوْتِك!

لتَدفَعَ القَلقَ عن نفْسِكَ؛ اعلمْ أنَّ القَلَقَ لا يُعَجّلُ لكَ فرَجاً، ولا نَفعاً، ولا يَدْفعُ عنكَ شَرّاً .. ولا يَزِيدُكَ إلا سُوءاً!

الاسْتِغْراقُ في القَلَقِ مُؤدَّاه إلى القُنُوطِ من رحمةِ الله، والله تعالى يقول:[وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ]الحجر:56.

مِن أجمَلِ ما قِيل في دَفْعِ القَلَقِ، قولُ النَّبي ﷺ:" اعْلَمَ أنَّ ما أصَابَكَ لم يكن ليُخْطِئَكَ، وما أخطَأكَ لم يكن ليُصِيبَكَ ".

ومن وصَايا عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:" إيَّاكَ والغَضَبَ، والقَلقَ، والضَّجَرَ، والتأذِّي بالخصُومِ ".

القَلَقُ أمْرٌ نسْبِيٌّ؛ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَقْوَى ويَضْعُفُ، مِنْهُ الأصْغَرُ، ومِنهُ الأكبَرُ، ومِنهُ مِن أجْلِ الدُّنْيَا، ومنه من أجْلِ الآخِرَة، ومِنهُ مَا يَكونُ لِسَبَبٍ مَادِّيٍّ، ومِنهُ مَا يكونُ لِسَببٍ مَعْنَويّ، والعَاصِمُ مِنْها جميعَاً الإيمانُ باللهِ، والاعتِصَامُ بحبلِه.

مَا مِن كافرٍ إلا ويَعِيشُ القَلَقَ؛ القَلَقُ من جهةِ جَهْلِه بالغايةِ مِن وجودِه في هذهِ الحياة، والقَلَقُ من جهةِ جَهلِهِ بمصيرِهِ بعدَ الموتِ .. والقَلَقُ من جهةِ جَهلِهِ بالحِكْمَةِ من المصَائبِ التي تَحِلُّ به .. إن كان فقيراً يَظلُّ قلقاً حتى يُصبحَ غنياً، فإنْ صارَ غنياً نالَهُ القَلَقُ على مالِه، كيف ـ في ساعةٍ آتيةٍ لا بدَّ منها ـ سيُفارقُ مالَه، ويَدَعه لغيرِه .. وهو لا يفارقُ قَلَقاً إلا ويَستقبلهُ قَلَقٌ جَديد؟!

قال تعالى:[إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً]المعارج:19-20. والهلَعُ والجَزَعُ أعلى درجاتِ صورِ ومَعاني القَلَق، لم يستثنِ اللهُ أحَداً من هذا المرضِ العُضَال [إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ]المعارج:22-23. إلى آخرِ الآياتِ التي تبيّنُ صِفَةَ هؤلاءِ المصلين المؤمنين.

مِن نِعَمِ اللهِ تعالى على عِبادِهِ أنْ أَخْفَى عَنْهُم القَدَرَ؛ ليَعْملَ كُلُّ امرِئٍ لما خُلِقَ وقُدّرَ لَه!

* * * * *

707- حِكْمَة استفدتها من قِطَّة!

بعد منتصف الليل .. وفي أرضٍ شبه فَلَاةٍ .. رأيتُ قطةً تُخرِج صوتاً من أعمَاقِها؛ يَنمُّ عن ألمٍ، وحزنٍ، وشكْوَى .. فقلت في نفسي: ماذا تقول هذه القِطَّة .. وماذا تريد .. وما هي مشكلتها .. وما هي حاجتها .. فصوتها فيه زيادة عما يُسمَع عادة من بني جنسها .. فهتفت نفسي بي: أتحسب أنك الوحيد في هذا الوجود الذي يقول يا الله .. فكل المخلوقات البريَّةِ منها، والبَحرية .. الوحشيّة منها والأنْسيَّة .. حتى الأشجار والنّباتات .. تقول: يا الله .. ترفع حاجتَها ومسألتَها إلى الله .. كلٌّ بحسب لغته .. والله تعالى يَسمعُ ويَرى الجميع .. ويُعطي كلَّ ذِي حاجةٍ حاجتَه .. فلا يُشغله مخلوق عن مخلوق .. ولا نِداءٌ عن نِداء

.. ولا ذُو حاجةٍ عن ذِي حاجةٍ .. وهذا معنى من معاني قيوميّتِه عَلى شؤونِ خَلقِه .. ومَعنى من معاني ربِّ العالمين .. سبحان ربي العظيم!

* * * * *

708- الفُرَقَاءُ الأربَعَةُ والسُّنَّةُ النَّبويَّةُ المُطَهَّرَة.

أربَعةُ فِرَق، اختلفت مشاربها، ومسَاراتها، ووسائلها، والتقت في الهدَف؛ وهو مجافاة السُّنَّةِ النبوية المطهّرة، ومحاربتها، والتقليل من شأنها، والتشكيك بها وبمرجعيتها، وهم:

1- القرآنيون الذين يرفضون السَّنة، ولا يرون حجة عليهم إلا في القرآن الكريم!

2- الحداثيون الليبراليون الذين يرون في نصوص الشريعة تقييداً لأهوائهم وتقلباتهم، وتحديثاتهم التي لا تعرف التوقف عند حَدٍّ، ولا الثبات في شيء، فلا توجد لديهم قيمة ـ سواء كانت مادية أم معنوية ـ قابلة للثبات، لا يمكن تجاوزها، وتحديثها، وإلى مالا نهاية!

3- الشيعة الروافض الذين يرفضون السنة النبويّة المطهرة جملة وتفصيلاً، وحربهم على الصحابة والسنَّة النبوية لم تهدأ يوماً .. ويرون لأئمتهم العصمة، وأن لهم مقاماً لم يبلغه ملَك مقرّب، ولا نبي مرسل!

4- غُلاة التّصوف الذي يقدمون طاعة أوليائهم ومشايخهم على طاعة رسول الله ﷺ، ويرون لهم مقاماً يعلو مقام الأنبياء والرسل .. ويرون في السنّةِ النبوية تقييداً ومعارضةً لما يشرّعونه من البدع في الدِّين التي ما أنزل الله بها من سلطان .. فيناصبونها العداء والجَفَاء .. وهؤلاء أقرب إلى متابعة الشرع المبدَّل منهم إلى الشّرع المنزَّل!

هذه الفِرَق وكل من نهج نهجهم أو اقترب، على خطر عظيم، حظه من كتاب الله، قوله تعالى:[وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً]النساء:115. قال الإمام أحمد:" نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً، ثم جعل يتلو قوله تعالى:[فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]النور:63, وجعل يكررها، ويقول: وما الفتنة؟ الشرك ..".

* * * * *

709- حِزْبُ " العَنْكَلِيز "!

في قريتنا الجميلة " مَرْقِيَّة "، يوجَد نَهرٌ جميل؛ يجري ـ بإذن ربه ـ على مدار فصُولِ السَّنَةِ .. وكنّا في الطُّفولة ـ في فصلِ الصيف ـ نذهب إلى النهر لاصطياد " العَنْكَلِيز "؛ وهو سمكة طويلة يمتاز جلدها البُنّي بِلَذَاجَةٍ عالية جداً، شديد التَّفَلّت، لا تقدر أن تمسكه باليد المجرَّدة، مهما شدَدْتَ قبضتَك عليه؛ إذ سرعان ما يَتفلَّت، ويجد لنفسه مَخْرَجاً ومنفذاً، ولو من بين الأصابع، وكنَّا لكي نتمكن من مَسْكِه نستعين بـ " الغَزّ "،

أو ما يُعرَفُ بالطّحالب الخضراء؛ وهو عبارة عن نبتة خضراء خشنة تنبت في قاع النهر، وأحياناً تطفو على سطحه .. وفي كثير من الأحيان كنا نستعين بشوكة حادة ومُسَنَّنة، مُعَدَّة لهذا الغرض ...!

ومن الناس من هو أقرب شبهاً إلى " العَنْكَلِيز "؛ شديد التَّفَلُّت، والتَّلوّن، لا تستطيع أن تُلْزِمَه بقولٍ من أقواله، أو بموقف من مواقفه .. تراه يمارس أقصى درجات الخطأ والانحراف .. يخلط الحقَّ بالباطلِ، والباطلَ بالحقِّ .. ويخلط الجِدَّ بالهَزْلِ، والهَزْلَ بالجِدِّ .. ثم في نفس الوقت يظهر لك أنه لا يزال على العهد، وعلى الصراط المستقيم!

ولو أردتَ أن تُلزمه وتُدينه بقولٍ من أقواله أو بموقفٍ من مواقفه التي عُرف بها، واشتُهِرَت عنه ـ والتي قد يرجع إليها عند وقت الحاجة والضرورة، ووجود المصلحة ـ سرعان ما يتفلّت ويتهرّب منها بأعذارٍ تحيل بينك وبين إدانته بشكل مباشر، مهما كنت تملك من الأدلة على إدانته .. وحتَّى تقدر على إدانته بالجرم المشهود تحتاج إلى " الْغَزّ "، وإلى شوكة مُعَدَّة ومُسَنَّنة الأطراف!

وأعضاء هذا الحزب؛ حزب " العَنْكَلِيز "، ليسوا بقليل .. فهم منتشرون في أمصار عدة .. وفي طبقات تدّعي العِلمَ، والثقافة، والتنوير، والحدَاثة .. وهم وإن لم يكن يجمعهم حزب واحد، إلا أنهم تجمعهم طبائع وخِصال، وأخلاقيات " العَنْكَلِيز "، والتي هي أقرب إلى خِصال النِّفاق والزَّنْدقَةِ التي حَذَّر منها الإسلام!

* * * * *

710- صَبْرُ امرأةِ أيّوب ﷺ.

كثير من الكتاب والمؤرخين يتكلمون عن صبر نبي الله أيوب عليه السلام، ولا شك أن صبره يُضرب به المثل، تكفيه شهادة ربه فيه:[إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً]ص:44. ويغفلون عن صبر امرأة أيوب التي لا يقل صبرها كثيراً عن صبر زوجها أيوب .. وكيف لا؛ وهي شريكة أيوب في كثيرٍ من البلاء!

فقد اجتمع البلاء كله على أيوب عليه السلام؛ فأدبرت عنه النَّعم، وأقبلت عليه الأسقام والأوجاع، والنِّقم، فاجتمع عليه فقد الصحة والصُّحبة، والمال والولد، فلم يبق في جسده موضع إبرة إلا ويشكو من عِلّة وألم، فأقعدته الأوجاع والأسقام عن السعي والحراك، حتى بات في حالة يعجز فيها عن خدمة نفسه بنفسه .. فابتعد عنه القريب، والبعيد .. وتنكَّر له كل مَن حوله .. ولم يبق بجواره يخدمه ويرعاه إلا زوجته الصابرة والوفية .. فظلت تخدمه وترعاه، وتعرف له حقه، من غير كلل ولا ملل، ولا تأفف، ولا تذمّر ـ رعاية عامة وشاملة ـ ثماني عشرة سنة، وهي الفترة التي بانقضائها انقضت فترة بلاء أيوب عليه السلام.

وكانت من رعايتها له، وصبرها على خدمته، أنها كانت تخدم عند الناس لتشتري له طعاماً .. ولشدة حرصها على خدمته ورعايته فقد ارتكبت خطأ لم يرضه أيوب، فغضب وأقسم لإن شافاه الله وعافاه

ليجلدنها مائة جلدة! .. أتدرون ما هو خطؤها؟! .. فقد وصلت موصلاً من الفقر والحاجة، بحيث لم تعد تجد سبيلاً لتوفير ثمن الطعام لزوجها المبتلى سوى أن تبيع ضفيرة من شعرها! .. هذا هو خطؤها! .. خطأ تتمثل فيه نهاية الصبر وقمَّته .. ونهاية الوفاء في أجل وأعظم صوره .. إلا أن ذلك قد أغضب أيوباً إذ لا ينبغي أن تفعل بنفسها ما فعلت من أجله .. ومهما كانت الحاجة ماسّة!

ولما شفى الله أيوباً وعافاه .. هل تخلى الله عن الصابرة امرأة أيوب؟! لا .. وهل ترك أيوباً ينفذ قسمه ووعيده بحق امرأته؟! لا .. امرأة صبرت على زوجها صبر امرأة أيوب على أيوب .. تستحق المكافأة والثناء الحَسَن لا العقوبة .. والله تعالى قد يبتلي أمَتَه لكن لا يتخلَّى عنها .. لكن أيوبا قد أقسم، وقسم الأنبياء لا بد له من الوفاء .. فأمره الله تعالى ـ إبراراً لقسمه ـ أن يجمع مائة قِشة ـ بدلاً من المائة جلدة ـ ويجعلها في حزمة واحدة، ثم يرمي بها برفق على زوجته، فيبر بذلك قسمه:[وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ]ص:44. فالذي فدى إسماعيل عليه السلام بكبش عظيم، فدى امرأة أيوب بحزمة من القِش .. فكلاهما فِداء!

هل توقف المن والعطاء لامرأة أيوب جزاء على صبرها عند هذا الحد ..؟! لا .. فقد أعاد الله لها زوجها كما كان معافاً صحيحاً، غنياً، وأكثر جمالاً .. وأعاد إليها كل ما فقدته من المال والولد .. وقيل أن الله تعالى أعاد إليها شبابها، فولدت لأيوب ستاً وعشرين ذكراً:[ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ]ص:42-43.

فأين نساء هذا الزمان، من امرأة أيوب، وأين صبرهنَّ على رجالهنَّ، مِن صبر امرأة أيوب ...؟!

أين نساء هذا الزمان من امرأة أيوب؛ فإذا أقبلت النّعم أقبلْنَ، وإذا أدبرَت أدبرْنَ .. إلا من رحم الله!

* * * * *

711- مرة ثانية مع صبر ونداء أيوب عليه السلام.

[وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]الأنبياء:83. لم ينادِ أيوب ربَّهُ هذا النداء الخالِد إلا بعد اجتماع البلاء كله عليه .. وبعد مضي ثماني عشرة سنة من الصبر على البلاء .. وبعد أن خاض الناس فيه، وظنوا فيه الظنون، وهو النبي الكريم .. فطفح كيلُ البلاء .. وزادوا البلاءَ عليه بلاءً .. فلم يسلم من قريب ولا بعيد، ولا لصيق .. وكان رجلان من أخص إخوان وأصحاب أيوب، وأقربهم إليه .. وكانا كثير الولوج عليه .. فتناجيا:" فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحدٌ من العالمين!! قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: من ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله، فيكشف ما به ..."!! إذا كان هذا ظنُّ وقول القريب والصَّديق، فما يكونُ ظنُّ وقولُ البعيد؟! .. فبلغ كلامهما مسامع أيوب .. وما أشد ما سمع .. هنالك .. رفع نداءه إلى السماء:[أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]، فسمع اللهُ

النداء، وكان الجواب:[فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ]الأنبياء:84. إنه اختبار شديد أراد الله أن يختبر به عبده أيوب، فنجح في الاختبار أيما نجاح، واستحق التقدير التالي بجدارة عالية:[إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ]ص:44.

* * * * *

712- اعتزالُ المريض للجمعة والجماعات.

قال ﷺ:" الجمعةُ حقٌّ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ في جماعةٍ إلاَّ أربعةً: عبدٌ مملوكٌ، أوِ امرأةٌ، أو صبيٌّ، أو مريضٌ "صحيح أبي داود:1067. والذي يعنينا من الحديث في هذا الموضع، قوله ﷺ:" أو مريضٌ "؛ والمرض نوعان: مُعدٍ، وغير مُعدٍ.

المرض غير المعد، الذي يُجيز لصاحبه القعود عن الجمعة والجماعات، هو المرض الذي لا تتأتى معه الجمعة والجماعة إلا بشيء من المشقَّة والحرَج .. فإن كان سعيه للجمعة والجماعات يزيد مرضه مرضاً، فحينئذٍ تنتقل الرخصة إلى الوجوب؛ وجوب اعتزال الجمعة والجماعات، لقوله ﷺ في الحديث الآخر:" لا ضَرَرَ، ولا ضِرَارَ ".

أمَّا المرضُ المُعْدي؛ كأن يكون صاحبه مُصاباً بالزُّكام أو الرَّشح، أو الجذام، أو ما بات يعرف بفيروس كورونا، ونحوها من الأمراض التي تنتقل بالعدوى .. فحينئذٍ يتعيّن على المريضِ الصلاة في بيته، وعدم المجيء إلى المساجد من أجل الجمعة والجماعات .. حتى لو كان جسديّاً يقوى على الحضور .. إلى أن يبرأ .. فإن أبى إلا الحضور فهو آثم عليه وزر وليس له أجر، ودليلنا الحديث الوارد أعلاه " أو مريض "، ولقوله ﷺ لرجل مجذوم جاء مع وفد ثقيف لمبايعته، فأرْسَلَ إلَيْهِ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" إنَّا قدْ بَايَعْنَاكَ، فَارْجِعْ " مسلم. ولقوله ﷺ:" لا ضَرَرَ، ولا ضِرَارَ ". وقوله:" مَن ضارَّ، ضارَّ اللهُ به، ومَن شاقَّ، شاقَّ اللهُ عليه " صحيح سنن الترمذي:1940. أي من تسبب لغيره بالضرر عاقبه الله وأنزل به من الضرر بقدر ما أنزل بغيره، ومن تسبب لغيره المشقة والتعب، عاقبه الله من جنس فعله؛ فجعل عليه من المشقة والتعب بقدر ما جعل على غيره، هذا غير الوعيد في الآخرة.

الذي حملني على كتابة هذه الكلمات أنني ألحظ أحياناً في بعض الجُمَع والجماعات مرضى بالزّكام؛ فترى أحدهم ما إن يدخل المسجد إلا ويبدأ بالعُطاس، والسُّعال، وأنفه يشرشر عليه .. والمحارم لم تعد تسعفه، فيستعين بكمّه وثيابه .. وشظاياه تُصيب جميع من حوله .. ثم هو لا يبالي، يحسب أنه يتعبَّد، ويُحسن صنعاً .. والله المستعان!

* * * * *

713- المرأةُ بين الشَّرْعِ المُنَزَّل، والشَّرعِ المؤوّل، والشَّرعِ المُبَدَّل.

الشَّرْعُ المُنَزَّل: هي الأحكام ذات العلاقة بالمرأة التي نزل فيها نص من القرآن والسُّنَّة، وهذا شرع مُلْزِم لا مناص لرده أو التعقيب عليه، أو الاختيار فيه، قال تعالى:[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً]الأحزاب:36.

الشَّرْعُ المُؤَوَّل: هي الأحكام المتباينة والناجمة عن فهم أهل العلم والاجتهاد للنص المُنَزَّل .. وهذا النوع من الشّرع لا يُلزِم المرأة شيئاً منه إلا ما تراه الأقرب إلى الشرع المنزل، وإلى دلالة النَّص المنزّل .. فالذي يُلزم المرأة من الشرع المؤوّل، يُشترط له شرطان: أولهما؛ أن يكون الأقرب لدلالة النص المنزَّل، ولمراد الشارع من النصّ المنزل. ثانيهما؛ أن تقتنع المرأة ذاتها بالقول الذي تتبناه بأنه الأقرب لدلالة النص المنزّل، ولمراد الشارع منه؛ إذ لا إكراه في الدين.

الشَّرعُ المُبَدَّل: وهو كل ما خالف وعارَض الشرع المنزَّل، وكل ما هو ليس من الشّرع المنزّل .. وهذا النوع من الشرع لا يُلزم المرأةَ منه شيئاً .. والموقف منه أن يُرَد، ولا يُلتَفت إليه، وأن يُضرَب به عرض الحائط، لقوله ﷺ:" من أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليس فيه ـ وفي رواية: ما ليس منه ـ فهو رَدٌّ " متفق عليه. وفي رواية عند مسلم:" مَن عَمِل عمَلاً ليسَ عليه أمرُنا، فهو رَدٌّ ". هذا هو الموقف الواجب من الشّرْع المبدَّل، ومع ذلك فهو الأكثر شيوعاً في الأمصار، والأكثر إلزاماً للمرأة ...!

* * * * *

714- محذوفاتي!

لو أردت أن أجمع محذوفاتي في كتابٍ، لكان مجلداً كبيراً .. فكثير من الأحيان أكتب المقالة .. وبعد أن أنتهي من كتابتها ـ وتكون قد أخذت مني وقتاً طويلاً ـ وقبل نشرها .. أعيد النظر فيها .. فتظهر لي أنها لا تخضع لشروطي كما ينبغي، وكما أريد، فأقوم بحذفها .. وأحياناً أحذفها ـ بعد أن تُنشَر ـ من موقعي الالكتروني، ومن مجموع مؤلفاتي .. وياله من قرار شديد الوقع والألم على النفس .. ينتابني شعور وأنا أحذفها، كمن ينفذ حكم الإعدام على متهم يحتمل الإدانة والبراءة معاً .. والذي يطيّبُ خاطري .. ويهوّن عليَّ الأمر .. أنني كتبتها لله، وحذفتها لله .. وما كان لله لا يضيع أجره، كيفما انتهى به المآل.

* * * * *

715- الغُلُو في الدُّعاء!

في مسجدٍ عام قام إمامنا الباكستاني يدعو، وكان من دعائه:" اللهم إنِّي أسألك خزائن السماوات والأرض .."!

فقلت له: ما أوسَعَ بَطنِك .. ماذا تركت لغيرِك؟! صدق رسول الله ﷺ:" لا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ "، وفي رواية:" لا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ "!

ونحوه الذي يدعو أن تخلو حياته الدنيا من السَّقَم، والفقر، والهم، والكدَر، والحزَن .. وهذا لا يكون إلا في الجنَّة!

ونحوه قول الدّاعي من غير تخصيص: اللهم لا تعاملنا بما نحن أهل له، وعاملنا بما أنت أهل له .. والله تعالى أهل للعفو وللعقاب .. وللرحمة والعذاب .. أهل أن يغفرَ الذَّنبَ، كما هو أهل لأن يأخذ بالذّنب .. فأي النوعين من الأهلية يريد الداعي؟!

كما أن المؤمن العاصي: أهلٌ لأن يُرحَم، وأهل لأن يُعذَّب .. وأهلٌ أن يُعفَى عنه، وأهل أن يُحاسَب، ويُؤخَذ بذنبه .. فأي النوعين من الأهلية يريد وهو يدعو؟!

* * * * *

716- كُرةُ القَدَم.

قَصَدْتُ البقّالةَ المجاورة للبيت .. فوجدت صاحبَها يهم بإغلاق دكانه قبل الوقت المحدد .. فسألته عن السبب .. فقال لي: بعد قليل ستنتهي مباراة دولية لكرة القدم .. وسيخرج المتعصبون للكرة؛ وقد يقتحمون المحلات التجارية .. ويكسرون كل ما يُصادفونه أمامهم .. سواء انتصر فريقهم أم انهزم .. إن انتصر فريقهم، يفعلون ذلك طرَباً .. وإن انهزَمَ يفعلون ذلك غَضَباً .. ولا بد من أن نغلق المحل قبل أن تحل بنا الكارثة .. وفوجئت أن كثيراً من البقالات والمحلات في الشارع قد أغلقت لهذا السبب!

كنت قد ذكرت في بعض مقالاتي القديمة أن كرة القدم، وطريقة التَّعاطي معها، والترويج لها، قد تجاوزت صفة الرياضة، والترفيه المباح، لتُصبح طاغوتاً، يُعبد من دون الله؛ يُعقد فيها الحبُّ والكُره .. تُفَرّق بين المرء وأخيه .. وتُسَالُ في سبيلها الدّماء .. وتُرتَكَب الجرائم .. والأحداث والوقائع تأتي لتؤكّد صحة ما قد ذهبنا إليه، وللأسف!

* * * * *

717- بيتُ اللهِ الحَرام الحَزين!

يَصدَح المذياع:" لبيك اللهم لبيك .."، بينما المتواجدون في صحن الحرم المكي لا يزيدون عن العشرات؛ أكثرهم من عمال النظافة، وعناصر إدارية في الحرم ...!

كأنِّي ببيت الله الحرام، يقول: أنا في شهر ذي الحجة المبارك .. أين الملايين من المؤمنين الذين يزورونني في مثل هذا الشهر، في مثل هذه الأيام المباركة، من كلِّ سنة ...؟!

أين أحبائي .. أين الشُّعْثُ الغُبْرُ .. أين زوَّاري من المؤمنين الصالحين، الذين يأتونني من كل فج عميق .. أين الذين يباهي اللهُ بهم أهل السماء، فيقول سبحانه:" انظروا إلى عبادي جاءُوني شُعْثًا غُبْرًا "؟!

أين العُبّاد .. أين الذين يريدون أن يتطهروا من ذنوبهم، فيعودون كما ولدتهم أمهاتهم .. أين الذين تبتل بدموعهم جدران الكعبة المشرّفة، والحجر الأسود ...؟!

أنا البيت الذي لا يتوقف تطواف الطائفين فيه على مدار أيام وساعات السنة .. فأين الطائفين والطائفات ,, ومن الذي منعهم عني؟!

قالوا: كورونا .. السبب كورونا!!

فما بال آلاف الناس ـ وأحياناً عشرات الآلاف ـ الذين تكتظ بهم أماكن اللعب واللهو في عديد من الدول الأوربية وغيرها .. ألا يضرهم كورونا .. ألا يتأذون بكورونا .. أم أنَّ كورونا لا يعمل عمله الضار إلا في بيت الله الحرام؟!

ماذا يمكن لكورونا أن يفعل، أو أن يُقاوم، أمام الملايين من المؤمنين الذين يتضرعون، ويلهجون بالدعاء، ويرفعون أكفهم الطاهرة إلى السماء، وفي أقدس زمان، وأقدس مكان، يقولون: يا الله ...؟!

هل يبقى لكورونا أثر أو وجود في الأرض، مع هذا الضجيج بالدعاء الخالص، وفي أقدس أيام السنة، وأقدس بقاع الأرض، وأكثرها بركة ..؟!

في كثير من الأحيان ـ وللأسف ـ تأتي حسابات السياسة بعيداً عن الإيمان .. فيضرون ويسيئون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

6 ذو الحجة 1442 هـ.

* * * * *

718- حريّةُ الاختيار.

حريَّةُ الاختيار؛ كلمة حق، في كثير من الأحيان، توضع في غير موضعها الصحيح، ويُراد بها باطل!

فما هو الحق في هذه الكلمة، وما هو الباطل ..؟

الحق في حرية الاختيار محصور في موضعين، لا يتعداهما: أولهما، متعلق بالكافر الأصلي؛ فله الحق في أن يختار الإيمان أو الكفر، أن يُصبح مؤمناً، أو أن يبقى على كفره ودينه، فلا يُكرَه على تركِ دينه.

ثانيهما، متعلق بالاختيارات الفقهية المشروعة، الواردة في المذاهب الأربعة، وغيرها من اجتهادات واختيارات أهل العلم المعتبرين .. فالمسلم لا يُكره على اختيار فقهي، هو لا يعتقده، ولا يراه صواباً .. فله كامل الحق في أن يختار القول أو المذهب الفقهي الذي يعتقده صواباً، والأقرب للنص المنزل، ولدلالاته، وعلى هذين الفريقين يُحمل قوله تعالى:[لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]البقرة:256.

أما المعنى الباطل الذي تُحمَل عليه كلمة " حريَّةُ الاختيار "، هو كل أمر سوى الموضعين الآنفي الذكر أعلاه، كأن يُقال: للمسلم الحق في أن يختار الردة والكفر بعد الإيمان .. أو أن يختار الحرام بدلاً من الحلال .. أو أن يختار الفسوق والعصيان على الطاعة لله ولرسوله ﷺ .. فهذا النوع من الاختيار باطل، مردود بالنقل والعقل، مصادم للنص المنزل، لا يقول به عالم معتبر، وهو أقرب لمعنى الإباحية الشائعة عند الباطنيين وملل الكفر الأخرى، قال تعالى:[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ

لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً]الأحزاب:36. وقال تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ]الحجرات:1. أي لا تقدموا بقول أو فعل، أو فهم يخالف أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ. وقال تعالى:[فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً]النساء:65.

* * * * *

719- قريةُ أطمَة الأكْثَرُ تَحَضُّراً!

عاشت مدينة لندن أزمة توزيع الوقود لأيّامٍ معدودات .. فهالني ما رأيت من أخلاق الناس، ومن مهاتراتهم، وتزاحمهم، وهلعهم من أجل الحصول على الوقود .. فتذكرت قرية أطمة السورية الماجدة بأهلها الكرماء .. التي تأوي مئات الآلاف من النازحين المهاجرين؛ الذين هجَّرهم من ديارهم ظلم وإرهاب الطغاة الظالمين .. يفترشون الخيام ـ التي لا تقي من قَرٍّ ولا من حَرٍّ ـ على مدار فصول السَّنة .. يعانون النقص والحرمان في كثير من ضروريات وحاجيات الحياة الأساسية .. ولأكثر من عشر سنوات .. ورغم غياب رقابة المخلوق، وغياب الكاميرات التي تراقب، وتسجل حركة الناس .. ومع ذلك لا يعتدي أحد على أحد .. ولا ينهبُ أحد أحداً .. ولا تسطو خيمة على حقوق خيمة أخرى .. ولا تخشى خيمة مما يجاورها من الخيام الأخرى .. فالكل يصبر على الكل، والكل يحترم الكل .. وما كانوا ليكونوا كذلك لولا الإيمان بالله .. أرقى وأعظم مفهوم حضاري يفرز سلوكاً حضارياً راقياً.

وقد صدَقَ مَن قال: النَّاسُ يتساوون في العافية، ويَتَمَايزُون في الشِّدة والبلاء ...!

2021/10/3

* * * * *

720- الأكثريّة الديمقراطية الكاذبة!

في بعض البلدان التي تجرى فيها انتخابات ديمقراطية، تكون المشاركة فيها 20% من مجموع من يحق لهم التصويت، تزيد هذه النسبة في مواطن حيناً، وتنقص حيناً .. مما يعني أن الأكثرية العظمى ممن يحق لهم التصويت قد اعتزلوا التصويت، ونأوا بأنفسهم عن الانتخابات وألاعيبها؛ لانعدام الثقة بجدوى هذه العملية، وبالقائمين عليها، والمستفيدين منها .. فعدم الموافقة على التصويت والمشاركة في الانتخابات؛ هو بذاته تصويت في الاتجاه المعاكس، ينبغي أن يُحترم رأي أصحابه، ويُنظر في الأسباب والدواعي التي حملتهم على اتخاذ هذا الموقف.

ثم هذه النسبة 20% .. تتقاسمها الأحزاب والتجمعات المشتركة في الانتخابات .. فقد يكون الفائز الأول منها قد حصل على 10% وربما أقل .. بحسب عدد الأحزاب الأخرى المشاركة التي تتقسّم عليها أعداد المصوتين الناخبين ...!

والكذبة الكبرى تأتي عندما يُعلن الحزب الفائز، والذي لا يمثل أكثر من 10% من عدد الناخبين .. بأنه قد فاز بالأكثرية الساحقة التي تمكنه من حكم البلاد والعباد .. وما على الآخرين إلا أن ينصاعوا له، ويقبلوا به، وبحكمه .. وأن يحترموا رغبة وقرار الشعب .. والأكثرية!

هذا الإدعاء الكاذب، والكذب الصراح .. والتناقض بين الشعار والواقع .. ألا يستدعي من المفكرين العقلاء بأن يراجعوا صوابية آليات الديمقراطية المعتمدة، والجدوى منها .. ويخرجوا بدراسات ونتائج، واقتراحات تتفادى مثل هذه المزالق، وهذا الكذب والإدعاء .. وتعيد للأمة والشعوب دورها الحقيقي في التمثيل وحكم البلاد ...؟!

من هذه الاقتراحات ـ على سبيل المثال ـ سن قانون انتخابي ملزم، ينص على أن أي انتخابات يقل فيها عدد المصوتين المنتخبين عن 51% من مجموع من يحق لهم التصويت، نتائجها غير معتمدة، وهي لا ترقى لأن تمثل شعباً، ولا أكثرية.

* * * * *

721- آية من آيات الله أكثر الناس عنها معرضون!

إنه بركان " كمبر فيجا، **Cumbre Vieja** "، الواقع في جزيرة " لا بالما " الإسبانية .. البركان الأكبر والأضخم أثراً وخطراً .. قد مضى على تدفقه وانبعاثه أكثر من ثمانية وثلاثين يوماً، ولا يزال في ذروة نشاطه وقوته .. حِمَمُهُ تعلو في السماء عشرات الأمتار .. لا يعلمون له نهاية .. وأنّى لهم أن يعلموا .. يلتهم كل ما يُصادفه من حجر، وشجر، وجمادات، ومخلوقات .. ابتلع مئات المباني .. وهجَّر الآلاف من سكان الجزيرة السياحيّة .. ودمر آلافاً من الهيكتارات .. أحدث ولا يزال عشرات الهزات الأرضية .. وآثاره المدمرة على الطبيعة والإنسان لا تزال مستمرة، وفي ازدياد .. يصعب إحصاؤها؛ لأنه في كل دقيقة يحدث رقماً جديداً من الدمار .. ليس لرجال الإطفاء والإنقاذ من عمل أو حيلة سوى أن يفسحوا له الطريق، وهم ينظرون .. أو يُخرِجوا من أمامه ما خفَّ وزنه، وغلا ثمنه .. ليبتلع ما قُدّر له أن يبتلعه ويحرقه!

إنه مخلوق لله، وهو عبد مأمور .. وجندي من جنود الله .. له مهمة محددة في الأرض سيؤديها .. يُؤدب وينتقم الله به ممن يشاء من عباده .. ابتَدأ بأمرٍ من الله، وهو لا يتوقف إلا بأمر من الله تعالى؛ مالك الملك، وخالق السماوات، والأرض .. وبعد أن يُكمِلَ مهمته ورسالته المحددة له!

المشركون الكافرون يردون عمل هذا البركان الضخم والمخيف إلى الطبيعة وغضبها .. وإلى عوامل وأسباب جيولوجية .. بعيداً عن الإيمان بالله .. وإذا تكلموا عن البركان، قالوا عنه " الأكثر عدائية "؛ وكأن لهذه الأسباب الجيلوجية إرادة ذاتية من دون الله .. تعمل عملها متى شاءت، ومن دون إذن أو أمر من الله .. ينكرون ويجحدون الله .. وينكرون أن البركان هو من تقدير الله .. ومن جملة مخلوقاته .. وأنه رسالة منه سبحانه لأهل الأرض، تزيد المؤمنين إيماناً، والكافرين كفراً وطغياناً .. وهم رغم شدة العذاب والمصاب فإنهم

لا يتعظون ولا يعتبرون، وكأن البلاء والعذاب لا يزيدهم إلا طغياناً وكفراً، صدق الله العظيم:[وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76. [وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ]يوسف:105. [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46.

2021/10/26

* * * * *

722- رأيٌ حول العلاجِ من كورونا!

المشكلة لا تزال موجودة حتى بعد تناول اللقاحات .. اللقاحات التي تضطر أن تجددها كل ستة أشهر؛ لتحافظ على فاعليتها .. ليست علاجاً ناجعاً مأمونة عواقبه .. لا أرى علاجاً ناجعاً ـ على المدى البعيد ـ لفيروس كورونا ـ بعد التوكل على الله، وملازمة أذكار الصباح والمساء ـ من اهتمام المرء بمناعته الذاتية التي أودعها الله فيه؛ فيعمل على تقويتها، بالأغذية النافعة، وتناول الفيتامينات ذات العلاقة بقوة المناعة .. إضافة إلى إجراءات النظافة، واستخدام الكمَّامات في مواطن الزحام .. واجتناب السلوكيات الخاطئة الضارة بها؛ كالتدخين، والخمور، والإفراط في تناول السكريات، والنشويات.

عندما يعتاد جسدك على منشطات ولقاحات إضافية خارجية، لم يعد يؤدي وظائفه المعتادة عند توقف تلك المنشطات .. فتضطر إلى الاستمرار في تعاطيها إلى درجة الإدمان، وإلى درجة يصعب عليك الفكاك من سلطانها .. هذا رأي خاص بي، لا أُلْزِمُ به غيري .. [فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]يوسف:64.

أما إذا جاء الأجل المكتوب من أحدنا .. فحينئذ لا ينفع مع دنو الأجل أسباب، ولا توصيات، ولا إجراءات، ولا احتياطات .. يستوي في ذلك القوي والضعيف،[فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ]الأعراف:34. [أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ]النساء:78.

2021/10/30

* * * * *

723- العَالِمُ وما يتركه من بَعده!

أعرف رجلاً كان يَلتمسُ من عِلمه الدِّيني الشهادات الدنيوية، والمناصب الحكوميّة .. فبلغ من ذلك مبلغاً كبيراً، وتحقق له ما كان يسعى إليه .. فلما مات .. تَساءلَ الناس .. ماذا ترك للناس من بعده .. فلم يجدوا سوى مجموعة لا بأس بها من الشهادات .. والأوسمة التي منحته إيّاها الحكومات، والمؤسسات .. وقد غاب من إرثه " وعلم ينتفع به من بعده "، وكثير هم ـ في زماننا ـ الذين يصنعون صنيع هذا الرجل!

وفي الحديث، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال:" من تعلَّمَ عِلماً مما يُبتغَى به وجهُ اللهِ، لا يتعلّمهُ إلا ليُصيبَ به عَرَضاً من الدُّنيا، لم يجد عَرْفَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ " يعني ريحها .. نسأل الله تعالى السّلامة، وحسن الختام.

* * * * *

724- لا تضحكوا من الضّرطَةِ!

وعظَ النبيُّ ﷺ أصحابَه في ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وقالَ:" لِمَ يَضْحَكُ أحَدُكُمْ ممَّا يَفْعَلُ " متفق عليه.

والأمر عند بني قومي لم يقف عند حد الضحك من الضَّرطة .. فإنهم ما إن يسمعوا مسؤولاً أمريكيّاً يضرط ضرطةً .. إلا وتبدأ قنواتهم الإعلامية .. المرئية منها والمسموعة .. وتكثر الندوات الإعلامية .. ويُستدعَى لها كبار المحللين والسياسيين .. وتبدأ صحائفهم وجرائدهم .. وفي الصفحة الأولى من جرائدهم المنافقة .. بالكتابة والتحليل المفصّل والممل لضرطة هذا الأمريكي، وتحت عناوين كبيرة، وبالخط الأسود العريض .. ويقفون عندها طويلاً: لماذا ضرط .. وكيف ضرط .. وما الغاية، وما المراد من ضرطته .. ومن المستهدف من ضرطته .. وما هي انعكاسات وآثار ضرطته .. إلى آخر قائمة التساؤلات والتحليلات التافهة الساقطة المقزّزة .. والتي كلها تدور حول ضرطة وكلمة هذا الأمريكي .. فيسيؤون بذلك إلى أنفسهم ومكانتهم، وإلى مسامع الناس .. وإلى شعوبهم، وبلدانهم .. ويهدرون في سبيل ذلك أموالاً طائلة .. فقليلاً يا قوم من الأدب، واحترام النفس، واحترام الناس، ومسامعهم، وأوقاتهم!!

* * * * *

725- العُقُوق يُعَجِّلُ الآجَالَ!

لا أعرفُ ذَنباً يُعجِّلُ بالآجَال، ويمحَقُ الأرزاقَ، وبركتَها، كعُقُوقِ الوالدين، وقطيعة الرّحم .. وإنّي لأخافُ على العَاقِّ من عُقُوقِه أكثر مما أخَافُ عليه من عَدوّه .. فقد صَحَّ عن النبيّ ﷺ أنه قال:" ما مِن ذَنْبٍ أجدَرُ أن يُعجِّلَ اللهُ تعالى لصاحبه العقوبَة في الدنيا، مع ما يدّخرُه في الآخرة من قطيعةِ الرَّحم ..".

وقال ﷺ:" من قَطَعَ رحماً، رأى وبالَه قبل أن يموت ". وقال ﷺ:" بابانِ مُعجَّلان عُقوبتهُما في الدنيا: البَغي، والعُقُوق ". وقال ﷺ:" ليسَ شيءٌ أعجَلَ عقاباً من البغي، وقطيعةِ الرَّحمِ ..".

وقال ﷺ:" من سَرَّهُ أن يُعظِمَ اللهُ رزقَه، وأن يمدَّ في أجَلِه، فليَصِلْ رحمه ". مفهوم المخالفة من أراد أن يُعجَّلَ له في أجَلِه، وأن لا يُمَدَّ له في عمره، وأن لا يُعْظَمَ له في رِزقه؛ فليقطع رَحِمَه!

وقال ﷺ:"من سَرَّه أن يُبسَطَ له في رزقه ـ أي يُوسّع ويُزاد له في مالِه ـ ويُنْسَأ في أثرِه ـ أي يؤخَّر ويُزاد له في أجله وعمره ـ فليَصِلْ رحمه ".

وقال ﷺ:" مَن سَرَّهُ أن يُمَدَّ له في عُمرِه، ويُزادُ في رزقه؛ فليُبرَّ والديه، وليصِلْ رحمَه ". مفهوم المخالفة يقتضي العكس.

وقال ﷺ:" مَن بَرَّ والديه طوبى له؛ زادَ اللهُ في عُمره ". وقال ﷺ:" لا يَزيدُ في العُمرِ إلا البر ". أي بر الوالدين!

وقال ﷺ:" تعلّموا من أنسابِكُم ما تَصِلُونَ به أرحامَكُم؛ فإنَّ صِلَةَ الرَّحم محبَّةٌ في الأهْلِ، مَثْراةٌ في المالِ، مَنْسَأةٌ في الأثَرِ ". أي تَزيد في الأعمَار .. وغيرها كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحذر من مَغبَّةِ العُقوقُ، وقطيعة الأرحَام .. فالحَذَر الحَذَر عِبَادَ الله!

* * * * *

726- الرّضا والتّسليم.

قد تفوتك الحكمة من شيء شرَعه الله تعالى، وقدره، وخلقه .. فيبدأ الشيطان يعمل عمله في تَشْكِيكك بالإيمان .. وتَشكيكك بما يصدر عن الله تعالى من أفعال .. ويحملك على الاعتراض، والمعارضة .. والمساءلة عن الحكمة من أفعال الله تعالى في خلقه!

والواجب عليك في هذه الحالة الرضا والتسليم .. ومما يعينك على ذلك جملة من الأمور، قد دل عليها النقل والعقل، واتفقا عليها.

منها: أن الله تعالى خالقُ الخلْقَ ومالكه .. ومن له الخَلْقُ والمُلْك، له الحق في أن يفعل ما يشاء فيما يخلق ويملك .. ولا يحق للمملوك المخلوق أن يعترض على المالك الخالق .. أو أن يسأله عن الحكمة من أفعاله، [فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ]هود:46. [لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ]الأنبياء:23.

ومنها: أن الله تعالى حكيم؛ منزه عن العبث، واللهو، والخطأ .. فما يصدر عنه شيء إلا لحكمة عظيمة بالغة، سواء علمنا ذلك أم لم نعلم .. وجَهلُنا لا يُلغي من هذه الحقيقة شيئاً .. [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ]المؤمنون:115-116.

ومنها: أن الله تعالى عليم لا يخفى عليه شيء؛ يعلم الغيب، وما تكنه الصدور، وما يسرُّون وما يُعلنون .. ما كان، وما يكون، وما سيكون، قبل أن يكون .. ومهما أوتي الإنسان من علم، فهو لا شيء قياساً لعلم الله، [وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً]الإسراء:85. [وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216. ومن كان لا يعلم، ولم يُؤتَ من العلم إلا قليلاً، لا بد له من أن يسلّم لحكم، وحكمة، وقضاء من له كمال العلم.

بعد ذلك، إن حدثتك نفسك ـ يا عبد الله ـ عن الحكمة من شيء شَرَعه الله تعالى، أو شيء خلقه، وقضاه وقدره .. ثم جهلت الحكمة .. فقل لها: مقامك أيتها النفس ـ المملوكة المخلوقة الجاهلة ـ التسليم والرضا لمن له الخَلق، والمُلْكُ، والأمر .. للحكيمِ العَلِيم!

* * * * *

727- الشرك.

من المتأخرين والمعاصرين؛ ممن تعرّضوا لتفسير معاني كلمات القرآن الكريم، تراهم إذا مروا على كلمة " الشرك "؛ يفسرونها ويحصرونها بعبادة الأصنام والحجارة .. والمشركون هم الذين يعبدون الأصنام والحجارة .. وهذا حصر مخل بالمراد، غير صحيح .. لا يترتب عليه تبعات، ولا مُساءلة من قبل طواغيت الحكم والظلم .. فيه تلبس على الناس أمر دينهم .. ويجعل المشرك يقر عيناً، ويحسب أنه ممن يحسنون صنعاً؛ لأن شركه لم يأت ولم يكن من جهة عبادة الأصنام والحجارة ...!

الأرض مُتْخَمَةٌ بالطواغيت والفراعِنة؛ الذين يقولون ما قاله فرعون الأول:[وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي]القصص:38. [قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ]غافر:29. وهؤلاء لا يرون من الشرك إلا الأصنام والحِجارة ...؟!

الشرك أعم وأوسع بكثير من أن يُحصَر في عبادة الأصنام والحجارة .. الشرك؛ أن تجعل لله تعالى نداً في صفة أو خاصية من خصائصه سبحانه وتعالى .. أن تصرف العبادة، أو معنى من معاني العبادة، لغير الله تعالى، أيّاً كان هذا الغير .. كالشرك الناجم عن عبادة الطاعة، والمحبة، والتّحاكم، والدعاء، والخشية، والتوكّل .. والشرك الناجم عن تشبيه المخلوق بالخالق، وإضفاء صفات الألوهية والربوبية أو بعضها على المخلوق .. وقد يكون هذا المعبود من دون الله، حاكماً مطاعاً لذاته فيما يأمر، وينهى عنه، وفيما يحلل، ويحرّم من دون سلطان من الله .. وقد يكون مشرّعاً من دون الله .. أو التشريع ذاته .. وقد يكون محبوباً لذاته يُعقَد فيه الولاء والبراء، والحب والبغض من دون أو مع الله .. وقد يكون الشيطان .. وقد يكون الهوى .. أو كاهناً يتكهن الغيب .. أو قبراً يُعبَد .. أو غير ذلك .. بحسب ما يقتضيه سياق الآية التي تتكلم عن الشرك والمشركين .. والأمانة العلمية تقتضي بيان ذلك .. أعاذنا الله وإياكم من جميع أنواع الشرك، ما ظهر منه وما بطن، ما عَلِمنا منه، وما لَمْ نَعْلَم.

* * * * *

728- فصلُ النبي ﷺ عن النّاس!

من أكبر الأخطاء والأخطار التي وقعت في تاريخنا المعاصر ـ تحت عناوين ومزاعم التعصب للمذاهب والطرق، وللأشخاص والأقوال، وللأحزاب والجماعات، ولمسميات محدثة ـ فصل النبي ﷺ عن

الناس؛ عن واقعهم، وفكرهم، وسلوكهم، وحياتهم .. وإيجاد حواجز مصطنعة ـ مما تقدم ذكره ـ ما أنزل الله بها من سلطان تحيل بين الناس وبين نبيهم ﷺ ومتابعته ..!

وبقاءُ التَّغنّي باسمه الشريف، من غير متابعته، والانقياد لسنّتِه، في حركتنا، وجميع أقوالنا وأعمالنا الظاهرة منها والباطنة .. لا يَكْفِي، ولا يُغْني، ولا يُرضِي الله تعالى ولا رسوله ﷺ، [قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ]آل عمران:31. [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ]الأحزاب:21. [وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً]الأحزاب:71.

من الآثار المدمرة لهذا الفصل بين النبي ﷺ وبين الناس:

1- تَلقِّي الناس الدينَ، والمفاهيم، والقيم، من تلك الوسائط، والحواجز، والرموز، من دون عزو إلى النبي ﷺ، يصل الناس بالنبي ﷺ، و يحقق لديهم صفة المتابعة للنبي ﷺ ..!

2- تحقيق صفة التّقليد الأعمى .. وغياب صفة الدعوة على بصيرة .. والاتّباع على بصيرة، [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي]يوسف:108.

3- غياب شخص النبي ﷺ كقائد، وقدوة، ومثل أعلى، يُقتدَى ويُتَأسَّى به، عن أذهان وتصور الناس .. واستبداله بتلك الوسائط والحواجز أو ببعضها .. وكثير منا لو سُئل عن قدوته ومثله الأعلى في هذه الحياة؟ لقال: فلان وعلان .. وذكر أسماء من تلك الوسائط والأعلام، والمشهورين .. من دون أن يذكر النبي ﷺ .. وهذا من أهم أسباب تدني وهبوط اهتمامات الناس، وهبوط أخلاقهم، ومستوياتهم .. فمن لوازم هبوط المثل والقدوة، هبوط المقتدي!

4- تفرق الأمة في مذاهب، وفرق، وطرق، وأحزاب، وجماعات عدة .. باعدت بين وحدتها، واجتماع كلمتها على الحق .. وهذا أمر متوقع عندما تستبدل الأمة الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ تستبدل تلك الوسائط، والحواجز، والرموز، والأشخاص، والمسميات المحدثة، العديدة والمتباينة، والمتفرقة .. بالنبيِّ ﷺ!

5- انتكاس الناس، وربما ارتدادهم عن الدين الحق؛ لما يرون في تلك الوسائط والحواجز، والرموز، التي اتخذوها لأنفسهم قدوة ومثلاً أعلى ـ ونظروا إليها نظرة قدسية وعصمة ـ ما يُسيء وما يُنفّر .. إذ العصمة ليست لأحدٍ إلا لرسول الله ﷺ .. وكل من سواه؛ يُخطئ ويُصيب، ويُقال له: أخطأت وأصبت .. أحسنت وأسأت!

وهذه مآلات كم يَسعَد بها شياطين الأنس والجن .. فهم يصنعون بالمؤمنين كما تصنع الضباع والوحوش الكاسرة عندما يريدون أن يفترسوا وليداً .. تراهم أول ما يقومون به، إبعاد الوليد عن أمه وحاضنته التي تحميه .. ليسهل عليهم التهامه وافتراسه!

* * * * *

729- مُتَفَرِّقات عن القُرآن الكريم.

كلُّ مَن يُريد ـ أيّاً كانت لغته، وكانت قَضيَّتُه، وإلى قيامِ السَّاعَةِ ـ أنْ يَتكلَّمَ معَ اللهِ تعالى، وأَن يَسْأَلَهُ عن أمْرٍ أشْكَلَ عليه فَهْمُه، ووجُهُ الحقِّ فِيه .. فاللهُ تعالى قَد أجابَهُ مَسبَّقاً لِمَا يَسألُ عَنْه ـ إجابةً شَافيةً حَاسِمَةً ـ في كتابِه العَزيز؛ القُرآنِ الكَرِيم.

اللهُ تعالى يَعلمُ ما سيَسْألُ عنه عِبادُه، قَبلَ أن يَسألُوا، وقَبلَ أن يُخْلَقوا، وما هي الشُّبهات والعَقَبات التي ستَعْتَرضهم، وإلى قِيامِ السَّاعةِ .. وقد أجَابَهم اللهُ تعالى مُسَبَّقاً عن جميعِ أسْئلتِهم، فَرْدَاً فَرْدَاً، كُلٌّ بِحَسْبِ مَسألَتِه، في كتابِه العزيز؛ القُرآن الكريم.

أبوابُ اللهِ مُشْرَعَةٌ لعِبادِه، على مَدَارِ الوقت، ليلاً ونَهاراً .. لم يجعَلْ بينَهُ وبينَهم حَواجِزَ ولا وسَطَاء .. يَتَودَّدُ إليهم بندائِه الخالِد: هَل مِن ذِي حَاجَةٍ، أو مَسْألَةٍ، أو رجاءٍ، أو دُعَاءٍ، فيَدْعُوَنِي، ويَسْألُنِي، فأُجِيبه، وأُعْطِيَه، [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]البقرة:186. [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ]الحديد:4.

مِن عظَمَةِ القُرآنِ الكريمِ وإعجازِه، أنَّ مَن يَقرَأه، ويُقْبِلَ عليه بِقَلبٍ حَاضرٍ، يَشْعُرُ أنَّ اللهَ تعالى يُخاطِبُه، ويُكَلِّمُه، ويَعْنِيه بِشَخْصِه .. وهذا مِن مَعَانِي ودَلالاتِ الحَدِيث:" كِتابُ اللهِ حَبْلٌ ممدودٌ منَ السَّماءِ إلى الأرضِ ". من اللهِ إلى أهلِ الأرض!

إن كُنتَ من المؤمنين ـ سواءٌ كنتَ ذَكَراً أم أنْثَى ـ فأنتَ مَعنِيٌّ باسْمِكَ وشَخْصِكَ من خِطابِ ونِداءِ الخَالقِ سُبحانه وتعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ...]، وقد تَكَرَّرَ هذا النِّداءُ الخالِدُ في كتابِ الله تسعينَ مرَّة .. وإن لم تَكنْ من المؤمنين، وعلى أي مِلَّةٍ كُنْتَ ـ سواء كُنتَ ذَكَراً أم أنْثَى ـ فأنتَ معنِيٌّ باسمِكَ وشَخْصِك من خِطابِ ونِداءِ الخالقِ سُبحانه وتعالى:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ ...]، وقَد تكرَّرَ هذا النِّداءُ الخالِدُ في كتابِ اللهِ ثماني عشَرة مَرَّة!

مِن حِفْظِ اللهِ لدِينِه، ولِكِتَابِه، حِفْظُ اللهِ للّغَةِ العَرَبِيَّة؛ لُغَةُ كِتَابِه .. وهَذا يَعْنِي أنَّ اللغَةَ العَرَبيَّةَ ـ مَهْمَا كَادَهَا الأعْدَاءُ ـ فهي الأعْظَمُ، وهي الأبْقَى مِن بينِ جَميعِ لُغَاتِ الأَرْض.

[تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ]الفرقان:1. أي القُرآن، وسُمّي فُرقَاناً؛ لأنَّه يَفْرُقُ بين الحَقّ والبَاطِلِ، وبينَ الإيمانِ والكُفرِ، وبينَ التَّوحيدِ والشِّركِ، وبين الهُدَى والضَّلالِ، وبينَ السُّنَّةِ والبِدْعَةِ، وبين العِلْمِ والجَّهلِ .. وبينَ سبيلِ المؤمنين وسبيل المجْرِمين.

[وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً]الفرقان:30. والهَجْرُ أنْوَاعٌ: هَجْرٌ أكْبَرُ؛ يَتمثَّلُ بهجْرِ وإعْرَاضِ الكافرين والمشركين. وهَجْرٌ دُون هَجْرٍ؛ يَتَمَثَّلُ بَهَجْرِ أهْلِ القِبْلَةِ، وهؤلاء دَرَجَات؛ مِنْهم المُقِلُّ في هَجْرِه، ومِنْهُم المُكْثِرُ .. ومَن يُكثِر مِن تِلاوتِه، لكنَّه لا يَعْمَلُ به، يطالُهُ حَظٌّ وافِرٌ من مَعنَى الهَجْرِ الوَارِدِ في هذهِ الآيةِ الكريمة.

* * * * *

730- الدَّواءُ مِن غَيرِ دَاءٍ.

لا تَتَعَاطَ دَواءً مِن غَيرِ دَاءٍ، قَالَ الحَجَّاجُ لطبِيبِهِ يَتَاذُوق:" صِفْ لي شَيئاً أعمَلُ عَليه، فَإِنِّي أظُنُّ أنِّي أُفَارِقُكَ سَرِيعَاً، قال: احْفَظْ عَنِّي خِلَالاً: لَا تَشْرَبَنَّ دَوَاءً مِن غَيرِ دَاءٍ، ولا تَأْكُلَنَّ عَلى شَبَعٍ، ولَا تَأْكُلَنَّ بِشَهْوَةِ عَيْنٍ .. وإنَّ اللَّحْمَ على اللَّحْمِ يَقتُلُ السِّبَاعَ في البَرِيّةِ، فكَيفَ بَنِي آدَم عَلى الفُرُش؟! ".

وعَن الأعْمَش، عَن عبدِ المِلك بن أَبْجَر قال:" دَعْ الدَّوَاءَ ما احْتَمَل بَدَنُكَ الدَاءَ ".

وعنه، قال:" مَن لم يَكُنْ بِهِ دَاءٌ فَلا يَتَعَالَجْ؛ لأنَّ الدَّواءَ إذَا لَمْ يجِدْ دَاءً يَعمَل فِيهِ، وجَدَ الصَّحَّةَ فَعَمِلَ فِيهَا ".

وعن ابن خُذيم، وكان طَبيباً حَاذِقَاً:" امْشِ بدائِكَ ما حمَلَك؛ فإنّهُ رُبَّ دَواءٍ يُورِثُ الدَّاءَ ". أي تحمَّل الدَّاءَ واصبر عليه ـ من غير دواء ـ ما كان جَسَدُك قادراً على تحمُّلِه، والتّعامُلِ معه.

* * * * *

731- صَدَّقَهُ في الأُولَى وكَذَّبَه في الثّانِيَةِ!

قال الشَّاعِرُ المخَضْرَم لَبيدُ بنُ ربيعة، في مجلسٍ حَافلٍ بالمشركين، وكان في حِينِها لا يزالُ على الشِّرْكِ:

أَلَا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلَا اللهَ باطِلُ ..

فسمعه الصّحَابي عُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ ﷺ، فقال له: صَدَقْتَ ...!

وفي هذا المقطع من البيت، قال النبيُّ ﷺ:" أصْدَقُ كَلِمَةٍ قالَها الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ " متفق عليه.

ولَمَّا أتمَّ الشاعرُ الشَّطرَ الثاني من البيت، فقال: وكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحالَةَ زَائِلُ

وقوله " وكُلُّ نَعِيمٍ "؛ من صيغ العموم، التي لم تستثنِ نعيماً دون نعيم .. ومع ذلك الذين يتحرون عن النوايا، ويشقون عن القلوب والبُطون، يقولون: إنما أراد بقوله نعيم الدنيا وحسب .. بينما الصحابي عثمان بن مظعون ﷺ، لما سمعَ منه الشطرَ الثّاني من البيت، حاكَمَ قولَه من دون أن يَشقَّ عن قلبِه وبَطنِه، ونواياه ـ ولا سبيل له إلى ذلك ـ قال له:" كَذَبْتَ ..."!

فتعجب المشركون من قوله؛ يصدقه في الشَّطرِ الأول من البيت، ويكذبه في الشطر الثاني من البيت .. فقال عُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ:" إنَّ نَعِيمَ أَهْلِ الجَنَّةِ لا يَزُولُ "!

* * * * *

732- رسالتي إلى الدكتور بيرج.

Dr. Eric Berg

الدكتور بيرج، اسمح لي أن أكون واضحاً وصريحاً معك في كلماتي هذه .. فأنا من المتابعين لكثير من إصداراتك النافعة .. فأعجب لمن هم في ذكائك وعلمك واطلاعك كيف يغفلون عن الإسلام، وعن الإيمان بالله ورسوله مُحَمَّد ﷺ.

كثير من الأمور التي تقررها في أحاديثك، وتشير إلى اكتشاف العلم الحديث لها .. قد سبقك إليها، وإلى ذكرها النبي مُحَمَّد ﷺ قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وهو النبي الأمّي؛ الذي لا يقرأ ولا يكتب!

قد أكثرت ـ في تسجيلات عدة ـ من الحديث عن أهمية الصيام، والصيام المتقطع .. وأن الصيام كنز مليء بالفوائد الصحية .. وكأنك وقفت على اكتشاف لم تُسبق إليه، بينما النبي مُحَمَّد ﷺ قد سبقك إليه قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فقد صح عنه ﷺ أنه قال:" أحبُّ الصِّيامِ إلى اللهِ صيامُ داودَ؛ كان يصومُ يومًا ويُفطِرُ يوماً ". وفي رواية:" أفضلُ الصِّيامِ صيامُ داودَ؛ كانَ يصومُ يومًا ويُفطِرُ يوماً ". وهذا هو الصيام المتقطع!

كما أن النبي ﷺ قد حض على صيام يومين من كل أسبوع: الإثنين، والخميس، وكان ﷺ يتحرى صومهما، ويرغِّب بصومهما .. كذلك رَغَّب وحض على صيام ثلاثة أيام من كل شهر؛ وهي الأيام البيض من كل شهر عربي، " وأيَّامُ البيضِ صبيحةَ ثلاثَ عشرةَ وأربعَ عشرةَ وخمسَ عشرة " من كل شهر. إضافة إلى صيام شهر رمضان من كل سنة .. كما أن هناك بعض الأعمال، والأخطاء جعل النبي ﷺ كفارتها الصيام .. بعضها صيام ثلاثة أيام .. وبعضها كفارتها صيام شهرين متتابعين، لا انقطاع فيها .. وهذا كله ثابت عن النبي ﷺ بالنقل الصحيح.

وكان النبي ﷺ يقول:" ما مَلأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بَطنِه، بحسْبِ ابنِ آدمَ أُكُلاتٌ ـ وفي رواية: لُقَيْمَاتٌ ـ يُقِمْنَ صُلبَه، فإن كان لا محالةَ ـ وفي رواية: فإنْ غَلَبَت الآدَميَّ نَفْسُهُ ـ فثُلُثٌ لطعَامِه، وثُلُثٌ لشرابِه، وثُلُثٌ لنَفَسِه ". أليس هذا ما توصلتم إليه، وتقولون به اليوم أنتم وعلماء الصحة ...؟!

تكلمتم عن أهمية وفوائد الخل .. والنبي ﷺ يقول:" نِعمَ الإدامُ الخلُّ ".

تكلمتم عن أهمية وفوائد الحبة السوداء .. والنبي ﷺ قد سبقكم بالإشارة إلى أهميتها وفوائدها، فقال:" فِي الحَبَّةِ السَّوْداءِ شِفاءٌ مِن كُلِّ داءٍ، إلَّا السَّامَ ". أي إلا الموت. وفي رواية:" ما مِن داءٍ، إلَّا في الحَبَّةِ السَّوْداءِ منه شِفاءٌ، إلَّا السَّامَ ".

وقد فوجئت أنك تتكلم عن أهمية النظر إلى الطيور في السماء، وأن ذلك سبب يساعد على علاج وذهاب الكآبة، التي بات يشكو منها كثير من الناس .. بينما القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه مُحَمَّد ﷺ قد سبقكم بالإشارة إلى هذا الأمر؛ لا لكي تزول الكآبة وحسب، وإنما من أجل التدبر والتأمل، ولنعلم أن الله تعالى والقرآن الذي أنزله على نبيه ﷺ حق .. كما قال تعالى:[أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]النحل:79. وقال تعالى:[أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى

الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ]الملك:19. وقال تعالى:[قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]يونس:101.

وأنا هنا لا أريد إحصاء ما تقولون به أنتم علماء الطبيعة والصحة اليوم، وما قد سبقكم إلى ذكره وبيانه القرآن الكريم، والنبي مُحَمَّد ﷺ في سنته المطهرة بصورة أكمل وأجمل .. فهذا يطول .. وقد كُتب في ذلك كتب ومجلدات .. وإنما أريد أن أتوجه إليك ـ يا دكتور بيرج ـ بالسؤال: ألا يستدعي ذلك منك أن تتساءل كيف لرجل لا يقرأ ولا يكتب يعرف كل هذه الحقائق العلمية قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة .. والتي تعلنون عن اكتشافها اليوم؟!

ألا يستدعي منك أن تؤمن بأن الله تعالى حق .. وأن القرآن الكريم حق .. وأن النبي مُحَمَّد ﷺ حق؟!

تتكلم أحياناً عن نبتة أو ثمرة من الثمار .. وما تحتويه من فيتامينات وفوائد عظيمة .. فهلَّا سألت نفسك: من خلق هذه الثمرة بهذه الخصائص والفوائد العديدة .. ولماذا؟!

إني أدعوك إلى قراءة القرآن الكريم بإنصاف وتدبر .. ولن يخذلك الله إن فعلت!

إنّي أعظك ناصحاً ومشفقاً ـ يا دكتور بيرج ـ من العَناد والكِبر، وأن يكون هذا العلم الذي علمك الله إياه حجة عليك لا لك، فتموت كافراً بالله تعالى، وبرسوله مُحَمَّد ﷺ، الذي بشر به أخوه المسيح عليه السلام، وجميع الأنبياء والرسل من قبل .. فتُخَلّد في نار جهنم أبَداً، ويقع الندم، ولات حين مندم.

قال مُحَمَّد ﷺ الذي لا يقول إلا حقاً وصِدقاً:" والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كانَ مِن أصْحابِ النَّارِ ".

2021/12/22

* * * * *

733– ماذا يعني تأخير سن الزواج؟!

لا بد من الاعتراف بأنَّ شهوة الجنس شهوة ضاغطة، لا يُمكن تجاهلها، تحتاج إلى تفريغ، شأنها شأن شهوة الطعام وربما أشد .. والقول بتأخير سن الزواج إلى ما بعد الثلاثين من العمر ـ وبخاصة في زمن فشو الإباحية والتحلل، والسفور ـ يعني واحداً من أمرين:

أولهما؛ تفريغ الطاقة الجنسية عن طريق الزنى، ودور الدعارة، والعلاقات المحرّمة .. وهذا خيار لا يقره، ولا يرضاه إلا كافر .. وهو الذي يميل إليه الحداثيون الإباحيون، الليبراليون، ويدعون إليه .. وليس بعد ذنب الكفر ذنب!

ثانيهما؛ اللجوء إلى الكَبت، والاحتقان، والعادة السّريّة، والتَّشتّت الذهني .. وهذا خيار لا يقره عقل، ولا نقل، يترتب عليه كثير من الأمراض العضوية والنفسية .. لأجل ذلك ـ ولدفع المحظورين الآنفي

الذكر أعلاه ـ جاء النداء النبوي الخالد للشباب، فقال ﷺ:" يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فإنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ؛ فإنَّه له وِجَاءٌ " متفق عليه. فخاطب فئة الشباب، وليس غيرهم من الفئات العمريّة .. والشباب يبدأ من سن البلوغ إلى ما بعد العشرين بقليل.

* * * * *

734– الأردنيون أم الأردنيون والأردنيات ..؟!

الأردنيون أم الأردنيون والأردنيات ...؟!

كلاهما لو أطلقا صحيح؛ فلو أطلقت كلمة " الأردنيون "، صحيح، وتؤدي المعنى المراد، وهي في هذه الحالة تشمل الأردنيين والأردنيات معاً، ولو أطلقت عبارة " الأردنيون والأردنيات " صحيح، وتؤدي المعنى المراد، واللغة قد دلت عليهما، وجاءت بهما معاً .. لا تعارض بينهما .. ولا مشاحّة .. ولا داعي للخلاف، فضلاً أن يكون هذا الخلاف سبباً للسُّبابِ، واللَّكم، والرفْسِ بين عليّة القوم، وعلى مَلأ مِن الناس .. ولو تأملنا الخطاب في القرآن الكريم، كقوله تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ..]، [يا أَيُّهَا النَّاسُ ..]، [يَا عِبَادِيَ ..]، [وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..]؛ ونحوها من الآيات، فإنه يُراد بها الذكور والإناث معاً .. وهذا محل اتفاق علماء اللغة والشريعة معاً .. ما لم ترد قرينة في نص آخر يخصص أحدَهما دون الآخر .. وأحياناً يفرق في الخطاب بين الذكور والإناث لمزيد من التخصيص والتنصيص، كقوله تعالى:[وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ..]، [وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا]، [إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً]. [لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً]. ونحو هذا في القرآن الكريم كثير، وبالتالي لا يجوز أن يعد مثل هذا النوع من التفريق في الخطاب بين الذكور والإناث من العَبث اللغوي، أو الفضول في الكلام والتعبير ...!

2021/12/29

* * * * *

735– متفرقات إعلاميّة.

الإعْلامُ النَّاجِحُ؛ هو الذي يَتوجَّهُ نَحْوَ نَهْضَةِ الشُّعُوبِ، وأمْرَاضِهَا، وإنْصَافِ المظْلُومِ من الظَّالِمِ .. أمَّا الإعْلامُ الموظَّفُ، والذي يَبْحَثُ عن الإثارَةِ، وصَرْفِ الوجُوهِ إليه؛ فهذا مِن المرَضِ الذي يَحتاجُ إلى إعْلامٍ مُضَادٍّ يُواجِهه!

اعطوني قناةً واحِدةً من القنَواتِ الإعلامِيَّةِ المشْهورَةِ؛ تَتَكلَّمُ ـ باستقلاليَّةٍ، وموضُوعيَّةٍ، وحُريَّة ـ عن أسْبَابِ تخَلُّفِ الأُمَّةِ، وعَن عَوَامِل نَهضَتِهَا ...؟!

من قبل اتصلت بي قناة تريدني لبرنامجها " صناعة الموت "، وكانوا يظنون أنني سألبي رغبتهم من دون تردد رغبة بالظهور .. فكان جوابي لهم: أنا جاهز لبرنامج " صناعة الحياة "، أما الذين يصنعون الموت؛ التمسوهم عند الطغاة الذين يقتلون شعوبهم من أجل سلامة عروشهم ومخصصاتهم!

واليوم كثير هم الذين يتصلون بي لأحدثهم عن " داعش "، وعن السلفية الجهادية .. ولهؤلاء أقول: هذه المواضيع قُتلت بحثاً وبياناً وتوجيهاً .. ألا يوجد لديكم اهتمام ومواضيع عن أسباب تخلف الأمة، وعوامل نهضتها .. أين أنتم من مناقشة المفاهيم الحضارية التي ترقى بالشعوب والأمم؟! فلا جواب!

2022/1/13

* * * * *

736- الفَرْقُ بين " الغَايَةُ تُبرِّرُ الوسِيلَةَ " و " والضَّرُورَات تُبِيحُ المَحْظُورات ".

ما الفرق بين " الغاية تبرر الوسيلة " و" الضرورات تُبيح المحظورات "، إذ هناك من يخلط بينهما في الفهم والعمل؟!

الأولى؛ محرَّمة ومَذْمُومة، وهي تعني استحلال المحظورات، واللجوء إلى وسائل غير مشروعة، وغير أخلاقية لغير ضرورة تبررها .. ولغايات ومقاصد قد تكون أحط قدراً وقيمة من الوسائل، والمحظورات التي يراد انتهاكها .. ويكون ذلك منهجاً دائماً في التصور والعمل عند القائلين والعاملين بها!

بينما الثانية؛ " الضرورات تبيح المحظورات "؛ مشروعة، ومحمودة، وهي تعني اللجوء إلى المحظور بشروط:

منها: أن ينتج عن إهمال الضرورة ضَرَرٌ محتَّم، وحَرَج شَديد.

ومنها: أن تكونَ الضَّرورة لا تُزَال إلا بذلك المحظور؛ فإذا أُزيلت بغيرِه، لا يجوز حينئذٍ اللجوء إلى ذلك المحظور.

ومنها: أن لا يكون المحظور أعلى قدراً وقيمة من الضرورة التي يُراد إزالتها؛ فلا يجوز إزالة الأدنى بالأعلى.

ومنها: أن لا تُزالُ الضَّرورةُ بمحظور يُوازيها من حيث القَدْرِ والقِيمة.

ومنها: استخدام المحظور بالقَدْرِ الذي به تُزال الضرورة؛ إذ لا يجوز التوسع في استخدام المحظور أكثر من القدر الذي به تُزال الضرورة.

بهذه القيود والشروط، يجوز العمل بالقاعدة التي تقول " الضرورات تُبيح المحظورات ".

* * * * *

737- نِسَاءُ الأَمْسِ واليَوم.

رحم الله أمهاتنا؛ كُنَّ يغسلن الثياب، ويجلين الأواني بأيديهن، ويكنسن البيتَ بمكانس القِش، ويعددن طبيخهن الشهي على الحطب، وأحياناً على " البابور أبو نكشة " .. ثم تراهنَّ شاكرات، صابرات .. راضيات .. قريباتٍ من ربهن .. بيوتهن عامرة بالمحبة، والرحمة، والمودّة .. والمرأة اليوم غسالة الثياب تغسل بالنيابة عنها، والجلّاية تجلي الأواني بالنيابة عنها، والمكنسة الكهربائية تكنس البيت بمفردها ومن دون حراك منها، وأفران الطبيخ الكهربائية تعد الطبيخ .. والبيت لا يخلو من ثلاجة وأكثر، تحفظ الأطعمة والأشربة لأيام عديدة .. ومع ذلك فهي كثيرة الشكوى، قليلة الشكر، والصبر .. بعيدة عن ربها .. رأسها لم يُرفَع عن " الموبايل " الذي بيدها .. تتواصل مع البعيد أكثر من القريب الذي في بيتها .. تتعامل مع البيت كفندق للاستراحة التي يعقبها الانطلاق إلى الأسواق والشوارع .. وكأنها لم تُخْلَق إلا لذلك .. والمرأة بالأمس ـ على ما تتخلل حياتها من شدة ـ خير من المرأة اليوم ـ على ما تتخلل حياتها من بذخ ورخاء ـ ولا نُعَمِّم!

* * * * *

738- الفَجْرُ الصَّادِقُ.

في كل سنة من شهر رمضان المبارك، يرد السؤال ـ من أمصارٍ عِدة ـ كيف لنا أن نعرف الفجرَ الصادق، ونُحسن تمييزه عن الفجر الكاذِب، وبخاصة أن كثيراً من المساجِدِ ما إن يدخل رمضان إلا وترى القائمين عليها يُقرّبون أذانَ الفَجْرِ ساعةً، من قَبِيل الاحتياط زعموا .. وفي بعض الأمصار حتى ينصرفوا إلى النوم، حيث يبقون طيلة الليل ساهرين؛ قد أتعبهم السَّهر؟!

أقول: ليحسب كل امرئٍ ـ في أي مصر من الأمصار كان ـ ساعة وعشرين دقيقة، قبل شروق الشمس؛ فثَمَّ الفجرُ الصادق؛ الذي يُلزم الإمساكَ عن المفطرات، وبه يدخل وقت صلاة الفجر .. هذا الوقت؛ هو نفس الوقت بين غروب الشمس ودخول وقت صلاة العِشاء .. هذا ما توصلتُ إليه من خلالِ مراقبتي للفجرِ الصَّادقِ في عشراتِ الأمصار.

وفي الحديث فقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال:" كُلُوا واشرَبُوا، ولا يَهيدنَّكُمُ "؛ أي لا يزعجنّكم ولا يمنعنَّكم من الاستمرار في الأكل والشرب، " السَّاطِعُ المُصعِدُ "؛ أي البياض المرتفع في الأفق؛ فهذا فجر كاذب، " فَكُلُوا واشرَبُوا حتَّى يَعترضَ لَكُمُ الأحمَرُ "؛ وهو بياض ممزوج بحُمْرَةٍ من جهة الشرق، يملأ الأفق يُمنةً ويُسْرَةً، يتقدم ظهورُه شروقَ الشمس بساعة وثلث الساعة .. فهذا هو الفجر الصادق.

* * * * *

739- نباتات عظيمة الفائدة موجودة في كل مكان.

من نعم الله تعالى على خَلقه، أن خلق نباتات عظيمة الفائدة، كل نبتة منها من حيث المحتوى والفائدة صيدلية بكاملها .. فيها دواء لكثيرٍ من الأدواء .. وهي ـ لعموم وعظيم فائدتها ـ متاحة لكل إنسان .. أوجدها الله في أماكن عديدة لا تخضع لملكية أحدٍ حتى لا يحتكرها لنفسه، وأطماعه، ويمنع خيرها عن عباد الله .. أو يعرضها على الناس بثمن باهظ؛ يعجز عن شرائها الفقراء .. من هذه النباتات: الهندباء، والقرّيص، وشوكة الجمل، والخبّيزة، وغيرها .. [وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا]إبراهيم:34.

* * * * *

740- متفرقاتٌ حول الخِلافِ والمخَالِفين.

1- عندما يكون المخالفون لك من الزنادقة، أو هم أقرب للزندقة؛ يتسترون ببعض المصطلحات الشرعية لغرض هدم الدين، وقضم ثوابته .. من الخطأ حينئذٍ أن تتكلم عن أدب الخلاف، وعن قبول المخالف، والرأي والرأي الآخر، وأن الخلاف مع هذا الفريق من الناس لا يُفسد للود قضية!

2- كما يُؤثَر عن علمائنا الأوائل سعة صدرهم للمخالف فيما يستساغ فيه الخلاف .. كذلك يُؤثر عنهم الإنكار والتعنيف على المخالف في ثوابت وأصول الدين، ومما هو معلوم من الدين بالضرورة .. وبخاصّة إن علموا أن من أصوله قائمة على الهدم والطعن .. وكما يُظهَر أدبهم الأول، ينبغي أن يُظهَر أدبهم وتأديبهم الآخر!

3- من لا يُعرَف عنه صدق ولائه وانتمائه لسنّة النبي ﷺ .. ثم رأيتموه يتكلم عن التَّجديد .. فاتّهموه، واحذروه .. فهو لص يريد التبديد .. والتبديل .. والإحداث في الدين ما ليس منه، ولا فيه .. وفي الحديث الصحيح:" مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ " متفق عليه.

4- التجديدُ الشَّرعي الممدوح؛ يكمن في إحياءِ السُّنَن، وإماتَةِ البِدَع، وإزالة ما علق بشرع الله المنزل من خرافات، وبدع، وأهواء، وتأويلات باطلة .. وهو المراد من قوله ﷺ:" إنَّ اللَّهَ يبعثُ لِهَذِهِ الأمَّةِ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يجدِّدُ لَها دينَها "صحيح سنن أبي داود:4291. وأيما تجديد يخرج عن هذا المعنى فهو تجديد باطل ومردود.

5- من رأيتموه يقلل ـ من حيث الكم ـ ثوابت الدين، وأن الثوابت لا تعدو أن تكون بضعة مسائل .. فاتّهموه واحذروه؛ فهو لص يريد أن ما سوى هذه الثوابت من شؤون الدين غير ملزمة، وهي قابلة للنظر، والرد، والتقديم، والتأخير .. وهذا باب واسع من أبواب الزندقة يلج منه زنادقة العصر!

6- اعلم أن كل مسألة من مسائل الدين ـ سواء كانت اعتقادية أم عملية ـ قد صح فيها الدليل من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسوله ﷺ، فهي من ثوابت الدين .. والجاهل لهذه المسألة، ولدليلها .. حالة استثنائية لها حكمها الخاص .. لا تُخرج المسألة عن كونها من الثوابت.

7- اعلم أن ثوابت الدين أمر نسبي؛ فما يكون ثابتاً عند العالِم، وعند من يبلغه النص الصحيح في مسألة من المسائل .. قد لا يكون كذلك عند الجاهل، ومن لا يبلغة النص الصحيح .. وحينئذ ليس للجاهل حكم؛ فالجاهل ليس له قول ولا حجة .. وإنما الحكم والقول الملزم للعالِم الذي بلغه النص الشرعي الصحيح.

8- يستدلون بمقولة " الخلاف في الرأي لا يُفسد للود قضية "، ويتناقلونها وكأنها من الشرع المنزَّل .. والأمر ليس كذلك؛ فهذه المقولة لرجل من المتأخرين عرف بأنه أبو التنوير وأبو الليبرالية، وبتأثره بفكر مُحَمَّد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وملازمته لهما، وهو أفلاطون زمانه المصري أحمد لطفي السيد ...!

9- الموقف الصحيح من هذه المقولة " الخلاف في الرأي لا يُفسد للود قضية "، أن نقول: أحياناً يُفسد، وأحياناً لا يُفسد، بحسب نوعية الخلاف، والمخالِف، والبواعث على الخلاف ...!

10- القول بأن " الخلاف في الرأي لا يُفسد للود قضية "، على إطلاقه، ومن دون قيد .. من لوازمه إلغاء سنّة التدافع بين الحق والباطل، وبين الخير والشر .. وبين الظالم والمظلوم .. وهذا غير ممكن، وهو مردود بالنقل، والعقل، والواقع المشاهَد!

* * * * *

741- اختلافُ التنوّعِ واختلافُ التَّضَاد.

لا مشاحة ولا تنازع في اختلاف التنوّع؛ لأن جميع الأنواع والصور حق ومشروعة، قد دل عليها الشرع المنزَّل، وللمرء أن يختار صورة من تلك الصور الدالة على الفعل الواحد أو المسألة الواحدة، كما له أن يمارس الصور المشروعة كلها؛ كل صورة بمفردها، وفي وقت آخر، فلا ضير ولا مأخذ عليه .. كاستفتاح الصلاة، فللمرء أن يستفتح صلاته بـ " اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ، وَالثَّلْجِ، وَالْبَرَدِ "، وله أن يستفتح صلاته بـ " سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ "، وله أن يستفتح صلاته بـ " وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .."، وهناك أدعية وصيغ أخرى ثابتة، للمسلم أن يستفتح صلاته بما شاء منها، وله أن يستفتح في كل صلاة بدعاء مختلف، لكن لا يُسن أن يجمع بينها أو بين دعائين في صلاة واحدة .. هذا مثال أردنا منه توضح اختلاف التنوع، والأمثلة على هذا النوع من الاختلاف كثيرة.

أما اختلاف التَّضَاد، مهما تعدد؛ فالحق فيه واحد لا يتعدد، يجب البحث عنه والتماسه؛ إذا حاشا الخالق سبحانه أن يحكم على الشيء الواحد بأنه خطأ وصواب .. باطل وحق .. حلال وحرام .. يجوز ولا يجوز .. موجود وغير موجود .. فهذا مما يتنافى مع أدلة النقل والعقل.

فإن قيل: ما حكم الذين يختلفون في دين الله اختلاف تضاد، وتتعدد أقوالهم، وآراءهم في ذلك؟

أقول: إن كان المختلفون من أهل العلم والاجتهاد، ممن يتحرون ويقصدون الحق من اجتهاداتهم، ثم أنهم أخطأوا الحق والصواب .. فهؤلاء لهم أجرهم على اجتهادهم، لا على خطئهم، يحسّن بهم الظن، وتُقال عثرتهم، ويُدعى لهم بالخير، لكن يبقى الرد والحوار مع اجتهاداتهم الخاطئة مفتوحاً، والبحث عن الحق الراجح من بين أقوالهم واجباً، إلى أن يظهر الحق، وتعرف أقرب الأقوال والاجتهادات إلى الحق المنزَّل.

أما إن كان المختلفون فيما بينهم اختلاف تضاد من أهل الأهواء والبدع، والأغراض الباطلة .. فهؤلاء عليهم وزر من ثلاثة أوجه: من جهة نيتهم وقصدهم ومبعثهم على الخطأ والاختلاف، ومن جهة خطئهم ومخالفتهم للحق المنزل، ومن جهة إضلال من يتبعونهم ويقلدونهم .. فالوزر عليهم مغلظ.

فإن قيل: فما القول والحكم في العوام الذين يتبعون عالماً أو قولاً من تلك الأقوال مما يدخل في اختلاف التَّضَاد؟

أقول: في هذه الحالة على العوام واجبين سهلين، يقدر عليهما كل أحد:

أولهما: أن يتحروا عن أتقى، وأعلم أهل بلدتهم، أو من يستطيعون أن يتواصلوا معه .. فيتوجهوا له بالسؤال عما اختُلِفَ فيه من شؤون دينهم.

ثانيهما: أن يسألوه عن جوابه لهم؛ هل هو موافق للشرع المنزَّل، أو هو الأقرب للشرع المنزَّل؛ قال الله، قال رسول الله ﷺ .. فإن أجابهم بـ " نعم "، فيأخذوا بقوله وترجيحه، ولا يضرهم بعد ذلك ولو لم يُصيبوا الحق فيما اختُلِف فيه؛ لأنهم اجتهدوا وسعهم وطاقتهم، في السؤال والبحث عن الحق، وليس عليهم وراء ذلك من حرج.

وإن أجابهم بقوله: لا أدري، أو هو رأيي واجتهادي .. فحينئذٍ يتوجب عليهم أن يتوجهوا بالسؤال إلى غيره ممن يلتمسون فيه التقوى، والاستقامة، والعلم، الذي يجيبهم الجواب الموافق أو الأقرب للشرع المنَزَّل.

* * * * *

742- عَوَامِلُ تَفَكُّكِ الأُسَر.

كثر الحديث عن ظاهرة تفكك الأُسَر، وأسبابها .. ومن جهتي أرى أن مرد تفكك الأسر إلى أمرين: أولهما قبل الزواج، وثانيهما بعد الزواج.

قبل الزواج؛ تتم الغفلة عن أمرين:

1- الغفلة عن مراعاة الكفاءة بين الزوجين؛ الكفاءة من جميع الجوانب، وفي الحديث:" تخيَّروا لنطفِكم وانْكحوا الأَكْفاءَ وأنْكحوا إليْهم ".

2- الغفلة عن الجانب الأخلاقي للرجل؛ إذ من الأولياء من يهتم بدين الرجل ـ الصلاة، والصوم، واللحية ـ دون أخلاقه، فيغفل عن شرط الخُلُق الحميد، ويتهاون فيه، وفي الحديث:" إذا أتاكُم

من ترضَوْنَ دينَهُ وخلُقَهُ فزوِّجوهُ إلَّا تفعلوهُ تكنْ فِتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ ". لم يقتصر توجيه النبي ﷺ على الاهتمام بجانب الدين وحسب، وإنما أكد أيضاً على الجانب الأخلاقي عند الرجل، إذ لا بد من أن يكون مرضياً، وهو الجانب الأهم فيما يتعلق بالحياة الزوجية واستمرارها، وبناء أسرة مستقرة وآمنة من الاهتزازات والتفكك.

وهذا جانب كما ينبغي أن يُراعَى في الرجل، ينبغي أن يراعى ويشترط في المرأة أيضاً، كما في الحديث المتفق عليه:" تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأرْبَعٍ: لِمالِها، ولِحَسَبِها، وجَمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ ". وقوله " فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ "؛ أي بذات الدين والخُلُق معاً؛ فإذا أفرد الدين شمل الخُلُق، وجميع الأعمال الدينية التعبدية الظاهرة منها والباطنة التي يتقرب بها إلى الله تعالى.

أما بعد الزواج، وحصول المكتوب من أكبر عوامل تفكك الأُسَر، وفسخ العلاقات الزوجية، غياب الصبر والشكر؛ غياب الصبر؛ صبر أحد الزوجين على هفوات وزلات الآخر، وعلى ما تفرضه قساوة الحياة وشدتها على الزوجين والأسرة معاً. وغياب الشكر؛ شكر أحد الزوجين لنعمة وفضل الآخر .. وهو ما يُسمى بكفران العشير، وكفران النعمة .. فالنقص حاصل، والكمال معدوم .. والنقص لا يُجبَر إلا بالصبر، والشكر .. وحمل الأنفس على الصبر والشكر .. قال تعالى:[وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً]النساء:19. وفي الحديث:" لَا يَفْرَكْ ـ أي لا يبغض ـ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ ". وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالتحلي بالصبر والشكر؛ الصبر على ما يكره، والشكر على ما يحمد ويُحب.

* * * * *

743- التَّعاهُد على الشَّفَاعة.

نُقل لي عن أحد الشيوخ القُرَّاء، المشهور بتدريس القراءات عبر قناة اقرأ، وغيرها، أنه يحض الناس على أن يتعاهدوا فيما بينهم في الدنيا، على أن الناجي منهم يوم القيامة يشفع لغير الناجي .. ويأخذ بيد من عاهده يوم القيامة .. ويقول يا رب أنا عاهدت فلاناً وفلاناً، وفلاناً، أريد أن أخرجهم من النار؛ لأنني قد عاهدتهم .. ثم يقول عن نفسه أن هذا العهد قد أخذه من أكثر من خمسين شيخ، وعالم، ومقرئ .. وبعضهم أخذ منهم العهد على ذلك في جوف الكعبة .. مرغباً الناس أن يحذوا حذوه، ويفعلوا فعله!

وقد راجت مقولته هذه على بعض الناس، وقد رُوجِعت فيها .. وعليه، فأقول: كلام الشيخ أعلاه خطأ، يترتب عليه ثلاثة مزالق قد حذرت منها الشريعة الإسلامية.

أولها: يترتب على مثل هذا النوع من التعاهد تزكية النفس على الله؛ إذ كيف يحكم ويقرر ـ أو حتى يفترض ـ أنه هو أو صاحبه الذي يعاهده ويبايعه سيكون من الناجين يوم القيامة .. أو أن الخمسين شيخاً

الذين ذكرهم سينجون أو سيكون منهم ناجين .. وأن النجاة لا محالة ستكون من نصيبهم أو نصيب بعضهم .. أو هو الشيخ نفسه سيكون من الناجين .. فهذه تزكية جريئة للنفس على الله، والله تعالى يقول:[فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى]النجم:32.

ثانيها: أن مثل هذا التعاهد يتضمن تألّياً على الله؛ وصورته أن الناجي من المتعاهدين ـ على افتراض نجاته ـ إما أن يأذن الله له أن يَشفع، وإما أن لا يأذن له أن يشفع .. فهو بين خيارين كلاهما غيب، لا يَعلم من أي الفريقين سيكون إلا الله سبحانه وتعالى، فليس كل ناجٍ يحق له أن يشفع .. إن شاء الله أذن له، وإن شاء لا يأذن له .. فمرد الأمر كله لله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى:[قُل للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً]الزمر:44. [يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً]طه:109. [مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ]البقرة:255. وبالتالي عندما يُعطي عهداً في الدنيا إن كان من الناجين سوف يشفع لفلان وفلان من أصحابه ومعارفه، وبحدد أسماءهم .. فهو بذلك يتألّى على الله؛ كيف عرف أنه سيؤذَن له بالشفاعة ـ حتى لو كان من الناجين ـ ثم كيف عرف أنه سيؤذن له في أن يَشفع لمن يريد ممن قد عاهدهم .. مَن أعلمه وأطلعه عمَّا في نفس الله عليه، قال عيسى عليه السلام:[تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ]المائدة:116. وفي الحديث:" أنَّ رَجُلًا قالَ: واللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللَّهَ تَعالَى قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ "مسلم. ووجه الاستدلال بهذا الحديث، أن فلاناً المذنب واقعه متروك لمشيئة الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه .. وإن شاء الله هداه وتاب عليه قبل موته .. ولما المتألّي حكم عليه بحكم واحد ومحدد؛ وهو أن الله لا يغفر له .. أحبط الله عمله بسبب مقولته الآثمة هذه!

ثالثها: هو قول مُحْدَث، وعملٌ مُحدَث، ليس من دين الله في شيء، ولم يفعله أحدٌ من الصحابة ولا أحد من التابعين .. وما كان كذلك فإنه يُرَد، ولا يُلتفَتُ إليه، كما في الحديث:" مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليسَ فِيهِ، فَهو رَدٌّ "متفق عليه.

2022/4/30

* * * * *

744- المسَاجِدُ التركيَّةِ والشَّبابُ التركي.

كثير من المساجد التركية لضخامتها، وسعة وتنوع مرافقها، ورمزيتها التاريخية والمكانية، تصلح لأن تكون جامعاً، وجامعة معاً؛ يُطلب فيها العلم .. تُخرّج أجيالاً من العلماء، والدعاة، وطلبة العلم .. إلا أنها وللأسف تخلو من المحاضرات العلمية، ومن حلقات التعليم، والأنشطة العلمية والدعوية .. حتى خطبة الجمعة التي منها يستمد الناس ثقافتهم الإسلامية، ووعيهم الإسلامي .. فهي تُكتَب على ورقة تُعمّم على جميع مساجد تركيا، وخُطبائها .. لا يُسمح للخطيب أن يخرج عن موضوعها .. وهي في كثير من مواضيعها

تقليدية جداً .. منفصلة عن واقع وهموم ومشاكل الشباب التركي، والتحديات التي تواجههم؛ وبخاصة منها التحديات الثقافية والفكرية .. فالمساجد مفصولة تماماً عن الواقع، وعن مشاكل وهموم الناس، وبخاصة منهم فئة الشباب .. فهي وكأنها لم تُعَد إلا لأمرين فقط: الصلوات الخمس .. واستقبال السُّواحِ!

ولو حصلت محاضرة أو ندوة علميّة، أو أي نشاط دعوي فكري، فمكانها الفنادق، والصالات المغلقة .. والتي في كثير من الأحيان تكون بعيدة عن مرأى ومسمع الشباب .. مما جعل كثيراً من الشباب التركي في منأى عن هموم دينه وأمته .. معادٍ لتاريخه وحضارته .. يُصغي للخطاب القومي العلماني الإقصائي المتطرف .. وللثقافات، والعادات الوافدة من الغرب، والتي كثير منها تصب في معاداة الإسلام والمسلمين!

اللهم احفظ تركيا، وأهلها، وشبابها، من كل شرٍّ وسوء ...

2022/5/4

* * * * *

745- عِزُّ تُركيَّا وذِلُّهَا.

تُركيا عِزُّهَا بالإسلام، فإذا ما ابتعدَت عن الإسلام، وابتغت العِزَّةَ بغيره؛ أذَلَّها الله .. شأنها في ذلك شأن العرب .. هذا قَدَرهم لا فكاك لهم من سُلطانه، ولا هروب منه .. التاريخُ القديم والمعاصر شاهدٌ على هذه الحقيقة .. وقبل التاريخ والواقع فإن منطوق صريح القرآن والسُّنَّةِ يُؤكّد على هذه الحقيقة.

وأصحاب التوجُّه العُنصري القومي العلماني المتطرف، والحاقد .. الذين يَعملون جاهدين ـ بتوجيه وتحريض من العدو الخارجي ـ على إبعاد تركيا عن بُعدها الإسلامي ـ مصدر عزتها، وكرامتها، وقوتها ـ فإنهم بذلك يعملون على إذلال، وإضعاف، وإفقار تُركيا، وعلى بَتّهَا من أصولها وجذورِها وتاريخها المجيد .. لتصبح كشجرةٍ مَبْتُوتَةِ الجُذُور .. بلا أصل ولا مَنْبتٍ ولا تاريخ .. تتقاذَفُها الرياح، وتَسُفُّها الرِّمال .. لا هي في الغرب مقبولة، ولا هي إلى الشرق قريبة .. ولا قرار لها!

والأمَلُ بعد الله تعالى، معقود على الشعب التركي المسلم، وعلى وعيه، في إبطال مثل هذا الكيد والمكر العظيمَين، [وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]الأنفال:30. حفظ اللهُ تركيا وأهلَها من كل شَرٍّ، وذِي شَرٍّ .. اللهم آمين .. وصلى الله على سيدنا ونبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

2022/5/7

* * * * *

746- أبو هُرَيْرَة ﷺ.

قال أبو هريرة:" يقولونَ إنَّ أبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحَدِيثَ ـ واللَّهُ المَوْعِدُ! ـ ويقولونَ: ما لِلْمُهَاجِرِينَ والأنْصَارِ لا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أحَادِيثِهِ؟ وإنَّ إخْوَتِي مِنَ المُهَاجِرِينَ كانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ ـ التبايع ـ بالأسْوَاقِ ـ وإنَّ إخْوَتِي مِنَ الأنْصَارِ كانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أمْوَالِهِمْ، وكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا، ألْزَمُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى

مِلْءِ بَطْنِي، فأحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ، وأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَوْمًا: لَنْ يَبْسُطَ أحَدٌ مِنكُم ثَوْبَهُ حتَّى أقْضِيَ مَقالتي هذِه، ثُمَّ يَجْمعهُ إلى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِن مَقالتي شيئًا أبَداً فَبَسَطْتُ نَمِرَةً ليسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا، حتَّى قَضَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَقالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إلى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بالحَقِّ، ما نَسِيتُ مِن مَقالتِهِ تِلكَ إلى يَومِي هذا، واللَّهِ لَوْلَا آيَتَانِ في كِتَابِ اللَّهِ، ما حَدَّثْتُكُمْ شيئًا أبَدًا:[إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهُدَى] إلى قَوْلِهِ [الرَّحِيمُ]البقرة:159-160. البخاري.

وجاء رجلٌ إلى زيدِ بنِ ثابتٍ فسأله، فقال له زيدٌ: عليك بأبي هريرةَ، فإنّي بينما أنا وأبو هريرةَ وفلانٌ في المسجدِ ندعو اللهَ ونذكرُه إذ خرج علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم حتَّى جلس إلينا، فقال:" عودوا للَّذي كنتم فيه "، قال زيدٌ: فدعوتُ أنا وصاحبي، فجعل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم يُؤمِّنُ على دعائِنا، ودعا أبو هريرةَ، فقال: إنّي أسألُك ما سأل صاحباي، وأسألُك عِلمًا لا يُنْسَى، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم:" آمين "، فقلنا: يا رسولَ اللهِ ونحن نسألُك عِلمًا لا يُنسَى؟ فقال:" سبقكم بها الغلامُ الدَّوسيُّ ".

فقال أبو هُرَيرَةَ: إنَّه لم يكن يَشغَلُني عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم غَرْسُ الوَدِيِّ، ولا صَفْقٌ بالأسواقِ، إنّي إنَّما كُنتُ أطلُبُ من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كَلِمَةً يُعلِّمُنيها، وأُكْلَةً يُطعِمُنيها، فقال له ابنُ عُمَرَ: أنتَ يا أبا هُرَيرَةَ كُنتَ ألْزَمَنا لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأعْلَمَنا بحَديثِه.

قال الذهبي في السير: كان أبو هريرة وثيق الحفظ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث.

وقال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

وعن أبي هريرة، قال: قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إلى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إلَيْنَا، قالَ:" فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إلى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إلَيْهِمِ المُؤْمِنِينَ "؛ فَما خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بي وَلَا يَرَانِي إلَّا أَحَبَّنِي. مسلم.

فمن كانت لديه مشكلة مع الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ، ولا يجد في قلبه حبًّا وتوقيراً له، فلينظر أين موضعه من هذا الحديث العظيم.

* * * * *

747- أنت حُرٌّ مَا لَمْ تَضُر.

قد غالَت الليبراليَّةُ الغربيَّةُ في حرية الفرد، فقالت له:" أنت حُرٌّ ما لَمْ تَضُر "؛ وهذا الشعار - وللأسف - وجد صداه عند أبناء المسلمين وفي بلدانهم .. يرددونه ويلوكونه في أحاديثهم، يحسبونه صواباً وما هو بصواب .. وعند مراجعة قوانينهم المفسرة لهذا الشعار؛ نجد أنهم يعنون به: أنت حر في نفسك، وجسدك، ومالك، وعملك، وسلوكك .. أن تفعل ما تشاء .. وتقول ما تشاء .. ما لم تضر وتؤذي غيرك، ضرراً مادياً، يتسم بالعنف .. فقالوا ومارسوا - تحت هذا الشعار - منتهى الإباحية، والشذوذ الجنسي،

والأخلاقي، والفكري، والاقتصادي المالي .. وقالوا: أن تضر نفسك بالخمر، والمخدرات، والزنى، والمثلية، والميسر، والربى .. وبكل أصناف المجون، والفجور، والانحراف الأخلاقي، لك ذلك .. لا حرج عليك .. المهم أن لا يتعدى ضررك للآخر .. ثم هذه الليبرالية تضيق في مواضع، وتتسع في مواضع؛ بحسب أهواء الحكام، والمشرَّعين .. وفي مواطِن تَفرضُ نفسها بالعنف، وقوة السِّلاح .. وهذا مما لا شك فيه مخالف لتعاليم وقيم الإسلام التي تنص على أن حرية المرء ـ سواء كان ذكراً أم أنثى ـ مستمدة من شرع الله تعالى، خالق الخلق، ومالِك الملك .. لا تَضيقُ ولا تتَّسعُ أكثر من الحَدِّ الذي حَدَّه اللهُ .. فالحلال والحرام، والإباحة والحظر، والمنع .. وتحديد الضار من النافع .. مرد ذلك كله إلى الله تعالى وحده .. فالله هو الذي خلق؛ وهو الأعلم بما خلق، وبما يصلح ما خلق .. وله وحده الحكم والأمر فيما خلق، كما قال تعالى:[أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ]الأعراف:54. وقال تعالى:[إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ]يوسف:40.

ثم بقليل من التأمَّل نجد أن هذا الشعار " أنت حرٌّ ما لم تَضُر "، غير واقعي؛ وذلك أن الإنسان كائن اجتماعي؛ يتأثَّر، ويُؤَثِّر، وأيما ضرر يُنزله في نفسه، فسيتأثر ويتضرر به كل من يحيط به، ويتعامل معه .. حتى هذه المرأة التي أصبحوا يتفنَّنون في تعريتها في الأسواق، تحت عنوان وزعم، أنت حرة في جسدك، " وأنت حر ما لم تَضُر "؛ فهي تؤذي وتضر كل من يقع عينه عليها .. ثم هي تضر بنفسها بتجريء الفسَّاق عليها!

* * * * *

748- الملْحِدُ الجَحُود.

استُوقِفت على كلمةٍ لملحدٍ، يقول فيها: لو أن الله يرسل له علامة تدل على وجوده؛ فيضع في حسابه البنكي مبلغاً من المال كذا، وكذا .. عساه بعد ذلك أن يؤمن؟!

وأنا أقول لهذا الملحد الجَهُول الجَحُود، ولكل من يُفكر نحو تفكيره: تسأل هذا السؤال السخيف، وأنت تحمل كنوزاً، لو قُدِّر ثمنها بمليارات الدولارات والجنيهات لفاقت عليها .. قَدِّرْ إن شئت ثمن عينيك؛ كم ثمنهما، وبكم تبيعهما .. ثم قدِّر بقية أعضاء جسدك التي تتمتَّع بها .. بكم تبيعها .. أو تبيع العضو الواحد منها .. إن وجد لها ثمناً يوازيها؟!

هذه الأعضاء من جسده .. لو سُلِب أو تُلِف منها عضو واحد .. لكانت أمنية هذا الملحد الوحيدة .. أن يرد اللهُ له هذا العضو سالماً مُعافاً ليتمتَّع به كسائر الناس .. وتكفيه هذه علامة على وجود الله .. وتكفيه سبباً للإيمان بالله .. وكان من قبل يتنعَّم ويتمتَّع بهذا العضو، وبغيره من الأعضاء .. وهو ساه عن فضلها، وشكرها، وعن فضل وشكر من أنعم بها عليه .. صدق اللهُ العظيم:[فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]الحج:46.

* * * * *

749- البُعد الحضاري في الصراع الروسي الأوكراني!

لم تقتصر الحرب بين روسيا وأوكرانيا النصرانيتين ـ وهم ينتمون إلى الجنس الأوربي الأبيض الأشقر ـ على استهداف المدن، والمنازل، وتدميرها على ساكنيها .. ولا على استهداف النساء، والشيوخ، والأطفال وهم في حضاناتهم ومدارسهم .. بل ذهبوا في صراعهم إلى ما هو أبعد من ذلك؛ أصبح التنافس فيما بينهما: أي الفريقين أكثر اغتصاباً لنساء الفريق الآخر .. والفيديوهات الدالة على ذلك كثيرة؛ صفحات التواصل تغص بها، وللأسف .. بينما الهيئات الدولية، والأممية، والحقوقية متغاضية ومتشاغلة عن ذلك، وكأن الأمر لا يعنيها!

أين الحضارة .. والتحضر الذي يتماجدون به على غيرهم من الشعوب، والملل .. أين السلوك الحضاري الراقي مما هم فيه، ومما يفعلون، ويرتكبونه بحق أنفسهم ـ فضلاً عما يرتكبونه بحق غيرهم ـ من جرائم .. أين حديثهم عن حقوق الإنسان .. وحقوق المرأة، والذي بات في كثير من الأحيان ظاهره حق، وباطنه باطل وخبيث!

قلنا مراراً ـ وفي مواضع عدة من مقالاتنا ـ أن التحضر، لا يُعرف بجودة اللباس، والمأكل، والمسكن، وتطاول العمران، ولا بالأكل بالشوكة، والشمال .. ولا بالقوّة .. فالقوة مهما بلغت ليست قيمة حضارية بذاتها، من دون النظر في مآلاتها، ونتائجها، واستخداماتها .. فإن استخدمت في الخير، والعمران، وفي إحقاق الحق، وإبطال الباطل .. كانت قيمة حضارية، ودالة على تحضر أصحابها، وإن استخدمت في الشر، والظلم، وفي الهدم والدمار، وفي إبطال الحق، وإحقاق الباطل .. كانت قيمة متخلفة غير حضارية، ودالة على تخلف وهمجية أصحابها!

* * * * *

750- العلاقات الزَّوجيَّة.

إذا وُجِدَت المحبةُ والمودة بين الزوجين؛ حينئذٍ خطأ الزوج مُحتمَل ومُبرَّر، وخطأ الزوجة محتمل ومُبرر .. لا يَقبل أحدُهما الطعنَ والتجريح بالآخر .. بل وجدنا من النساء من تعيش مع زوجها على الكفر، بسبب حبها له، وتعلقها به! .. وفي المقابل إذا انعدمت المحبة، وحل مكانها البغض والكراهية والتنافر .. حينئذٍ حسنة الزوج تَظهر وتُفَسَّر كسيئة، وحسنة الزوجة تَظهر، وتُفَسَّر كسيئة .. لا يحتمل أحدُهما الآخر، ولا يُطيقان .. ولأتفه الأسبابِ وأصغَرِها تُثَار المشاكل .. ولسَعى كل طرف منهما بالخلاص من الطرف الآخر بشتى السبل .. والمشكلة الأكبر ـ التي تستدعي مزيداً من المشاكل والتدخلات ـ تكمن حينما يكون هذا البغض والكره والنفور من طرف واحد دون الطرف الآخر!

أحياناً تزدحم وتتصادم الرغبة في الحفاظ على مصالح ومكاسب استمرار الحياة الزوجية، والبغض والكراهية للعلاقة الزوجية، والنفور منها .. والبقاء يكون للأقوى منهما .. وغالباً ما ترجح كفة البغض والكراهية، وانتفاء المحبة على كفة المصلحة .. فتنتهي العلاقة بالفراق، والتفريق!

والمهمَّةُ الأساس التي يجب أن تَتنبَّه لها الجهات التربوية والمسؤولة .. كيف تُعزِّز الوعي والأسباب التي تزيد من محبة الأزواج .. وتَزيد من المودَّة والرحمة فيما بين الزوجين .. وكيف تُزيل من حياة الزوجين أسباب التباغض والتنافر، وإثارة الكراهية .. لا أن توجه سهام الطعن والحقد ـ كما تفعل الحركة النسوية الحاقدة والمترجّلة ـ إلى المعاني الشرعية الفاضلة، التي بها تعمر البيوت بالمحبة، والمودة، والأمن، والاستقرار .. وبها تستمر!

* * * * *

751- ضَحَايَا النَّرْجَسِي!

كثير من الأمراض العضوية والمعنوية الطَّبَعِيَّةِ تنتقل عن طريق العَدْوى، والخلطة، والاحتكاك .. ومن هذه الأمْراض ما يكون عِلاجُها من جِنس دائها؛ كالأمراض النَّاجمة عن الفيروسات، ونحوها، فيكون علاجها ومواجهتها أن تتَعاطى الفيروس ذاته .. من ذلك " النَّرْجَسِي "؛ المصاب بمرض النرجسة .. فإن أكثر الناس عُرضة للإصابة بمرضه، وانتقال العَدْوى إليهم، مَن يحتكُّون به، ويعيشون معه لفترة طويلة .. وضحاياه هؤلاء ـ إلا من رحم الله ـ تحت زعم ودعوى مواجهة ضَررِ وخطرِ النرجسي من جنس دائه، وسلوكه، وأخلاقِه .. يتخَلَّقون بنفس أخلاقِ النَّرجسي، ويمارسون نفس سلوكياته .. ولو اقتصرت ردة فعلهم هذه على معاملة النَّرْجسي بالمثل .. ومعالجته من جنسِ دائِه .. لما كان في الأمر مشكلة أو محظوراً .. إلا أنه مع غياب التوجيه الصحيح .. ومن قبيل ردة الفعل .. وهيمنة الرغبة عند الضحية في الانتصاف والانتقام للنفس .. يتوسَّع الخَرق .. وتتحول الضحية ذاتها إلى نرجسي، يُصاب بشظاياه جميع من يتعامل ويتواصل معه .. فتتضخم عند الضحيَّة الأنانية والحرص، " والأنا أولاً وآخراً "، تحت زعم حب النفس، وإنصاف النفس، والانتقام لها ممن ظلمها .. كما تتضخم عند الضَّحيّة صفة التَّبلُّد في المشاعر .. وتجاهل مشاعر ومصالح الآخرين .. والدوس عليها، وعدم الاكتراث بها .. وقَسَاوة في القلب تجاه آلام الآخرين ـ وهذه من أبرز صفات النَّرْجَسي ـ ويتعامل مع محيطه، وجميع من يحتك به من خلال هذه المنطلقات والأخلاقيات النرجسية الخطيرة .. فيتحول ـ وهو لا يشعر ـ إلى أستاذ في النَّرْجَسَةِ، وإن لم يَتَدَارَك على نفسِه، قد يسبق من نقل له العَدوى في النَّرجسةِ والمرض وهو يحسب أنه يُحسن صُنعاً ...!

ولمن يَتصَدَّر مواجهة هذا المرض .. ومعالجة ضَحَاياه .. لا بد من أن يَتنبَّهوا لهذا المعنى وهم يُوجِّهُون ويَنصحون ضحاياه .. حتى لا تتحول الضحايا ذاتها إلى مَرْضَى، يُخشَى جانبها!

أسوأ وأخطَر ما في النَّرْجَسِي؛ أنَّه يقتل معَاني الخيرِ في نفوسِ ضَحَايَاه .. لا تَسمحوا له بذلك!

* * * * *

752- الحُمَّى.

" جاءَتِ الحُمَّى "؛ بأمرٍ من خالِقها،" إلى النَّبيّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم "، وللحمَّى صور عدة؛ تشترك جميعها في إصابة المصاب بها، بصداع في الرأس، وارتفاع في درجات الحرارة، والتَّعَرُّق، وارتخاء في أعضاء الجسد، وأحياناً ضيقاً في التنفس، " وكورونا " لا يخرج عن هذا التوصيف، وعن كونه نوعاً من أنواع الحُمَّى، فقالَتِ ـ أي الحُمَّى لرسولِ الله ﷺ ـ:" ابعَثْني إلى آثَرِ أهلِكَ عندَكَ " أي إلى أحبهم إليك، وأفضلهم عندك، تؤثرهم بي على غيرهم؛ لأنها منحة من السماء تطهر أهل الأرض من خطاياهم؛ فالحمى طهور للمؤمن، ورفع لدرجاته ومقاماته يوم القيامة .. " فبعَثها إلى الأنصارِ "؛ فأمرها النبي ﷺ أن تذهب إلى بيوت الأنصار، فالأنصار أحباب النبي ﷺ وبطانته وخاصته المقربين، قال النبي ﷺ:" الأنصار كَرِشي وعَيْبَتِي "؛ أي هم بطانتي وخاصَّتي، وقال عنهم: أنتم الشِّعَار ـ الخاصة، والألصق، والأقرب ـ والناس الدِّثار ـ وهو ما يلبس فوق الشِّعَار ـ آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار .. اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار، ولنساء الأنصار "، " فبقِيَتْ "؛ الحُمَّى، " عليهم ستَّةَ أيَّامٍ ولياليَهنَّ، فاشتَدَّ ذلكَ عليهم، فأتاهم ـ النبي ﷺ ـ في ديارِهم، فشكَوْا ذلكَ إليه "؛ فشكوا إليه شدة ما أصابهم من الحُمَّى، " فجعَل النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم يدخُلُ دَارًا دارًا وبيتًا بيتًا "؛ من بيوت الأنصار، " يدعو له بالعافيةِ "، وأيما بيت دخله النبي ﷺ، ودعا لأهله بالعافية، كانت الحمى تغادره مباشرة، " فلمَّا رجَع "؛ وظن أنه قد طاف على جميع بيوت الأنصار لم يفته من بيوتهم بيتاً إلى ودعا له بالعافية، " تبِعَتْه امرأةٌ منهم "؛ أي من الأنصار .. تسعى وتجري خلف النبي ﷺ بلهفةٍ؛ لتدركه قبل فوات الأوان، وقبل أن يفوتها بركة دعاء النبي ﷺ، " فقالَتْ: والَّذي بعَثكَ بالحقِّ، إنِّي لَمِن الأنصارِ "؛ من ذكاء وفطنة هذه المرأة أنها لم تبتدئ النبيَّ ﷺ بحاجتها، وإنما ابتدأته بقولها " إنِّي لَمِن الأنصارِ "؛ لعلمها أن كلمة " الأنصار "؛ تعمل عملها الفعَّال في قلب الحبيب ﷺ .. ثم هذا لا يكفي، " وإنَّ أبي لَمِن الأنصارِ"؛ فأبي أيضاً من الأنصار .. ثم هي لم تكتفي بهذه الإشارة الجاذبة المشرقة، فزادت، " فادْعُ اللهَ لي كما دعَوْتَ للأنصارِ "؛ فكررت كلمة الأنصار على مسامع النبي ﷺ ثلاثاً: الأنصار، الأنصار، الأنصار .. فكان وقعها على قلب الحبيب ﷺ شديداً وعجيباً، قال ﷺ:" ما شِئْتِ "؛ لا عليك .. لا تحزني .. لا تخافي .. كما تشائين .. لن يكون إلا ما تحبين وتريدين .. ثم خيرها النبي ﷺ بين خيارين ما أعظمهما من خيارين، تعويضاً لها لما أصابها من روع وخوف أن تفوتها بركة دعاء النبي ﷺ، فقال لها:" إن شِئْتِ دعَوْتُ اللهَ أن يُعافِيَكِ "، وهو الخيار الأول، " وإن شِئْتِ صبَرْتِ ولكِ الجنَّةُ "، الله أكبر، ما أعظمه من خيار وعطاء، قالَتْ:" بل أصبِرُ ولا أجعَلُ الجنَّةَ خطَراً "؛ بل أصبر على المرض وأضمن الجنة .. ولا أخاطر بها .. فكانت امرأة من أهل الجنة تمشي في أسواق المدينة!

* * * * *

753- فيمن يمرُّ على مَظلومٍ فلَمْ يَنْصُرْهُ!

عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، قال:" أُمِرَ بعبدٍ من عِبادِ اللهِ أنْ يُضْرَبَ في قبرِهِ مِائةَ جَلْدَةٍ، فلمْ يَزَلْ يَسْأَلُ ويَدْعُو حتى صارَتْ جَلْدَةً واحدةً، فَامْتَلأَ قَبْرُهُ عليهِ نارًا، فلمَّا ارْتَفَعَ عنهُ وأفاقَ، قال: على ما جَلَدْتُمُونِي؟ قالوا: إنَّكَ صَلَّيْتَ صَلاةً بغيرِ طُهورٍ، ومَرَرْتَ على مَظْلومٍ فلمْ تَنْصُرْهُ "السلسلة الصحيحة:2774.

قلت: هذا فِيمن مرَّ على مظلوم واحدٍ فلم يَنصرْهُ .. فكيف بمن يمر على قضية شعب مظلوم فلم ينصره .. كيف بمن يمرُّ على مجازر وجرائم النظام الأسدي المجرم بحق الشعب السوري المظلوم ثم هو يخذلهم ولا ينصرهم، ولو بكلمة واحدة .. كيف بمن يمد يد التعاون والتفاهم والتحالفات مع الطاغية الجلاد، ويكون ذلك سبباً وشرطاً لخذلان الشعوب المظلومة والمنكوبة .. كيف بمن يُؤثر مصلحته الشخصية والحزبية على مصلحة الشعوب المظلومة .. كيف سيكون جزاؤه، وعقابه؟!

اللهم انصر من نصر عبادك المظلومين، واخذل من خذَلَهم!

2022/7/23

* * * * *

754- الطَّقْسُ، والجَفاف.

إن أرسلَتِ السماءُ ماءَها .. رَدُّوا الأمر لعوامل الطقس، وقالوا: مُطِرنا بسبب كَذَا وكذا .. وتكلموا عن سوء الطقس، والأحوال الجويَّة .. وإن أمسَكَت السماء ماءها .. وأصيبت الأرض بالجفاف .. فجفت الأنهار .. وتحولت الحدائق الخضراء إلى هشيم يابس أصفر تَذْرُوه الرياح .. ردوا الأمر لعوامل الطقس، وسوء الأحوال الجويَّة، وقالوا: أُصِبنا بالجفاف بسبب عوامل الطقس والمناخ .. القارة الأوربية تواجه غضب المناخ؛ يأنفون أن يردوا الأمر إلى الله .. ويردونه إلى إلههم المناخ .. وتمنوا من المناخ أن يرسل السماء عليهم مِدْرَاراً ..؟!

ونحن نسألهم: من الذي خلق هذه العوامل والأسباب، ومَن الذي قَدَّرَها؛ فأذِن للسماء أن ترسل ماءها في مكان دون مكان، وزمان دون زمان .. من الذي أمسك المطر عن بعض الدول الأوربية لأكثر من شهر، بخلاف المعتاد .. ولا يزال .. مع ارتفاع شديد في درجات الحرارة .. حتى باتت تلك الدول تشكو وتعاني من الجفاف، وقِلّ في المياه ..؟ إنه الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض .. مالِك المُلْك؛ الذي له ما في السماوات وما في الأرض .. كما قال تعالى:[للهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ]البقرة:284. ما من قطرة ماء تنزل من السماء إلا وتنزل بعلم الله وبإذنه .. يعلم مستقرها، ومستودعها، ومكان هبوطها:[وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ

فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ]الأنعام:59. [وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ]الشورى:28. فهو الذي ينزِّل الغيث على من يشاء، متى شاء، والوقت الذي يشاء، وهو الذي يمسكه عمن يشاء، متى شاء، والوقت الذي يشاء.

والواجب في هذه الحالة أن ينظروا أين هم من الله؛ أين هم مما يرضيه، ومما يسخطه .. فيستغفروا الله، ويتوبوا إليه، عسى الله تعالى أن يرسل السماء عليهم مِدْرَاراً، قال تعالى:[وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ]هود:52. وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" ولا مَنع قومٌ الزكاةَ؛ إلا حُبِسَ عنهم القَطْرُ ". فكيف إذا أُضِيف إلى منع الزكاة .. ظلم المستضعفين من العباد .. والفسوق .. وفشو المثليَّةِ، والتقنين لها؟!

2022/8/14

* * * * *

755– أدُونِيس أم أتُوبِيس؟!

سُئلتُ عن رجلٍ استطال شره وأذاه .. اسمه المستعار " أدُونِيس " ....؟!

أقول: هذا الرجل شيطان مثقف .. ملحد وزنديق .. كثير التقلب والتلون .. نصيري باطني .. اسمه " علي أحمد "؛ ينتمي للطائفة النصيرية الباطنية المارقة في سورية .. شديد الحقد والكذب على العرب، والإسلام، والمسلمين .. رغم سعة اطلاعه وعلاقاته .. وعشرات السنين التي قضاها خارج سوريا .. إلا أنه لم يستطع أن يتحرر من طائفيته .. وحقده الطائفي النصيري الدفين على الإسلام والمسلمين .. فوجد في العلمانية غطاء لبث سمومه، وللطعن والتشكيك بالإسلام .. همه الأول والأساس هدم الدين، والطعن به، وتشكيك المسلمين بدينهم الإسلام، من خلال طرح الشبهات والتساؤلات الشيطانية التي قد تشكل على العوام، ومن ليس لديه إلمام بثقافة وعقيدة الإسلام .. وهو تكفيه هذه الشريحة من الناس .. لأنه لا يريد غيرها، وأكاذيبه لا يمكن أن تروج على غيرها .. أعماله وكلماته كلها تصب في هذا الاتجاه، لا غير!

الدول والمؤسسات الغربية والصليبية وجدت فيه ضالتها وبغيتها .. بل لم يجدوا لأهدافهم وأغراضهم في محاربة الإسلام، وتشويه صورته، من هو أفضل منه .. فكافأوه وأغدقوا عليه العطايا والجوائز الكثيرة .. وأظهروه على أنه مُفكر زمانه الذي لا يُدانيه مفكر ...!

وهم لهم فيه، وفي عطاياهم له، غرضان: أولهما تشكيك العوام من المسلمين بدينهم ...!

ثانيهما، وهو الجانب الأهم: صد شعوبهم الغربية التي تدخل في دين الله أفواجاً .. ويرون في الإسلام خلاصاً من مشاكلهم، والتيه الذي هم فيه .. فهم يقولون لشعوبهم: انظرو؛ هذا رجل مسلم وعربي، وسوري .. ومفكر كبير! .. وانظروا ماذا يقول عن الإسلام، والعرب والمسلمين؛ فلم يدع نقيصة

وشتيمة إلا وألصقها فيهم .. فكيف تدخلون في دين، هذه شهادة أهله فيه، وفي أتباعه .. من أعلم بالإسلام وأهله أنتم أم هو .. وهو المفكر الكبير والعظيم؟!

وهو بذلك ليس " أدونيس "، وإنما " أتُوبِيس "؛ يمتطيه الأعداء لمآربهم، وأهدافهم .. وهو لهم شاكراً، وفي غاية الرِّضَا والسرور!

2022/9/11

* * * * *

756- انقراض الرجال!

كثُرَت التقارير الأممية والعلمية، ومن مصادر عديدة ومسؤولة التي تتكلم عن نقصان حاد في عدد الرجال، وعن اليوم الذي قد ينقرضون فيه .. لأسباب عديدة لا مجال لذكرها هنا .. لكن كلها تُجمع على أن السبب من عند الإنسان، وبما كسبت يداه .. وقد أخبرَ النبيُّ الصَّادِقُ المصْدُوقُ الذي لا ينطق عن الهوى صلوات ربي وسلامه عليه، عن هذه الحقيقة، وهذه النتيجة المرّة .. فقال ﷺ:" مِن أشْراطِ السَّاعَةِ: أنْ يَقِلَّ العِلْمُ، ويَظْهَرَ الجَهْلُ، ويَظْهَرَ الزِّنا، وتَكْثُرَ النِّساءُ، ويَقِلَّ الرِّجالُ؛ حتَّى يَكونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الواحِدُ "البخاري. وفي رواية:" ويُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ به؛ مِن قِلَّةِ الرِّجَالِ وكَثْرَةِ النِّسَاءِ "متفق عليه. وفي رواية عند أحمد، وغيره:" وحتى إنَّ المرأةَ لَتَمُرُّ بالنَّعلِ فتَنظُرُ إليها، فتقولُ: لقد كان لهذه مَرَّةً رجُلٌ ". فلتهنأ ولتفرح الحركات النسوية بأنانيتها .. وكيدها .. وبنسوانها!

2022/12/7

* * * * *

757- علامات المصابة بمرض وشذوذ الفكر النَّسوي.

علامات المصابة بمرض وشذوذ الفكر النَّسوي:

1- كرهها للرجال .. والنظر إليهم على أنهم وراء، وسبب كل شر!

2- رفضها، واستهجانها لمبدأ قوامة الرجل على المرأة .. وأحسنهنّ تقبل من قوامة الرجل النفقة وحسب.

3- استحسانها للدعوة التي تقول بمساواة المرأة للرجل من كل وجه، وفي كل شيء!

4- رفضها واستهجانها للأحاديث النبوية الصحيحة التي تبين ما للرجل من حق على المرأة .. وأن هذه الأحاديث مدعاة، وسبب للتنَمُّر!

5- رفضها واستهجانها لمرجعية السنة النبوية، ومرجعية الصحابة ﷺ، والتأكيد على أنها قرآنيّة، وتأخذ ما في القرآن وحسب؛ لأن في مرجعيّة السنة النبوية، ومرجعية الصحابة ﷺ تفاصيل تقيد من حريتها، ومن فهمها للدين والحياة.

6- رفضها واستهجانها لعلم أصول الفقه؛ لتتاح لها الفرصة أن تفهم الدين، وتفسر نصوصه كما تهوى، وتشاء .. وبما يحقق لها حريتها، والتحرر من حقوق الرجل، ومن تنمُّره .. من غير ضوابط، ولا كوابحٍ، ولا لواجِم.

7- استهجانها لفكرة الزَّواج المبكِّر للمرأةِ .. لتَبقى المرأة ـ أكبر فترة ممكنة ـ عرضةً للابتزازِ، والاستثمارِ، والاستغلال!

8- سعيها للعمل خارج المنزل؛ لا لحاجة .. ولا لكي تكون عوناً لزوجها أو أسرتها على تكاليف ومصاريف الحياة .. وإنما لكي تستقل عن الرجل مادياً .. فتلبس ما تشاء .. وتخرج، وتدخل .. وتسافر كيفما تشاء .. ومن دون حاجتها للرجل.

فمن كانت فيها خصلة من تلك الخصال؛ فيها خصلة من خصال الفكر النَّسوي .. ومن اجتمعت فيها جميع الخصال الآنفة الذكر أعلاه؛ فقد اجتمع فيها شر ومرض الفكر النسوي كله .. وعليها أن تعالِج نفسها، وتَلتمس من يساعدها على العلاج .. وتسأل اللهَ الهدايةَ والتوفيق.

2023/1/1

* * * * *

758- عِبْرَةٌ لم أرْوِهَا مِن قبل.

عِبْرَةٌ لم أرْوِهَا مِن قبل .. وجدت نفسي مشدوداً لتسجيلها .. عسى أن يكون فيها عِبرة لمن يريد أن يعتبر .. في إحدى الدول الأوربيّة استُدعِيت من جهة أمنيَّة مسؤولة .. قبل التدخل العسكري الروسي في سوريا .. وكانت الفكرة الأساس التي استُدعيت لأجلها: هل يمكن أن نصالح النظام الأسدي، ونعود إلى أحضانه من جديد ..؟! فكان الجواب: أن هذا مستحيل .. وغير ممكن .. فقالوا: إذاً روسيا ستحرقكم حرقاً ..! فكان الجواب: أننا نؤثر الموت صَبراً وحَرقاً، ولن نصالح هذا النظام المجرم .. ولم أكن أحمل كلامهم على محمل الجِّد .. وظننت أن كلامهم للتخويف والترهيب، والاستدراج .. لكن ما إن تمضي أسابيع على هذا اللقاء .. وهذه الكلمات منهم .. إلا وبدأت روسيا بوتين بقصف المناطق السورية المحررة بالطيران، والصواريخ .. وحرق الناس .. وتدمير بيوتهم وخيامهم .. كما ذكروا لي تماماً!!

قلت: إذاً كانوا .. وجميع دول الغرب .. على علم مسبق بما سيقوم به بوتين من جرائم وتقتيل وتحريق للسوريين .. وأنه ما قدم على فعلته النكراء، وارتكاب جرائمه بحق سوريا أرضاً وشعباً إلا بعد أن حصل على الموافقة، والضوء الأخضر من دول الغرب، والمجتمع الدولي ...!!

ثم تمضي السنوات ليقوم المجرم بوتين نفسه بحرق دول الغرب ـ ومعهم أمريكا ـ على أرض أوكرانيا .. وتدمير مخزونهم المالي والاقتصادي .. إضافة للدمار الهائل الذي أصاب أوكرانيا وأهلها .. ولا يزال .. والذي

تقدر تكاليفه بآلاف المليارات من الدولارات .. غير الضحايا والمهجَّرين، وعددهم بالملايين .. ولا ندري كيف ستنتهي الحرب هناك .. وإلى أين يأخذهم بوتين المجرم في محارقه!

تواطؤوا مع القاتل المجرم على الشعب السوري، وثورته، وسكتوا على جرائمه .. وشَحَّوا على أطفال ونساء سوريا ـ ضحايا المجرم بوتين ـ بالقليل مما ينفقونه في أوكرانيا .. فانقلب هذا التواطؤ عليهم .. وعلى بلدانهم وشعوبهم .. وعلى اقتصادهم .. وعلى المجرم بوتين ذاته .. ولا يلوموا إلا أنفسهم .. فالجزاء غالباً يكون من جنس العمل!

2023/1/9

* * * * *

759- سوريَّا الشَّام.

لا أعرف بلداً الانتساب لها شرف، ورِفعة، ودِين .. يُمتدَح الانتسابُ إليها .. كبلادِ الشامِ؛ وسوريا قلبها، ودمشق قلب القلب .. يكفيها مجداً أن النبي ﷺ خصَّها بعشرات الأحاديث يمتدحها، وأهلها، ويمتدح الهجرة إليها، والسكنَةَ فيها .. يكفيها مجداً ورِفعة أن الطائفة المنصورة الظاهرة بالحقِّ، لا تخلو منها الشام .. وأن مهبط عيسى عليه السلام سيكون في الشام، وفي دمشق تحديداً .. وكان الصحابة ـ تشريفاً للشام ـ يسمونها الديار المقدسة .. وكانوا يتنادون فيما بينهم؛ هلمَّ إلى الديار المقدسة .. وحب الشام، والتعاطي معها من هذا البعد والمنظور دِينٌ وإيمان.

لمَّا خصَّ النبيُّ ﷺ الشامَ، وأهلَ الشامِ بطائفةٍ عظيمة من الأحاديث النبوية الشريفة .. كان الروم النصارى لا يَزالون في الشام .. وبالتالي وجود كافر شريرٍ في الشام، يؤذي ويحارب أهل الشام .. هو غيمة سوداء سرعان، ما تَأْفُلُ وتَغيب .. لا يؤثر وجودُه على قيمة وقدر وشرف وأهمية الشام.

لما خصَّ النبي ﷺ الشام، وأهل الشام بطائفة عظيمة من الأحاديث .. أراد مستقبل الشام، والامتداد التاريخي للشام، وإلى قيام الساعة .. والدور الريادي والقيادي للشام .. وما ستشهده الشام من وقائع، وأحداث جليلة عظيمة ...!

مخطئ من يحكم على الشام، وأهل الشام، ومستقبل الشام، من خلال السنوات الأخيرة من حياة الشام، وأهل الشام؛ التي حكم فيها طواغيت، ومجرمي آل الأسد ...!

2023/1/12

* * * * *

760- مشكلة الغرب مع القرآن الكريم.

يعلم قادة الغرب أن عدوهم الأول هو القرآن الكريم .. ولو لم يكن للقرآن الكريم نصير يحمله ويدعو إليه، هو بنفسه قوة عُليَا وقاهرة تعلو ولا يُعلَى عليها .. يُبهر عقولَ كل من يقف على آياته أو بعض

آياته .. وهو السبب الأكبر، ولربما الوحيد في دخول غير المسلمين في دين الله أفواجاً .. والسر في ذلك معروف؛ وهو أنه كلام الله .. وأنه محفوظ بحفظ الله له .. لا يأتيه الباطلُ من بين يَدَيْه ولا مِن خَلْفِه .. وأنَّ لمخلوق ـ مهما أوتي من أسباب القوة ـ أن يقوى على مواجهة كلام الله بالحجة والمنطق .. وهذا الذي يغيظهم!!

ولمَّا عجزوا عن مواجهة قوة وبراهين القرآن الكريم بالحُجَّة والمنطق .. تراهم يلجأون إلى أساليب متخلّفة تعبر عن حقدهم، وعجزهم، وعنصريتهم المقيتة .. فيقومون بحرق نسخة من القرآن الكريم .. كما حصل مؤخراً في دولة السويد وبموافقة وترخيص من حكومتها ـ والتي لا تضر القرآن ولا بمكانته شيئاً، والتي لا تزيده إلا انتشاراً بين شعوبهم وأبنائهم ـ تحت عنوان وزعم حرية التعبير .. كذبوا!!

يستعجلون عقاب الله .. ويتساءلون عن عقاب الله لهم .. ونسوا أنهم كانوا بالأمس يتباكون الجفاف، وآثاره المدمرة عليهم، وعلى اقتصادهم .. وكوارث فيروس كورونا لم تنته بعد .. واليوم يعانون من ويلات حرب أوكرانيا، ولا يعرفون إلى أين ستأخذهم .. ولا يعلم جنود ربك إلا هو .. صدق الله العظيم:[وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ]المؤمنون:76.

2023/1/22

* * * * *

761– آفة اللسان.

قال ﷺ:" وهل يَكُبُّ النَّاسَ على مناخِرِهم في النَّارِ إلَّا حَصائدُ ألسنَتِهِم، إنَّكَ لَن تزالَ سالِماً ما سكَتَّ فإذا تكلَّمتَ كُتِبَ لكَ أو عليكَ ".

وقال ﷺ:" مَن كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ، فليقُلْ خَيراً أو ليَسْكُتْ "متفق عليه.

وقال ﷺ:" مَن صَمَتَ نَجَا ".

كان الفضيل بن عياض يقول:" شَيْئَانِ يُقَسِّيَانِ القَلْبَ: كَثْرَةُ الكَلَامِ، وَكَثْرَةُ الأَكْلِ ".

قال أبو حاتم ابنُ حِبَّان:" أطوَلُ الناسِ شَقاءً وأعظَمُهم بلاءً مَن ابتُلِيَ بلسَانٍ مُطْلَقٍ وفُؤادٍ مُطْبَقٍ .. الواجِبُ على العاقِلِ أن يُنصِفَ أذُنَيْهِ مِن فِيهِ، ويَعلمَ إنَّما جُعِلَتْ له أذُنَانِ وفَمٌ واحِدٌ؛ ليسمَعَ أكثَرَ مِمَّا يَقولُ .. والكلمةُ إذا تكلَّمَ بها المرءُ ملكَتْهُ، وإذا لم يتكلَّمْ بها ملَكَهَا .. ورُبَّ كَلِمَةٍ سَلبَتْ نِعْمَةً .. اللِّسَانُ سَبُعٌ عَقُورٌ، إنْ ضَبَطَهُ صاحِبُه سَلِمَ، وإن خَلَّى عنهُ عَقَرَ .. ومَن أحبَّ السَّلامَةَ من الآثامِ فليَقُلْ مَا يَقْبَلُ مِنه، وليُقِلَّ مِمَّا يُقبَلُ مِنه؛ لأنه لا يجتَرِئُ على الكَلامِ الكَثيرِ إلا مَائِقٌ ". أي أحمقٌ هالك.

وعن الأحنَف بنِ قَيسٍ، قال: قال عمر بن الخطاب:" يا أحنَفُ، مَن كَثُرَ كلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، ومَن كثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حيَاؤُه، ومَن قَلَّ حيَاؤُه قَلَّ ورَعُهُ، ومَن قَلَّ ورَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ".

وكان سفيان الثوري يقول:" أوَّلُ العِبادَةِ الصَّمْتُ "!

وعن كعب بن مالك، قال:" العَافِيَةُ عَشْرَةُ أجزاءٍ: تِسعَةٌ مِنْهَا في السُّكُوتِ ".

وكان الأوزاعي يقول:" ما بُلِيَ أحَدٌ في دِينِه ببَلاءٍ أضَرَّ عليه مِن طَلاقَةِ لِسَانِه ".

وكان ابن مسعود يقسم ويقول:" واللهِ الذي لا إلهَ غَيرُه، مَا شَيءٌ أحَقَّ بطُولِ سَجْنٍ مِن لِسَانٍ ".

وكان لقمان الحكيم يقول:" إن مِن الحِكَمِ الصَّمتَ، وقَلِيلٌ فاعِلُه ".

وقد أحسَن القائِلُ:

ولَئِن نَدِمْتُ على سُكُوتِي مَرَّةً ... فلَقَد نَدِمْتُ على الكَلامِ مِرَارَا

إنَّ السُّكُوتَ سَلَامةٌ ولرُبَّما ... زَرَعَ الكَلَامُ عَدَاوَةً وضِرَارَا

وقال غيره:

أنتَ مِن الصَّمْتِ آمِنُ الزَّلَلِ ... ومِن كَثيرِ الكَلامِ في وجَلِ

لا تَقُل القولَ ثمَّ تُتْبِعُهُ ... يا ليْتَ ما كُنْتُ قُلْتُ لم أقُلِ

* * * * *

762- الطَّاقَةُ السَّلبيَّةُ، والطَّاقَةُ الإيجابيَّةُ

من المفاهيم والإطلاقات التي جاء بها الإسلام، وأقرها العقل: الحق، والباطل .. الحلال، والحرام .. الخير، والشر .. الكفر، والإيمان .. كافر، ومؤمن .. شرك، ومشرك .. نفاق، ومنافق .. فاسق، وفسق .. ظالم، وظلم .. سُوء الخُلق، وسيء الأخلاق .. حُسْنُ الخُلُق، وحَسَنُ الأخْلَاق .. البلاء بنوعيه: الخير، والشر .. الحب، والبغض .. الكآبة، والقلق، والهم، وضيق الصدر، والحزن .. وغيرها من المفاهيم والإطلاقات الواردة في الكتاب والسنة، وفي لغة العرب، ولغات الناس .. والتي لكل مفهوم وإطلاق معناه ودلالته، وحكمه، وأثره .. هذه المفاهيم والاطلاقات غيبها الوثنيون من دعاة " الإلحاد الروحي " لغرض خبيث في نفوسهم، واختزلوها بكلمتين: الطاقة السلبية، والطاقة الإيجابية .. فإذا أرادوا أن يعبروا عن شيء جيد، قالوا عنه: طاقة إيجابية .. وإذا أرادوا أن يعبروا عن شيء سيء .. قالوا عنه: طاقة سلبية .. وقد انطلت هذه الخدعة والأكذوبة على كثير من أبنائنا وبناتنا .. وكان لهذه الخدعة الكاذبة انعكاسات ومزالق خطيرة على سلوكهم، وأخلاقهم، ودينهم .. من أهم هذه الانعكاسات والمزالق:

1- تغييب المصطلحات والمفاهيم الشرعية الآنفة الذكر أعلاه عن ساحة الاعتقاد، والشعور .. وبالتالي عن ساحة السلوك والفعل، والتعامل مع الآخرين.

2- تغييب معالم الحق، والباطل .. الكفر، والإيمان .. الخير، والشر .. كان مؤداه إلى تغييب التمايز .. وتغييب عقيدة الولاء، والبراء .. والحب والكره في الله.

3- عند غياب المفاهيم الشرعية الضَّابطة، والحاكمة على الأشياء .. يكون البديل عنها ذوق، ومزاج، ورغبة الإنسان؛ فما يستحسنه، ويميل إليه، ويرغبه ـ وإن كان باطلاً في ميزان شرع الله المنزَّل ـ يسميه

طاقة إيجابية .. وما لا يستحسنه، ولا يميل إليه، ولا يرغبه ـ وإن كان حقاً في ميزان شرع الله المنَزَّل ـ يسميه طاقة سلبية .. فيكون بذلك عابداً لهواه من دون الله؛ فما يراه زين؛ فهو زين .. وما يراه شين؛ فهو شين .. وهذا الصنف من الناس يحمل عليهم قوله تعالى:[أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ]الفرقان:43.

4- مدخل واسع للوثنيَّة، وللشرك والكفر .. فقولهم عن " الطاقة السلبية، والطاقة الإيجابية "؛ لم يقتصر على المفاهيم، والمعاني .. فإنهم يحملونه على الجمادات، والطبيعة، والحيوانات .. فترى أحدهم يقول عن كلبه: كلبي يعطيني طاقة إيجابية، ويأخذ مني الطاقة السلبية .. فيرد النفع والضر لكلبه من دون الله .. وكذلك تراه يقول عن قطته: تعطيني طاقة إيجابية .. وعن الشجرة .. وعن البقرة .. وعن القمر، والشمس .. وعن الطبيعة من حوله .. وعن الأصنام يقول ذلك .. فهو إذ يعبد الصنم؛ يعبده لأنه يعطيه طاقة إيجابية، ويأخذ منه الطاقة السلبية .. حتى أن عبدَة الشيطان يبررون عبادتهم للشيطان بالطاقة الإيجابية والطاقة السلبية .. فالطاقة السلبية، والطاقة الإيجابية ـ والتي قد تختلف من شخص لآخر ـ هي المبرر لكل شرك، ووثنية، وهي المقياس والحكَم على الأشياء، وعلى الأفعال، والسلوك .. وفي ذلك تغييب، وإلغاء صريح لعقيدة أن النفع، والضر، والخير، والشر بيد الله .. وأن النافع، والضار هو الله تعالى وحده، كما في قوله تعالى:[وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ]الأنعام:17. وقوله تعالى:[أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ]يس:23. وقوله تعالى:[قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ]الزمر:38. وغيرها كثير من الآيات.

5- عندما يكون المصطلح متشابهاً حمَّال أوجه ومعان، وجانب البطلان والشر فيه غالب على جانب الحق والخير، كمصطلح ومفهوم " الطَّاقَةُ السَّلبيَّةُ، والطَّاقَةُ الإيجابيَّةُ "، حينئذٍ من السلامة استخدام المصطلحات والمفاهيم المحكمة الدالة على المعنى والمراد، والتي لا يمكن صرفها إلى معنى خاطئ، كأن يُقال مثلاً: فلان يغرس فيّ الأمل، والثقة بالنفس، ويشجعني على التقدم، والإنجاز النافع، ويرغبني بفعل الخير، ونحو ذلك .. فهذا خير وأحسن، وأصدق في الدلالة من أن يقال: فلان يعطيني طاقة إيجابية .. والعكس كذلك، أن يقال: فلان يحبطني، ويثبطني عن فعل الخير، ويقتل في الأملَ، والإنجاز والإبداع، والثقة بالنفس، ونحو ذلك .. فهذا خير وأحسن، وأصدق في الدلالة، من أن يقال: فلان يعطيني طاقة سلبية .. قال تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا]؛ حيثُ كان المؤمنُون يَسْتَخْدِمُون هذا المصْطَلَح " رَاعِنَا "، في مُخاطبتِهم للنبي ﷺ، وهو من الرِّعايةِ والمرَاعاة .. لا حرجَ فيه .. لكن لمَّا كان في لغةِ اليهودِ، يُمكن صَرفُهُ وتحريفُه إلى معنى خاطِئ " الرُّعونة "، وكانوا يُخاطِبُون النبيَّ ﷺ بهذا المصطلح، على هذا القَصْدِ .. وفرحوا بأنَّهم كانوا يَشتمون النبيَّ ﷺ سراً، فأصبحُوا يَشتمونَه عَلانيةً، ولا أحَدَ يَتَنبَّه لهم .. لكنّ الله تعالى لا يَخفى

عليه شيءٌ، يَعلم ما في نفوسِهم، وما تُكنُّ صُدُورهم .. فأوحى إلى المؤمنين بأن لا يَستخدِمُوا هذه الكلمة " رَاعِنَا " في مخاطبتِهم للنبيِّ ﷺ، وأن يَحذَرُوا ويُعَاقِبُوا كُلَّ مَن يَسْتَخْدمها .. ثم دلَّهم على البديلِ عنها، وما هو خير منها؛ على كلمةٍ مُحْكَمَةٍ لا يُمكنُ التَّلاعبُ بها، ولا صَرفُهَا إلى معنى خاطِئ، [وَقُولُواْ انظُرْنَا]البقرة:104. أي انتَظِرْنا، وأمْهِلنَا، حتَّى نفهمَ، ونَحفظَ عنك .. ويُقاسُ على كلمةِ راعِنَا وانْظرْنا كل مُصطلحٍ مُعَاصر مُحدَث حمّالُ أوجُهٍ ومَعَانٍ، يمكن صرفه إلى معان خاطئة!

* * * * *

763- قَتِيلُ الهاتِف!

هذه قصة حقيقية، وواقعية .. حصلت في مناطق الثوار .. لا أود ذكر الزمان والمكان .. لأن العبرة فيما حصل، لا في الزمان، ولا في المكان .. والقصة قد تتكرر في أكثر من زمان ومكان .. شاب من شباب الإسلام، والثورة، والرباط، والجهاد .. كان يعبث بهاتفه .. فشاهده بعض من هم مسؤولين عنه .. فأسرع في إطفاء الهاتف، وإغلاقه .. فرابهم تصرفه .. وسألوه عمّا في هاتفه .. ولماذا أسرع في إغلاقه .. فلم يجبهم .. فأصروا عليه .. وأصر على أن لا يجيبهم .. فقرروا تعذيبه حتى يعترف عمَّا في جهازه .. أو يفتح لهم جهاز هاتفه .. فلم يفعل .. فزادوا في تعذيبه وإيلامه .. فلم يجد بدَّاً من أن فتح لهم جهاز هاتفه، ليستريح من تعذيبهم .. فوجدوا أنه يحتفظ ببعض صور النساء المتبرجات، وكان ينظر إليها .. وحياؤه منعه من أن يعترف لهم بذلك .. فالتفتوا إليه؛ ليعتذروا إليه .. فوجدوه قد مات من أثر التعذيب .. رحمه الله!!

قتلوه، قاتلهم الله .. قتلوا شاباً مسلماً، مجاهداً، مرابطاً بسبب فضولهم لمعرفة ما في جهازه .. وإلى ماذا كان ينظر في جهاز هاتفه ...؟!!

لذا قلت، وأقول: ارفعوا أيديكم عن هواتف الناس .. لا تتجسَّسوا على عورات الناس .. بين الناس وربهم أسرار، لا يعلمها إلا الله .. بعضها خطايا، وبعضها الآخر توبة، وندم، واستغفار .. ودموع في الأسحار .. من سعى في فضحها، وكشف المستور منها .. فضحه الله في عقر داره!!

* * * * *

764- الحديث عن ابن تيمية!

الحديث عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأثر فكره وطرحه على المسلمين، والواقع المعاصر .. مستمر لم يتوقف من قبل الدوائر والمؤسسات التي تناصب الإسلام العداء .. وفي كثير من الأحيان يلتجئون في أحاديثهم إلى الكذب والتلفيق ليشوهوا صورة هذا العالِم الجليل في نفوس الناس .. مشكلة ابن تيمية رحمه الله أنه بفكره الصائب السديد والشامل حاضر مع المسلمين في واقعهم، وما يعايشونه ويواجهونه من أحداث، وتحديات .. وهو بذلك يشكل قلقاً كبيراً للدوائر والمؤسسات الخبيثة التي تنحصر أنشطتها في

محاربة الإسلام، وتشويه صورته .. فلا يجدون وسيلة لمواجهة الشيخ وفكره سوى الكذب عليه .. وأنَّى للكذب أن يُثمِر أو أن يقوى على مواجهة ورد الصدق والحق!

* * * * *

765- حتى لا يُقال عنك وهَّابي!

عندما تُشير إلى شرك القبور، وتحذِّر من شرك عبادة القُبور، فأنت وهَّابي .. وحتى لا يُقال عنك وهَّابي يجب أن تسكت على شرك عبادة القبور .. وتحت هذا الضغط، وممارسة هذا الإرهاب الفكري والنفسي .. وأحياناً المادي والجسدي .. تفشَّت ظاهرة عبادة القبور في كثير من أمصار المسلمين، من دون نكير .. حتى أصبحت عبادة القبور، والتوجه لها بالدعاء، والطلب، وكشف الضر، وجلب المنافع .. جزء من حياة ودين كثير من الناس .. وهذا عين الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة والإقلاع عنه .. والله المستعان!

* * * * *

766- البقَّالات، والأكْيَاس، واللغة العربية.

عُرِفَ عني في البقالات المجاورة لمنزلي أنني عندما أشتري منها شيئاً .. لا أقبل منهم أن يضعوا الأشياء في أكياسٍ مكتوب عليها كلمات باللغة العربية .. فيضطرون أن يضعوا الأشياء في أكياسٍ تخلو من الكلمات العربية، بل حتى من الحرف العربي .. وكنت في كثير من الأحيان أمتنع عن شراء الأشياء لعدم وجود أكياس تخلو من الكلمات العربية .. وذلك أن هذه الأكياس نهايتها ستُرمَى في سَلَّةِ القُمَامة .. وهذه الكلمات العربية لا يخلو ورود بعضها في القرآن الكريم .. بل الحرف العربي ذاته حرف مقدَّس لا يجوز أن يُمتهَن أو أن يُرمَى في القمامة .. كثير من مطالع السور القرآنية تبتدِئ بأحرف عربية [الم .. الر .. حم .. كهيعص .. ن .. ص]، وغيرها .. بل هناك سور من القرآن الكريم أسماؤها أحرف عربية كسورة ص، وسورة ق، وسورة طه، وسورة يس .. فهل يجوز أن تُرمَى هذه الأحرف العربية القرآنية في القمامة .. أيُّ مؤمن يرجو لله ولكلامه الوقار والإجلال يجرؤ أن يَرمي بهذه الأحرف القرآنية في القمامة ..؟! قال تعالى:[ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ]الحج:32. ومن أعظم شعائر الله التي يجب لها التعظيم والتوقير القرآن الكريم، واللغة التي أنزل الله بها القرآن الكريم.

* * * * *

767- العَقْلُ والنَّقْلُ.

لا يستطيع العقلُ، ومعه ما يُدرَك عن طريقِ الحواسّ .. أن ينفرد بمعرفة مجموع الحقائق الكونية، التي أودعها اللهُ تعالى في مخلوقاته السماويَّة، والأرضيَّة .. كما أنه لا يمكن له أن يقف على حقائق الغيب، وكثير مما قد غاب عنه ممَّا مضَى، ومما سيَأتي .. ولو كان يستطيع منفرداً أن يقف على مجموع الحقائق لما وُجِدَت الحاجَةُ إلى إرسالِ الرسل، وإنزالِ الكُتب .. ولمَّا كان العقلُ عاجزاً عن إدراك مجموعِ الحقائقِ منفرداً، أرسلَ اللهُ تعالى ـ رحمة بعبادِه، ومِن قبيل قيام الحجة البالغة عليهم ـ الرسلَ، وأنزل عليهم الكُتُبَ؛ ليستهدي العقلُ بالنقلِ الصحيحِ المنَزَّلِ مَا قد ضَلَّه وغابَ عنه، وعجزَ عن معرفتِه .. وليستعين به على معرفة ما عجزَ عن معرفتهِ من الحقائق الكُليَّةِ .. فالعقلُ السَّليم، والنَّقلُ الصحيحُ بالنسبةِ للإنسان الذي يبحثُ عن الحقائق، بمثابة الجناحين للطير، لا يمكنه الطيران من دونهما معاً.

ولما جحَدَ الكفارُ الملحدون النقلَ المنزَّلَ الصحيحَ .. وأرادوا أن يعتمدوا على عقولهم في معرفةِ الحقائقِ، والكليَّات .. ضَلُّوا وأَضَلُّوا .. وتخَبَّطُوا .. وأقعدَهم العَجْزُ .. واعتمدوا كثيراً من الأشياء بالظنّ الذي لا يُغني من الحقِّ شيئاً، والتي هي أقربُ للخرافة والسخف منها إلى العقلِ والعِلم .. كقولهم عن الإنسان أن أصله من بكتريا .. ثم تطور إلى مجموعة حشرات .. ثم إلى مجموعة زواحف .. ثم إلى حيوانات تمشي على أربعة .. ثم إلى قرود .. ومن ثم إلى إنسان .. فالأصل الأقرب للإنسان هو القرد، والقرود .. وهم بهذا القول السخيف يُسيئون للعقلِ، وللعِلم .. ويُهينون أنفسهم .. ويهينون الإنسان .. والله تعالى يقول:[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ]الإسراء:70. ومثل هذا التخبط والجهل بحقائق الأشياء، كثير جداً .. والسبب أنهم قد جحدوا النقلَ الصحيح، وكفروا به .. وأرادوا الاعتماد على عقولهم منفردة، بعيداً عن النقلِ الصحيح المنَزَّلِ .. وهم لو سألتهم بعد هذا الضنك الطويل من البحثِ العَقِيم .. لأجابوك: أنهم لا يزالون يبحثون عن الحقيقة .. لم يتعرَّفوا بعد على الحقيقة .. وهم في صددِ البحث عنها .. وأنَّى لهم أن يَصِلُوها، ويدركُوها بعيداً ومِن دُونِ النقلِ الصحيحِ المنَزَّل؟!

* * * * *

768- العلاقة بين الرجل والمرأة.

البشرية بين خيارين، ولا بد لها من الاختيار: إمَّا تعزيز مبادئ وقِيَم، وثقافة المودَّة، والمحبة، والرفق، والتكامل، والاحترام، والاهتمام المتبادل بين الرجلِ والمرأة .. وأداء حقُوق كل طرفٍ ما على الطرف الآخَر، بنفس طيبة رضيَّة، مؤمنة .. أو الدمارُ والخراب، ومزيد من الظلم، والضياع، والتفكك الأُسَري؛ والمتمثل في

جنوح النساء إلى الفكر النسوي الضال، الذي يشحن في المرأة الحقد والكراهية للرجل، والتعامل معه بنديَّة وعدَاوة .. والذي يُقابله في الاتجاه المقابل ظلم الرجل، وأنانيته، وتترسه بحقوقه، وحظوظه .. فالفعل الخاطئ يُقابله ردة فعل خاطئة .. والنتيجة دمار وخراب البيوت .. وضياع الأجيال!

المعركة بين الرجل والمرأة .. معركة مفتعلة لا مبرر لها .. لا يستفيد منها إلا الشيطان ودعاة الشيطان .. مردّها إلى غياب وعي كل طرف ما له من الحقوق، وما عليه من الواجبات تجاه الطرف المقابل، وتترس كل فريق بما له من الحظوظ، والحقوق على الفريق الآخر، من دون أن ينظر ما عليه من الواجبات .. والذين يتصدرون الإصلاح والخوض في غمار هذه المعركة المفتعلة .. بدلاً من أن ينتصروا لهذا الفريق أو ذاك .. فيزيدوا النار اشتعالاً، والفرقة فرقة .. والعداوة عداوة .. والطين بلَّة .. لتكن جهودهم منصبة على تعزيز مبادئ وقيم المودة، والمحبة، والرِّفق، والاحترام، والاهتمام، والثقة المتبادلة بين الطرفين .. عسى الله تعالى أن يصلح الحال إلى أحسن حال.

* * * * *

769- تَدْلِيسٌ لا يجوزُ ولَا يَلِيق!

قد استُوقِفت على كلامٍ للشيخ مُحَمَّد حسان، قاله في الحلقة الثانية من سلسلة " أمراض الأمة "، الدقيقة 18، قال:" في رواية جميلة في مسند الإمام أحمد بسند صحيح أنه ﷺ، قال، قال:" اللهمَّ إني أعوذُ بك أنْ أُشرِكَ بك و أنا أعلمُ، وأستغفرُك لما لا أعلم " يا الله .. يا الله .. وقد كرره مراراً على أنه من دعاء النبي ﷺ لنفسه .."؟!!

أقول: هذا تدليس لا يجوز ولا يليق .. ولولا أن الأمر متعلق بجناب سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه .. وأنه منشور في المواقع الالكترونية، يتداوله الناس، ويستمعون إليه .. لما علَّقت، ولما عقَّبت .. الحديث لم يروه أحمد، وإنما رواه أبو يعلى، والبخاري في الأدب المفرد .. وكثير من أهل العلم تكلموا على سنده، وضعّفوه .. إلا أن الشيخ الألباني رحمه الله قد صححه في تخريجه لكتاب " الأدب المفرد "، وفي جميع طرق وألفاظ الحديث جاءت بصيغة وبمعرض تلقين النبي ﷺ لأبي بكر الصديق، ولأصحابه، وأمته من بعدهم .. ماذا يقولون ليبرأوا مما قد يخفى عليهم من الشرك، ولا يعلمونه، كما في الحديث الذي أشار الشيخ ناصر إلى صحّته، قال النبي ﷺ:" يا أبَا بكرٍ، لَلشِّركُ فيكم أخْفَى مِن دَبيبِ النَّملِ، والذي نفسي بيدِه لَلشِّركُ أخْفَى مِن دَبيبِ النَّملِ، ألا أدُلُّك على شيءٍ إذا فعلتَه ذهب عنك قليلُه وكثيرُه؟

قُلْ: اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أشرِكَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفِرُك لما لا أَعلمُ ". فالنبي ﷺ يُعلِّم أصحابَه، ويُعلِّمنا من بعدهم ماذا نقول لكي نبرأ من مطلق الشرك .. ولم يُرْوَ الحديث قط بصيغة أنه ﷺ كان يعني ويخص نفسه بهذا الدعاء؛ لأن من معاني هذا الدعاء لو جازت نسبته إلى النبي ﷺ حاشاه، أن مِن الشرك ما لا يعلمه .. وأن من الشرك ما قد يخفى عليه ﷺ؛ لذا فهو يستعيذ بالله مما لا يَعلَمُ من الشرك .. وهذا معنى قبيح بحقِّ نبينا ﷺ .. لا يليق ولا يجوز أن ننسبه إليه؛ فإذا كان النبي ﷺ لا يعْلَمُ الشركَ، مَن الذي يعْلَمُ الشركَ ..؟!! ثم كيف يدعو أمته والناس أجمعين إلى ما لا يعلمه ..؟!! والله تعالى قد أكمل به الدين، وأرسله لتقرير التوحيد، ونبذ الشرك؛ مطلق الشرك، كما قال تعالى:[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ]النحل:36. والطاغوت يدخل فيه جميع أنواع الشرك، الظاهر منه والخفي.

مع التنبيه أن كلماتي أعلاه ليست انتقاصاً من قَدْرِ وعِلم الشيخ .. فالشيخ عالم من علماء الأمة، وعلى خير كثير ـ ولا أزكي نفسي وإياه على الله ـ وعلى طلاب العلم أن يستفيدوا من علمه، وأدبه.

* * * * *

770– قانُون الجَذْبِ الخرافِي الشِّرْكِي!

ملخص هذا القانون يقول: لكي تحصل على التغيير الذي تريده، وتحصل على المصالح التي تريدها، والشخص الذي تريده، يكفي أن تستحضر الصورة التي تريدها، أو المآل الذي تريد أن تنتقل إليه في ذهنك، وتعمق وتطيل التفكير به مع مشاعر جسدية .. بعد ذلك ينجذب لك ما طلبته، وأردته، ويتحقق لك ما أردته حرفياً، لا يتخلف منه شيء .. هذه القوة الجاذبة القادرة والخارقة التي تحقق لك ما تريد من خلال التفكير، مصدرها ومردها للطاقة الكونية؛ الكون والطبيعة!

وأصحاب هذا القانون الخرافي الشِّرْكِي، يقولون: لو أن العجوز الكبير في السن قال أنا طفل، أنوي أن أكون طفلاً، أفكر بأن أكون طفلاً .. يصبح طفلاً، وعليك أن تعامله كطفل .. ولو قال الذَّكَر أنا أنثى وأفكر بأنني أنثى، يُصبح أنثى، ويجب أن تعامله كأنثى .. وكذلك الأنثى لو قالت أنا ذَكَر، وأفكر بأنني ذَكَر، تصبح ذَكَراً، ويجب أن تعاملها كَذَكَرٍ .. بل لو قال أحدهم أنا كلب، وأفكر بأن أكون كلباً، يصبح كلباً، ويجب أن تعامله ككلب .. وقد استوقفت على كلمة لامرأة معاقة نفسياً قبل أن تكون معاقة جسدياً، ممن يدعون لهذا القانون الخرافي .. في منشور لها تقول فيه:" أنوي أن أحقق العظَمَة "!، وبغض النظر عن

العظمة التي تقصدها وتريدها .. قد تكون عظمة الجنون، والعجب، والغرور .. فهي يكفي لكي تحقق العظمة أن تنوي، وأن تفكر .. ثم العظمة تأتيها راغمة، وتتحقق لها!!

وهذا القانون إضافة إلى أنه قانون خرافي، لا دليل عليه من النقل ولا العقل .. بل أدلة النقل والعقل بخلافه .. فإنه يترتب عليه مزالق عقدية وشرعية عديدة، وخطيرة على دين المسلم .. وما كنت لأتكلم عنه، أو أنشغل به ـ لتهافته وضعفه ـ لولا أن كثيراً من أبنائنا وبناتنا قد تأثروا به، وأصغوا لدجل دُعاته .. وانعكس ذلك سلباً على سلوكهم، وأخلاقهم، ودينهم!

من هذه المزالق والمآخذ: إنكارهم لعقيدة القضاء والقدر، أحد أركان الإيمان .. والذي لا يُقبَل الإيمان إلا به .. فهم لا يؤمنون بالقَدَر، وأن ما مِن شيء إلا بقدَر .. فالتفكير عندهم هو الذي يحدث القدر، وهو ند للقدَر، وأنت وما تفكر به .. فتفكيرك هو قدرك .. وما تفكر به يتحقق لك .. ولا دخل للقدَر بواقعِك، ولا بما يُصيبك، وما قد أصابك!

ومنها: أنهم يكرهون جداً أن يعلقوا أفعالهم وتفكيرهم، وإراداتهم بمشيئة الله .. كأن يقول: سأفعل كذا .. وأكون كذا، وأصبح كذا إن شاء الله .. لأن التفكير بالشيء ـ عندهم ـ سيحقق ويجذب لك الشيء الذي تفكر به حرفياً، لا محالة .. لا يتخلف منه شيء .. وبالتالي لا داعي لأن تعلق إنجاز هذا الشيء بأي مشيئة أخرى غير التفكير .. ولا أن تقول: إن شاء الله .. ولو قلت: إن شاء الله .. فهذا عندهم يعني أنك تشك بإمكانية تحقيق جاذبية التفكير .. والله تعالى يقول:[وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ]الكهف:23–24. [وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ]التكوير:29.

ومنها: إنكارهم لمبدأ البلاء الذي خلق الله عليه الحياة في الأرض، كما قال تعالى:[الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً]الملك:2. وقوله تعالى:[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ]محمد:31. وقوله تعالى:[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ]البقرة:155. ويقولون لا وجود للبلاء إلا في تفكيرك، فأنت إذا فكرت أن تكون فقيراً تكون فقيراً، وإذا فكرت أن تكون غنياً تكون غنياً ...!

وهم عندما يعيشون أنواعاً من البلاءات لا طاقة لهم بها .. ولا مردَّ لها مهما فكروا بها وبردها، وبخلافها .. ثم أنهم لا يؤمنون بأن البلاء مُقَدَّر من الله؛ لحِكَم عديدة .. تراهم يُصابون بالكآبة، وضيق الصدر، وبأمراض نفسية عديدة قد تؤدي بهم إلى الانتحار!

ومنها: أنهم بقانونهم الخرافي الشركي هذا يلغون عقيدة ومبدأ التوكل على الله؛ والذي يعني أن تسعى، وتأخذ بالأسباب المشروعة، ثم تتوكل على الله، وتعلق النتائج بتقدير الله وتوفيقه .. وقد يحقق الله تعالى ما سعيت له، وقد يدفعه عنك، ويمنعك منه، لحكَم عدية .. فليس كل من سعى وصل إلَّا أن يشاء الله، [وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ]البقرة:216. فعندهم يكفي أن تفكر بالشيء ليتحقق لك هذا الشيء، وينجذب إليك هذا الشيء، حرفياً كما فكرت وأردت .. سواء توكلت أم لم تتوكل .. فالتوكل ليس له أي أثر على واقعك وحياتك .. وهذا القول منهم ـ على خطورته على إيمان المرء ـ يقتضي منهم التواكل على التفكير، وعلى اقتصار أن يقول أحدهم: نويت ...!!

ومنها: أن هذا القانون الخرافي، يتعارض مع العقل والواقع المشَاهَد .. فالله تعالى خلق العباد متفاوتين في القُدرات، والمهارات، والاهتمامات، والفرص .. ليستخدم بعضهم بعضاً كل في مهنته، وفيما يتقنه .. وليتحقق التنوع في المهام والوظائف والأعمال الذي به تكتمل الحياة وتعمر وتستمر .. كما قال تعالى:[وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ]الأنعام:165. وقال تعالى:[أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً]الزخرف:32. تصوروا كيف ستكون الحياة ـ أو هل يمكن أن تستمر ـ لو كان كل الناس ذا طيفٍ ولونٍ واحد .. كلهم أغنياء، أو كلهم أطباء، أو كلهم مهندسون، أو كلهم أمراء، وملوك، ورؤساء، وقادة .. وعلماء ومؤلفون .. أو كلهم حدادون أو نجارون، أو مزارعون، أو جنود، أو عمال بناء، أو عمال قمامة .. هل يمكن للحياة أن تستمر بهذا النسيج أو اللون الواحد لجميع الناس في جميع المجتمعات ...؟!

بينما دعاة قانون الجذب الخرافي الذين يسيرون في الاتجاه المعاكس، يهونون الأمر، ويقولون: من خلال الجذب والتفكير، يكفي أن تفكر بأن تكون غنياً، لتصبح غنياً .. أو أن تفكر بأن تكون طبيباً لتكون طبيباً .. أو أن تفكر أن يكون حولك الخدم والحشم ليتحقق لك ذلك .. ومَن الذي لا يرغب من الناس أن يكون غنياً أو طبيباً، أو رئيساً، وقائداً إذا كان يتحقق له ذلك بمجرد التفكير وبهذه السهولة ..؟! فيصبح المجتمع كله ـ على قولهم ـ ذو طبقة واحدة .. ولون واحد .. ومهنة واحدة .. وهذا قول مرفوض ومردود بالنقل، والعقل، والواقع المُشاهَد!

ومنها: أن قانون الجذب الخرافي مؤداه أن يجعل من الكون والطبيعة نداً لله تعالى .. فالكون هو الذي يمنحك بالطاقة، ويحقق لك الجذب والانجذاب نحو ما تفكر به وتريده .. من دون الله .. فإن كنت سائلاً فاسأل الكون والطبيعة .. وإن تعلق قلبك بشيء فليتعلق بالكون والطبيعة .. وهذه هندوسية بوذية شركية باطلة .. والله تعالى يقول:[فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ]البقرة:22. [وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ]إبراهيم:30.

ومنها: لكي يمرر دعاة قانون الجذب الخرافي من بني جلدتنا باطلهم وكفرهم على المسلمين، يستخدموا بعض المصطلحات الشرعية والدينية ليوهموهم بأن ما يقولون به هو مستمد من دين الله .. ولهم عليه مستند من دين الله .. وهم بذلك كاذبون مخادعون، ودجَّالون .. هم العدو الجديد .. فاحذروهم!

ومنها: فإن قيل: هل يفهم مما تقدم ذكره أعلاه، أنه لا يجوز للمرء أن يفكر في الأمور العالية الرفيعة، وأن يضع لنفسه أهدافاً كبيرة ورفيعة ويفكر بها، وكيف يحققها ...؟!

أقول: لا .. لا يوجد ما يمنع من ذلك .. بل يجب على المرء أن يُهدّف حياته، وأن يضع لنفسه وحياته أهدافاً عالية نبيلة .. وذلك بشروط:

1- أن لا يقتصر مسعاه على مجرد التفكير والنية .. ثم يتواكل على قانون الجذب الخرافي الشركي .. وإنما مع التفكير، والاهتمام، والإرادة، والعزيمة يسعى، ويتحرك، ويأخذ بجميع الأسباب التي توصله إلى غاياته وأهدافه المشروعة.

2- أن يتوكل على الله، ويعلق قلبه بالله، ويعتقد أن التوفيق كله من عند الله.

3- أن لا يعلق قلبه بالأسباب، وإنما بخالق الأسباب .. وأن يعتقد أنه مهما أخذ بالأسباب ـ على أهميتها ـ لا يصل إلى غايته وهدفه إلا أن يشاء الله .. فكم هم الذين سعوا وأخذوا بالأسباب .. واستوفوا جميع الأسباب .. ثم لم يصلوا إلى غايتهم، ولم يحققوا هدفهم .. فتخطفتهم الآجال، والحوادث، والمصائب، قبل أن يحققوا أهدافهم المنشودة .. وما أكثر الشواهد من النقل الصحيح، والواقع المشاهَد الدالة على ذلك .. لنعلم أن الأسباب لا يمكن أن تعمل عملها بمفردها من دون الله .. ولنعلم أنه لا يكون شيء في مملكة الله إلا بإذنه ومشيئته وتقديره .. ولتبقى القلوب معلقة بخالقها تسأله النجاح والتوفيق، وتحقيق الآمال والغايات في الدنيا والآخرة.

2023/9/9

* * * * *

771- طعَامُ وشَرَابُ أهْلِ النَّارِ.

مِن طعَامِ أهْلِ النَّارِ، الضَّرِيعُ: كما قال تعالى:[لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ]الغاشية:6-7. والضَّرِيعُ شجرٌ في جهنم مِن نَارٍ، له شَوكٌ مِن نَارٍ .. قال بعضُ أهلِ العِلم: لشدَّةِ ألمِه، وحرّهِ، ونتَنِه، وخشونَتِه، يَضْرَعُ أهلُ النَّارِ أن يتخلَّصُوا ويُعفَوا مِنه .. وأنَّى .. فسُمِّيَ لذلك ضَرِيْعَاً!

والزَّقُومُ: كما قالَ تعالى:[إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثِيمِ]الدخان:43-44. وقالَ تعالى:[أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]الصافات:62-66. وقال تعالى:[ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ]الواقعة:51-53. والزَّقُوم شجرةٌ، " غُذِّيت بالنَّار، ومِنها خُلِقَت ".

والغِسْلين: كما قال تعالى:[وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ]الحاقة:37. أي الكافرون؛ الذين تَرقَى أخطَاؤهم إلى دَرَجَةِ الكُفْرِ .. والغِسْلِين؛ صَدِيدُ، وقَيحُ، ودَمُ أهلِ النَّارِ، وما يخرجُ مِن لحومِهم ...!

ومِن شرَابِهم، الماءُ الحمِيمُ: كما قالَ تعالى:[كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ]مُحَمَّد:15. والماءُ الحمِيم؛ ماءٌ حارٌّ في مُنتَهى الحرَارَةِ، يُقَطِّعُ أمعاءَهم مِن شِدَّةِ حَرِّه.

والماءُ المُهْل: كما قال تعالى:[وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً]الكهف:29. والماءُ المهْلِ؛ " كعَكرِ الزَّيتِ؛ فإذا قرَّبَهُ إلى وجهِهِ، سَقطَت فَروَةُ وجهِهِ فيهِ " مِن شِدَّةِ حَرِّه!

والماءُ الصَّدِيدُ: كما قَالَ تعالى:[مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ]إبراهيم:16-17. والماءُ الصَّدِيدُ؛ عصارَةُ أهْلِ النَّارِ مِن قَيْحٍ ودَمٍ .. هذا طعَامُ وشَرَابُ أهلِ النَّارِ .. أمَّا عذَابَات جهنم الأُخْرَى لَا يعلمُ حقيقَتَها وشِدَّةَ آلامِها إلا خالقُهَا ... أعاذَنا اللهُ وإيَّاكُم مِن نَارِ جهنَّم، ومِن طعَامِها وشَرَابِها .. وما يُقَرِّبُ إليها مِن قَولٍ، واعتِقَادٍ، وعَمَل.

* * * * *

..... –772

www.abubaseer.bizland.com

www.altartousi.net

altartousi1@gmail.com